

البيان في زواجع القرآن

دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني

الدكتور محمد سام حسان

الجزء الثاني

عالم الكتب

المحتويات الجزء الثاني

الفصل الأول - دلالة الكنائيات في النص القرآني ————— ٧-٣٠

المقصود بالكنائيات (ص ٧) - ضمائر الأشخاص (٩) - التمهيد للعطف (٩) - أمن اللبس (١١) - تصدير الصلة (١٣) - الفصل والتأكيد (١٣) شبه القصر (١٥) - الشأن (١٥) المقابلة (١٥) - الإشارات (١٧) - الموصولات (٢٣) -

الفصل الثاني - مفهوم المسافة في النص القرآني ————— ٣١-٧٣

المسافة المكانية (٣١) - المسافة السياقية النحوية (٢٣) - الضمير ومرجعه (٣٥) - المسافة بين طرفي الإسناد (٣٨) - نسخ الجملة الخبرية (٤١) - التعدية (٤٢) الموصوف وصفته (٤٤) - الفصل بين المتعاطفين (٤٧) - الجار والمجرور والمتعلق (٥٠) - المستثنى والمستثنى منه (٥٢) - علاج طول المسافة بالتكرار (٥٣) ترتيب الأشباه (٥٦) - تقريب الأقصر (٥٧) - تقريب الأطول (٥٩) المسافة والنص (٦٣) - المسافة والإضمار (٦٦) - المسافة والألقاب (٦٧) المسافة وآداب المخالطة (٧٠).

الفصل الثالث - الأسلوب العدولي في القرآن الكريم ————— ٧٥-١٢٢

الاستصحاب والعدول (٧٥) - الأسلوب العدولي والرخصة (٧٦) - العدول عن أصل البنية (٧٧) - إشراب الخبر معنى الشرط (٩٢) الإعراب (٩٧) - الربط (٩٨) - الالتفات (٩٨) - التغليب (١٠٢) - المراوحة (١٠٣) - حذف الرابط (١٠٤) - العدول عن أصل الرتبة (١٠٧) - العدول عن أصل التضام (١٠٨) - الحذف (١٠٩) - الزيادة (١١٢) - الاعتراض (١١٤) - الفصل النحوي (١١٧) - تجاهل الاختصاص النحوي (١١٩) - تجاهل المناسبة المعجمية (١٢١)

الفصل الرابع - المؤشرات الأسلوبية في القرآن الكريم ————— ١٢٣-١٨١

مفهوم المؤشر الأسلوبى (١٢٣) - التعميم (١٢٥) - التنكير (١٢٦) - التوكيد (١٢٩) - التقديم (١٣٤) القصر (١٣٦) - النسخ (١٣٨) - التأكيد بالصيغة (١٣٩) - التأكيد بالاستفتاح (١٤٣) - التأكيد بضمير الشأن

(١٤٧) - التأكيد بالحرف (١٤٩) - المضارع بعد اللام (١٥٤) - النون فى سياق النهى (١٥٥) - النون فى سياق الشرط بإمّا (١٥٧) النون فى سياق النهى بهل (١٥٨) - النون فى سياق النهى بلا (١٥٨) - تأكيد الإيجاب يسلب الضد وعكس ذلك (١٦٠) - التعليل (١٦١) - الإحالة أو المرجعية (١٦٧) النهى (١٧٠) - النهى المعجمى (١٧٥) - التسوية (١٧٥) -

الفصل الخامس - أساليب التوجيه فى النص القرآنى — ٢١٩-١٨١

دلالات الأمر (١٨١) - مفهوم التكليف (١٨٢) - الكف بواسطة النهى (١٨٥) - الإخبار بالذى والألف واللام (١٨٩) - الحض بصورة الشرط (١٩٠) - التكليف بواسطة الاستفهام (١٩٣) - التعجب بواسطة الاستفهام (١٩٤) - الاستفهام الإنكارى من نوعين (١٩٧) - الوعيد بواسطة الاستفهام (٢٠٢) - التوبيخ بواسطة الاستفهام الإنكارى (٢٠٧) - المحاجة بواسطة الاستفهام الإنكارى (٢١١) - الاستفهام بفعل الروية (٢١٤)

الفصل السادس - الجانب الخلقي فى تعاليم القرآن الكريم — ٢٧٣-٢٢١

تقديم (٢٢١) - ذم الإصرار على الكفر (٢٢١) - ذم المكابرة (٢٢٢) - ذم الاستكبار (٢٢٣) - ذم المحال والجدال (٢٢٤) - ذم المكر السىء (٢٢٦) - ذم الكيد (٢٢٨) - ذم البطر (٢٢٩) - الدعوة إلى المحافظة على العهد (٢٣١) - ذم النفاق (٢٣٣) - ذم الكذب (٢٣٥) - ذم الضلال والإضلال (٢٣٧) - الدعوة إلى التوبة (٢٣٩) - الدعوة إلى محاسن الأخلاق (٢٤١) - دلالات الآيات الداعية إلى حسن الخلق (٢٤٨) - الدعوة إلى الصبر (٢٤٩) - وإلى العفو (٢٥٠) - وإلى حسن المعاملة (٢٥١) - وإلى السماحة (٢٥٣) - والأمانة (٢٥٤) - والعفة (٢٥٥) - والقناعة (٢٥٨) - والتوكل (٢٦٠) - والإنفاق (٢٦١) - والاستقامة (٢٦٥) - والعدالة (٢٦٦) - والتوسط (٢٦٩)

الفصل السابع - أسلوب الدعوة فى القرآن الكريم — ٣٢١-٢٧٥

أولا الحوار : التكذيب المباشر لدعوى المشركين (٢٧٥) - قلب الدعوى (٢٧٦) - التعليق على قول الخصم (٢٧٧) - الإنكار على الخصم (٢٧٨) - السخرية (٢٧٩) - الوعيد (٢٧٩) - الاعتذار بأن النبى بشر (٢٨١) - تنزيه الذات الالهية (٢٨٢) - الدعاء على الخصم (٢٨٣) - تنوع الرد فى الآية الواحدة (٢٨٤)

ثانياً التذكير وضرب المثل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

التذكير (٢٨٦) - ضرب المثل (٢٨٩) - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢٩٣)

ثالثاً : الحجّاج في القرآن الكريم (٢٩٦) - الدعوة إلى التأمل (٢٩٧) -
شواهد المحاجة (٣١٦) -

الفصل الثامن - النص القرآني يفند أكذوبة الغرائيق . ٣٣٣-٣٣٨

القرآن يفسر بعضه بعضاً (٣٢٣) - لم يلتزم المفسرون بهذا المبدأ في كل المواضع (٣٢٥) - (قصة الغرائيق مثل لعدم التزامهم هذا المبدأ (٣٢٦) - رأى الواحدى في أسباب نزول القرآن (٣٢٧) - رأى ابن كثير في تفسيره (٣٢٧) - رأى القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٢٨) - رأى ابن النحاس في كتابه «معاني القرآن» (٣٢٩) - رأى أبي حيان في البحر المحيط (٣٢٩) - نظرة تحليلية لهذه الآراء (٣٣٠) - رأى في دلالة الآية (٥٢) من سورة الحج (٣٣٢) - معنى عبارة: «ألقي الشيطان في أمنيته» (٣٣٤) - حل القضية في وضع الآية ٥٢ في محيطها من النص (٣٣٥) ردّ على بعض المزاعم الفرعية (٣٣٨).

الفصل التاسع - تأملات في سورتي الرحمن والواقعة — ٣٣٩-٣٥٢

فروق لغوية لم يلحظها الدارسون (٣٣٩) - «خلق الإنسان علمه البيان» (٣٤١) - «والنجم والشجر يسجدان» (٣٤٢) - «ووضع الميزان والأرض وضعها» (٣٤٣) - الثقلان يكذبان بالآلاء (٣٤٥) - «سفرغ لكم أيها الثقلان» (٣٤٩) - «ولن خاف مقام ربه جنتان» إحداهما للإنس والأخرى للجن (٣٥٠) - وأدنى من هاتين الجنتين جنتان لأهل اليمين (٣٥٠) - تفوق الجنتين الأوليين على الجنتين الأخريين يتضح من وصف كل اثنتين من الجنان (٣٥١) - مقارنة ما في سورتي الرحمن والواقعة (٣٥١)

الفصل العاشر - قصة يوسف عليه السلام كما تعرضها السورة

ليس القرآن كتاب قصص (٣٥٣) - عهد الهكسوس (٣٥٤) - عاصمة الهكسوس (٣٥٥) - أشخاص القصة - (٣٥٥) - أبناء يعقوب (٣٥٦) الرؤيا والمكيدة (٣٥٦) - القافلة (٣٥٧) - العزيز (٣٥٧) - امرأة العزيز ومحاولة الإغواء (٣٥٨) - شخصية الملك (٣٥٨) - بناء الفصة (٣٥٩) - الحبكة (٣٦٢) تفسير الوقائع في ضوء النص (٣٦٤ - ٣٨٢).

الفصل الحادي عشر - بنو إسرائيل في القرآن الكريم

الغاية التي يرمى إليها القصص القرآني (٣٨٣) - بداية قصة بنى ٣٨٣-٤١٦
 إسرائيل في مصر (٣٨٤) - ميلاد موسى عليه السلام (٣٨٥) نشأته وما
 وقع منه وله (٣٨٦) - قتل خطأ (٣٨٦) التحذير (٣٨٧) - الهرب (٣٨٧) -
 أرض مدين (٣٨٨) - ماء مدين (٣٨٨) - زواج موسى (٣٨٨) - رحلته إلى
 الطور (٣٨٨) الرسالة (٣٨٩) - فرعون موسى (٣٩٠) - امرأة فرعون
 (٣٩١) - المواجهة (٣٩٢) - إيمان السحرة (٣٩٤) - قليل من آمن لموسى
 من بنى إسرائيل (٣٩٤) - تجمع المؤمنين (٣٩٥) - الرجل المؤمن (٣٩٥) -
 اثنان وثالثهما (٣٩٧) - علاقة انتهازية (٣٩٨) - مدينة منف ورحلة الخروج
 (٣٩٩) - المطاردة والغرق (٤٠٠) - كم تركوا (٤٠٠) - أرض الكنانيين
 لجيل موسى لا لكافة أجيال اليهود (٤٠١) - التجاوزات بعد العبور
 (٤٠٢) - دعاوى لادليل عليها (٤٠٥) - غش وخداع (٤٠٧) - عقوبات
 (٤٠٩) - الصاعقة والغضب والتية (٤١٠) - الحسف (٤١١) - المرض
 (٤١١) - رجز من السماء (٤١٢) - المسخ (٤١٢) - اللعن (٤١٣) - الذلة
 (٤١٤) - غضب الله (٤١٤) العذاب وتحريم الطيبان والسخط والقهر
 (٤١٥) - الجلاء عن الديار (٤١٦).

الفصل الثاني عشر - الهيكل النبوي لبعض السور في القرآن الكريم

٤٣٩-٤١٧

أولاً: الفرقان (٤١٧ - ٤٢٢):

البدء بالتنزيه (٤١٧) - طعن المشركين بتكذيب القرآن والرد على ذلك
 مباشرة (٤١٧) - اعتراضهم على نزوله مفرقا وتأجيل المباشر (٤١٨)
 اعتراضهم في الآية السابقة على كون الرسول بشرا والرد على ذلك في
 الآية رقم عشرين (٤١٨) اعتراضهم على عدم ثراء الرسول والرد على
 ذلك مباشرة (٤١٨) - اتهام الرسول والرد على ذلك مباشرة (٤١٨) -
 اتهام الرسول بكونه مسحوراً والسخرية من ذلك بنسبتهم إلى الضلال
 (٤١٩) - تكذيبهم بالساعة والرد على ذلك بالوعيد (٤١٩) - تكبرهم على
 السجود للرحمن وتنزيه الرحمن خالق السماء والليل والنهار (٤١٩) -
 وعد الله لنبية أن يرد على أمثالهم بالحق وأحسن تفسيراً (٤٢٠) -
 المفاضلة بين هؤلاء المشركين المتكبرين وبين عباد الرحمن (٤٢٠) -

ثانياً: الشعراء (٤٢٢ - ٤٢٨):

تبدأ السورة بتقديم آيات الكتاب المبين فكأنها تقول من آيات الكتاب ما
 يلي (٤٢٢) - تعد السورة تسعا من الآيات متصلة بقصص الأنبياء أو
 بالظواهر الكونية - الوعيد بأن الله لو شاء أنزل عليهم آية للرد على

إعراضهم واستهزائهم (٤٢٣) - أولى الآيات ما فى الأرض من نبات (٤٢٣) والثانية رسالة موسى وما ترتب عليها (٤٢٤) - والثالثة نبأ إبراهيم (٤٢٤) - والرابعة خبر نوح (٤٢٥) - والخامسة ما وقع لقوم عاد (٤٢٥) والسادسة قصة ثمود (٤٢٦) - والسابعة قصة قوم لوط (٤٢٦) - والثامنة قصة أصحاب الأيكة (٤٢٦) - وبعد كل ، واحدة من هذه الآيات تأتى عبارة: «إن فى ذلك لآية وما كان أكثر مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم». ثم تأتى الآية التاسعة وهى القرآن نفسه ثم التعليق على موقفهم منه بقوله تعالى: «أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل» (٤٢٨).

ثالثا: النمل: (٤٢٨ - ٤٣٢)

تبدأ السورة بالإشارة إلى ما يلى من آيات القرآن وكتاب مبین (٤٢٨) - ثم تأتى بآيات من ثلاثة أنواع هى: خوارق وبيئات وأجوبة تشتمل على وعيد.

فمن الخوارق: قصة موسى وما صحبها من معجزات (٤٢٩) - وقصة سليمان من معرفة منطلق الطير ووادى النمل (٤٢٩) وقصة صالح ثم قصة لوط (٤٢٩) -

ومن البيئات: أن الله خلق السموات والأرض والنبات وجعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهاراً وهو يجيب المضطر ويهدى فى ظلمات البر والبحر وهو يبدأ الخلق ثم يعيده ويعلم الغيب (٤٣٠).

ومن الأجوبة المشتملة على الوعيد: الرد على إنكار البعث وتكذيبه بالوعيد بقوله تعالى: «قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون» (٤٣١) - وقوله: «وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبین (٤٣١) - وقوله: «إن ربك يقضى بينهم بحكمه» (٤٣١) - وقوله «إنك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم» (٤٣١) - وقوله: وإذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم» (٤٣١) أى تؤذيههم بالكلام. وقوله: «ووقع القول عليهم بما ظلموا» (٤٣١) - وقوله «وكل أتوه داخرين» (٤٣١) وتختتم السورة بقوله تعالى: «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها» (٤٣٢).

رابعاً : القصص : (٤٣٢ - ٤٣٥)

هنا أيضاً تبدأ السورة بالإشارة إلى ما يلي من آيات الكتاب المبين وتدور في جملتها حول ما اشتملت عليه قصة موسى من آيات هي : الميلاد - المبعث - عقاب الخضم - التصديق :

حدث الميلاد: علو فرعون واضطهاد بنى إسرائيل (٤٣٢) - رده إلى أمه (٤٣٣).

المبعث: تسع آيات (٤٣٣) كبرى الآيات هي العصا واليد (٤٣٤).
عقاب الخضم إغراق فرعون (٤٣٤) - الخسف بقارون (٤٣٤) - إهلاك القرى البطرة (٤٣٤) -

التصديق : لم يكن النبي ﷺ حاضراً في جانب الغربى ولم يك ممن شاهدوا هذه الأحداث ولا كان ثابوا في أهل مدين ولم يك بجانب الطور عند نداء موسى وإنما صدقة الله ببيان هذه الآيات (٤٣٥).

خامساً : العنكبوت : (٤٣٥ - ٤٣٩).

في هذه السورة : وعد للمؤمنين - وفضح للمنافقين وأمثال للكافرين الوعد: «من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت» - «ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه» - «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لتكفرن عنهم سيئاتهم» (٤٣٦).

الفضح : من الناس من يعلن الإيمان ولا يقوى على الفتنة - والله يعلم المؤمن من المنافق (٤٣٦).

الأمثال: لا يمكن للكافرين أن يحملوا خطايا المؤمنين ولكنهم سيحملون أثقالهم هم أنفسهم (٤٣٦) الدليل على أن الله سيعاقب الكافرين ما حدث للقرون من قبل فلقد عذب قوم نوح وقوم إبراهيم وقوم لوط وقوم شعيب وعادا وثمود وقارون وفرعون وهامان (٤٣٧) - مثل الكافرين كمثل العنكبوت التي اغترت بحماية بيتها (٤٣٨)

أما ما بقى من السورة فالتدليل على صدق النبي بأنه أمى لم يقرأ ولم يكتب فلا يمكن أن يكون القرآن من عمله هو (٤٣٨) - إنهم يستعجلونك بالعذاب ولكن موعده لما يأت بعد (٤٣٨) وسيهدى الله المجاهدين في سبيله (٤٣٩).

والله الكنائيات في النص القرآني

أقصد بالكنائيات ثلاثة أنواع من الألفاظ وضعها النحاة في عداد الأسماء ولكنهم أشاروا إلى أنها تدل على معنى عام حقه أن يؤدي بالحرف، وجعلوا هذه الدلالة على معنى عام شبهها معنويًا بينها وبين الحرف أدى إلي بنائها بلزوم آخرها صورة واحدة لا تقبل الحركات الإعرابية. هذه الأنواع هي:

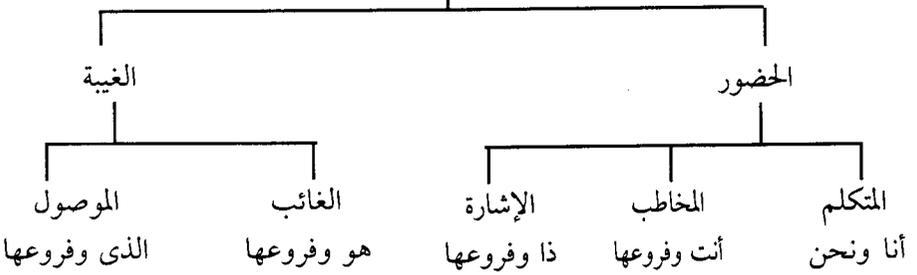
١ - ضمائر الأشخاص

٢ - الإشارات.

٣ - الموصولات.

وكان نحاة الكوفة يسمون ضمير الشخص (أنا وأنت وهو وفروعها) بالكناية قبل أن يستعمل البلاغيون هذا المصطلح للدلالة على المعنى البعيد الذي يلزم عن معنى قريب أى على لازم المعنى ويفهم المقصود بالمعنى العام بالمقابلة بينه وبين المعنى المفرد الذى ينسب إلى مفردات المعجم ونسميه أحياناً «المعنى المعجمي» لأن هذا المعنى يلتمس فيما يسجله المعجم للكلمة المفردة من معانى متعددة كل منها يظل موضع احتمال حال الأفراد حتى إذا وضعت المفردة فى سياق الجملة المفيدة تعين لها أحد هذه المعانى بمعونة القرائن. أما المعنى العام فهو الذى ينسب بحسب الأصل إلى حروف المعانى وإلى الأدوات وهو الذى نردده عند إعرابنا للجملة من قولنا فعل وفاعل وسببية وتفسير ومطلق الجمع والترتيب والتعقيب والطلب والمطاوعة الخ مما لا يختص بلفظ مفرد بعينه ومن ثم يعد هذا المعنى وظيفة يمكن أن يؤديها أكثر من لفظ واحد من هنا يطلق عليه أيضاً «المعنى الوظيفي». ومن فروع هذا المعنى العام الحضور والغيبة وهى المعنيتان اللذان تندرج تحتها الكنائيات على النحو التالى:

الكنايات



والحضور درجات ثلاث أقواها التكلم ويليها الخطاب وأدناها الإشارة. فالتكلم يتطلب دائما إسناد الفعل إلى المتكلم فإذا ابتدأت بضمير المتكلم وأخبرت عنه بالجملة الفعلية فإن الفعل يسند عندئذ إلي ضمير المتكلم فتقول أنا قمت ونحن قمنا ومع أن الأمر كذلك في الخطاب نرى الخطاب يمكن تجريده ولا يمكن تجريد التكلم وما أكثر ما نسمع في شروح الشعر قولهم، جرد الشاعر من نفسه شخصا وخاطبه كما أن الخطاب قد يتم باستحضار الغائب في الذهن أما الإشارة فإذا أخبر عنها بالجملة الفعلية فإن الفعل يسند إلي ضمير الغائب فيقال: هذا يحل وهذا يحرم وذلك يجوز وهؤلاء لا يعلمون. أما في مجال الغيبة فإن ضمير الغائب أقوى من الموصول من جهات متعددة أولها الاستغناء والافتقار فإذا أخبرت عن ضمير الغائب بالموصول افتقر الموصول إلى صلة كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ (الشورى ٢٥) أما إذا أخبرت بالضمير عن الموصول فمن الممكن أن يستغنى الضمير بنفسه كأن تقول: «الذى أساء إلى زيد هو» أى هو زيد نفسه. أضف إلى ذلك أن ضمير الغائب إذا جاء تاليا للموصول فلا يلزم أن يكون مبتدأ في جملة الصلة كما نراه في: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة ٦١) وإنما يجوز أن يكون ضمير فصل نحو: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (الشعراء ٧٩) على أحد احتمالين ثالثها أن الضمير أقوى بكنايته عن الظاهر من الموصول الذى هو صفة للظاهر.

حين صنف النحاة دلالة الكنائيات إلى مجرد الحضور والغيبة وفروعهما كان ذلك سعياً إلى إنشاء نظام صرفى للغة وهذا النظام تجريد لصيغ اللغة وليس وصفاً لنصوصها. وحسبنا في التفريق بين النظام اللغوى الثابت والاستعمال الذى يور بالمتغيرات أن نقارن بين قول النحاة: «جاء فعل ماضٍ» إذ يروونه ثابتاً على هذا المعنى حتى عند إعرابه فى خضم الاستعمال نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات ٦) إذ يأتى الفعل غير واقع لا فى الماضى ولا فى المستقبل وإنما يمنحه المستقبل بعض احتمال الوقوع. وكذلك ينسب الحضور والغيبة إلي الكنائيات نسبة نهائية فى حدود النظام ولكن الاستعمال قد يخرج بها إلى معانى أخرى لم ترد فى خاطر النحاة، فيتحقق بهذه المعانى الاستعمالية حدود الفرق بين نحو الجملة ونحو النص. ذلك أن نحو النص ينتفع بمبدأين مهمين فى الظاهرة اللغوية هما مبدأ «النقل» و«تعدد المعنى» سواء فى ذلك المعنى الوظيفى والمعنى المعجمى*.

أ - ضمائر الأشخاص:

سوف نرى فيما يلى أن معنى الحضور والغيبة فى ضمائر الأشخاص يبقى فى النص من الناحية النظرية قائماً ولكنه ليس هو مناط القصد لأن النص يفرض معنى غيره يلزم عن مجرى الكلام فيتوارى معنى الحضور أو الغيبة عن مجال الفهم تاركاً للمعنى السياقى فرصة السيطرة على الانتباه، ومن المعانى التى تعبر عنها الضمائر الشخصية فى النص ما يلى:

١ - التمهيد للعطف (عطف الأشخاص):

زعم النحاة أن الضمير فى نحو قوله تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة ٣٥) وقوله جل شأنه: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ (المائدة ٢٤) مؤكد للضمير المستتر فى فعل الأمر قبله. وذلك ضعيف من وجهين: الأول أن الضمير المستتر تدل عليه صيغة إسناد الفعل ولا وجود له فى الكلام حتى يدعى توكيده والثانى أن معنى التوكيد معنى اختياري والضمير المذكور فى الآيتين واجب الذكر فلا

* انظر: اللغة العربية معناها ومبناها فى شرح هذين المبدأين.

يتحقق المعنى إلا به . أما وظيفة هذا الضمير فيما يبدو فهي التمهيد للعطف إذ لا يقال : اسكن وزوجك الجنة ولا اذهب وربك فقاتلا ولا اذهب وأخوك بآياتي . ولو أن لغة مثل لغة أكلونى البراغيث أجازت : اسكنا أنت وزجك الجنة أو اذهبا أنت وربك أو أنت وأخوك لكان ثمة مبرر للقول بالتأكيد لتوالى الضميرين المتصل والمنفصل أما ولا يوجد قبل الضمير المنفصل إلا فعل مسند إلى مستتر وجوبا فلا ويشبه هذا التركيب قوله تعالى :

﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (طه ٥٨).

﴿إِنَّهُ يَرَأَكُمْ هُوَ وَقَبِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الاعراف ٢٧)

﴿فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (الشعراء ٩٤)

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (النحل ٧٦)

فالضمير فى كل ذلك ممهّد للعطف . وليس الأمر خاصا بالعطف بالواو لإرادة مطلق الجمع لأن ذلك صادق على الفاء وثم أيضا . تصور تركيبا مثل : اذهب أنت فأخوك على إرادة الترتيب والتعقيب أو اذهب أنت ثم أخوك على إرادة الترتيب والتراخى فهل يمكن حذف الضمير المعطوف عليه فى ذلك؟ لا يمكن حذف هذا الضير دون إفساد التركيب ويترتب على ذلك إفساد المعنى . من كل ذلك يتبين أن معنى الحضور والغيبة حتى إن ظل باقيا للضمير لم يعد يؤثر فى المعنى السياقى لأن المناظرة تجاوزه لتصبح بين التأكيد والتمهيد للعطف وهما معنيان سياقيان ينتميان إلى النص لا إلى الأفراد .

ويدل على أن هذا الضمير إنما هو للتمهيد للعطف قوله تعالى : ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا

نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (النمل ٦٨) فلو كان الضمير لتأكيد ما قبله ما ساغ الفصل بين

المؤكد والمؤكد بالإشارة من ثم يكون الضمير فى قوله تعالى : ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ

وَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾ (المؤمنون ٨٣) ممهّدا للعطف على رغم اتصاله بالضمير الذى

قبله . ومن هذا القبيل أيضا .

﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (طه ٥٨).

﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ (الأعراف ٧١).

﴿مَكَانِكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ (يونس ١٠).

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ (الأعراف ٢٧).

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (النحل ٧٦).

﴿فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (الشعراء ٩٤).

﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (المجادلة ٢١).

ومع أن النحاة اعترفوا عرضاً بمبدأ التمهيد المذكور هنا نجدهم يصرون على جعل الضمير أكثر ارتباطاً بما قبله من ارتباطه بما بعده. ولم يقتصر اعتراف النحاة بهذا المبدأ على باب عطف النسق إذ يقول ابن مالك مثلاً:

وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل

(لاحظ هناك قوله: «فافصل» إذ لم يقل: «فأكد») وإنما نجد هذا المبدأ واضحاً

أيضاً في باب التوكيد المعنوي إذ يقول:

وإن تؤكد الضمير المتصل بالنفس والعين فبعد المنفصل

وكان المقصود بذلك أن الضمير المتصل غير صالح لمباشرة التوكيد بالنفس والعين ومن هنا يلزم أن يأتي الضمير المنفصل ليمهد للإتيان بهما ويستوى في الاتصال ضمير الرفع وغيره فتقول: قام هو نفسه بالأمر ورأيته هو نفسه ومررت به هو نفسه. فيمهد الضمير للتوكيد في الحالات الثلاث كما مهد من قبل لعطف النسق.

٢ - أمن اللبس:

الشواهد التي نسوقها هنا تشتمل على ضمير لولاه لأصبح الشاهد يحتمل أكثر من معنى فيحتاج إلي قرينة يتعين بها أحد الاحتمالين أو الاحتمالات فإن لم توجد القرينة لم يؤمن اللبس من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾

(القصص ٣٩) فلو لم يذكر ضمير الغيبة لأصبح التركيب: واستكبر وجنوده فى الأرض فصلحت الواو للحال على معنى أنه استكبر حين كان جنوده فى الأرض فلما ذكر الضمير تعين للواو معنى العطف فأمن اللبس.

وأما قوله تعالى: ﴿ فَأُنجِيَنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ ﴾ (الأعراف ٦٤) فلولا القرينة لكان الناجى هو نوحا وحده حين كان أتباعه من دونه فى الفلك. ولكن قوله فى سورة هود: ﴿ يَا بُنَيَّ اركب مَعَنَا ﴾ (هود ٤٢) قرينة على أن نوحا كان فى السفينة مع من تبعه. والمعروف أن القرآن يفسر بعضه بعضا، وهو ما يسميه المعاصرون مبدأ «التناس».

والضمير قرينة العطف فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ (البقرة ٢٤٩) إذ لولاه لاحتملت الواو معنى الحالية. وكذلك فى قوله تعالى: ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن فلولا الضمير لاحتملت الواو معنى المعية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ (البقرة ٢٤٩) إذ يحول الضمير دون الدلالة على معنى الحال ويمنع العبارة من أن تتحول إلى: فلما جاوزه والذين آمنوا معه. ذلك أن الضمير بدلالته على التمهيد للعطف أصبح قرينة على العطف مانعة من احتمال أى معنى آخر.

ومن ذلك أيضاً أمن اللبس بواسطة الضمير فى قوله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (يوسف ٢٣) فلولا ذكر الضمير لصارت العبارة: وراودته التى فى بيتها ومن هنا يصبح يوسف عليه السلام غير مرتبط بالإقامة فى البيت نفسه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (النمل ٩) إذ لولا ذكر الضمير (أنا) لتحولت العبارة إلى: إنه الله العزيز الحكيم وتحول معنى ضمير الغائب من الدلالة على الشأن إلى الدلالة على لفظ الجلالة الذى يصبح خبرا له لا خبرا لضمير المتكلم المحذوف.

٣ - تصدير الصلة :

صلة الموصول جملة مكتملة الركنية إلا بالنسبة لصلة «أى» التى قد تضاف ويحذف صدر صلتها. ذلك أن الصفة بمفردها لا تفى بمطالب النحو فى هذا الصدد فإذا لم يرتكز الوصل على دلالة الصفة فإن الوصل يحتم الضمير مبتدأ لها لتكون جملة الصلة مكونة من الضمير مبتدأ والصفة خبراً. ولعل السبب فى اختيار الضمير دون غيره من أقسام الكلم أن جملة الصلة من شأنها أن تشتمل على ضمير مطابق للموصول يعود إليه، تأمل قوله تعالى :

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة ٦١).

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ (الزخرف ٥٢)

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الأنعام ١٥٢)

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد ٣٣)

﴿أَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ أِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ (الزمر ٩)

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ (سبا ٢١)

﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل ١٢٥)

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ (مريم ٧٥)

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ (المؤمنون ٩٦)

﴿فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ (القصص ١٩)

فالضمير فى كل ذلك مطابق للموصول ولا يتحقق كمال الصلة إلا به .

وكلها يلزم بعده صلة على ضمير لائق مشتملة

٤ - الفصل والتأكيد :

الفصل بالضمير وسيلة من وسائل تأكيد معنى الإسناد فى الجملة وربما كان من

الأدلة على أن الضمير للفصل أن الجملة يتم أسنادها ومعناها بدونه فلا يضيف الضمير إلى معناها إلا جهة التأكيد ومن ثم لم يكن الضمير ركناً أركان الجملة ولم يكن له محل من الإعراب ففي عبارة مثل: إني أنا فلان يمكن أن تتحقق صحة التركيب وكمال المعنى بقولك: إني فلان كما يصح قولك: إنك الأقوى ويأتي التأكيد بواسطة الضمير فتقول: إنك أنت الأقوى ويجوز لك أن تقول: إن زيداً سيدهم وأن تؤكد ذلك بقولك: إن زيداً هو سيدهم . لاحظ هذه الظاهرة في الآيات الكريمة التالية:

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (طه ١٢)

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ (طه ١٤)

﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ (يوسف ٦٩)

﴿قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (الحجر ٨٩)

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الحجر ٤٩)

﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة ١٢٨)

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة ١٢٩)

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه ٦٨)

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان ٤٩)

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص ٣٥)

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة ١١٦)

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (النجم ٣٠)

﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ (الأنفال ٣٢)

﴿جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصفات ٧٧)

﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ (النحل ٩٢)

٥ - وقد يأتي الفعل بعد هذا الضمير

فيتطور معنى التأكيد إلى ما يشبه القصر كما يلي:

﴿وإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ (الحجر ٢٣)

﴿إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (الصفات ١٦٥ - ١٦٦)

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (السجدة ٢٥)

﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (التوبة ١٠٤)

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم ٤٣)

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم ٤٤)

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ (النجم ٤٨)

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر ١٠)

٦ - الشأن:

وقد نسب النحاة معنى الشأن للضمير إذا عاد على مضمون جملة لاحقة له فهو يعود دائما على متأخر لفظا ورتبة. ويتطابق ضمير الشأن تذكيرا وتأنيثا في الغالب مع المسند إليه في الجملة التي بعده كما في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ (البقرة ٨٥)

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء ٩٧)

إذ وقعت المطابقة أولا بين «هو» و«إخراجهم» ووقعت ثانيا بين «هي» و«أبصار»

ومن ذلك أيضا:

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ (الكهف ٣٨)

﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النمل ٩)

﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (يونس ٩٠)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

(الأنبياء ٢٥) ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ (غافر ١٢)

وقد يأتي الضمير للمقابلة إذ يقف بإزاء ضمير آخر أو اسم ظاهر بحيث تقوم علاقة سلبية بينهما وهذه العلاقة قد تكون مفاضلة أو مقارنة أو اختصاصا أو نحو ذلك ومن شواهد ذلك:

﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾

(الكهف ٣٩) ﴿أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يونس ٤١)

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي﴾ (ابراهيم ٢٢)

﴿تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ

الْغَفَّارِ﴾ (غافر ٤٢)

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (هود ١٢)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر ٢٢)

﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (البقرة ١٤٠)

﴿هَنْ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ﴾ (البقرة ١٨٧)

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢١٦)

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوةِ الْقُصْوَى﴾ (الأنفال ٤٢)

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (فاطر ١٥)
- ﴿ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الواقعة ٥٩)
- ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ (النازعات ٢٧)
- ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ (آل عمران ١٨١)
- ﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ ﴾ (طه ١٣٢)
- ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (الدخان ٣٧)
- ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ (النحل ٧٦)
- ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ (التوبة ٤٠)
- ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ (الأحزاب ١٣)
- ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ (المائدة ٧٢)
- ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنعام ٢١)
- ﴿ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ (لقمان ١٦)
- ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج ٤٦)
- ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص ١)

ب - الاشارات:

قلنا من قبل إن الحضور درجات أعلاها التكلم ثم يأتي بعده الخطاب وأدنى درجاته الإشارة ويتضح ذلك عند مقارنة الخبر وما يشتمل عليه من ضمير يعود على

المتبدأ في الجمل التالية:

أنا فعلتُ أنتَ فعلتَ هذا فعل

إذ يعود ضمير التكلم إلى المتكلم في الجملة الأولى وضمير الخطاب إلى المخاطب في الثانية وضمير الغيبة إلى الإشارة في الجملة الثالثة. فإذا عاد ضمير الغائب على الإشارة وهي للحضور فلا بد أن يكون حضور الإشارة أدنى درجة مما سواه. ويقوى هذا الزعم أن الإشارة تستعمل في الربط في مواقع صالحة للربط بضمير الغيبة عند ارادة الفصل به. ففي قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكُمْ خَيْرٌ﴾ (الأعراف ٢٦) يمكن أن يتحقق المعنى نفسه لو كان ضمير الغيبة «هو» في مكان الإشارة «ذلك» بحيث يكون التركيب: ولباس التقوى هو خير. وتحمل الإشارة «ها» التنيه متفردة بهذا من دون الكنائيات الأخرى دليل آخر على أن بينها وبين انتباه المخاطب ما يدعو إلى اثاره هذا الانتباه. وما أشبه هذه الهاء بأدوات النداء التي تساق أيضا لشحذ انتباه المخاطب لأن المنادى اسم ظاهر في قوة ضمير الغائب فتقاسمه معنيان: غيبة بحكم القاعدة وحضور بحكم السياق، شأنه في ذلك شأن الإشارة في بعض مواقعها.

وقد يتوسط الضمير بأنواعه الثلاثة بين «ها» وبين الإشارة فيقال:

هأنذا هأنذا هاهوذا

وفي التركيب الثالث السابق دليل آخر على عدم التنافي السياقي بين الغيبة والإشارة. ومن الملاحظ أن الاستعمال القرآني لهذه الصيغة التركيبية من الضمير والإشارة قد عرض علينا منها صوراً متعددة يخضع كل منها لدلالة السياق ويتناسب مع المعنى المقصود. انظر مثلاً إلى قوله تعالى في الآيات التالية:

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ

عِلْمٌ ﴾ (آل عمران ٦٦)

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ ﴾ (النساء ١٠٩)

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ﴾ (محمد ٣٨)

﴿ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ (آل عمران ١١٩)

﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ (البقرة ٨٥)

﴿ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَنْتَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ (طه ٨٤)

في الآيات الثلاث الأولى دخلت «ها» التنبيه على الضمير بحسب أصل الاستعمال ثم تكررت بدخولها على الإشارة فأصبح التنبيه مؤكدا تأكيدا لفظيا. والذي يلفت الانتباه في سياق هذه الآيات أنها جميعا آيات لوم وتأنيب إما للمحاجة بغير علم كما في الآية الأولى وإما للجاجة في الجدل كما في الآية الثانية وإما للبخل ضد الدعوة للانفاق على الجهاد في سبيل الله - وفي كل ذلك نرى تأكيد التنبيه إشارة إلى فداحة الجرم وإلى التهديد بالعقاب. أما في الآية الرابعة فإن «ها» التنبيه استعملت بحسب الأصل وقد سبقت الآية مساق النصح والتوعية وفي الآية الخامسة تقرير لما يحدث من نقض الميثاق الذي أخذه الله على بني اسرائيل ألا يقتلوا أنفسهم ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم فمع أن هذا الميثاق منعقد منذ كان آباؤهم الأولون تقرر الآية أنهم يخالفون وينقضون هذا الميثاق وقت نزولها - ومن شأن التقرير أن يقدم الأحداث الواقعة دون حاجة إلي البدء بالتنبيه ومن ثم بدأ الضمير «أنتم» دون أن تتقدمه «ها» التنبيه ولكن «ها» لحقت بالإشارة بعد ذلك على سبيل الجواز.

أما بالنسبة للآية الأخيرة فإن الله سبحانه غنى عن التنبيه ومن ثم حذفت «ها» التنبيه من الموضعين فلم يتقدم الضمير ولا تقدمت الإشارة عرفانا بأن الله جل شأنه يعلم ظاهر الأمر وباطنه وأن قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ (طه ٨٣) لم يكن لطلب العلم.

ويقودنا هذا إلى التفكير في النداء مرة أخرى فالنداء له أدوات يستفاد منها التنبيه بل إن إحدى أدوات النداء «ها» تشتمل على «ها» التنبيه متلوة بـ «يا» النداء والذي

نود إضافته هنا أن نداء لفظ الجلالة ولفظ «رب» في القرآن الكريم يراعى ما سبق أن أشرنا إليه من استغناء الله سبحانه عن التنبية ومن ثم ينادى لفظ الجلالة بإلحاق الميم به فيقال «اللهم» فلا نرى «يا» تتقدم عليه أبداً: وليست الميم هنا للتنبية لأن التنبية يأتى سابقاً لا لاحقاً. وأما الرب فإنه ينادى دائماً بحذف «يا» فيقال في نداءه: «رب» أو «ربنا». ويطرد ذلك في النص القرآنى إلا فى موضعين هما قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان ٣٠)

﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (الزخرف ٨٨)

وفى كلا الموضعين موقف انصراف المدعوين إلى التوحيد عن الدعوة حتى لقد كان النبي ﷺ على مشارف اليأس منهم. ومن شأن مواجهة المنصرفين أن يلجأ الداعية إلى التنبية ولكن التنبية هنا كأنما صادف قلبا مكانيا من حيث النظرة النحوية وذلك بإدخال «يا» النداء (وهى أداة التنبية) على لفظ الرب. وإن كان المقصود فى الحقيقة تنبيه المنصرفين عن قبول الدعوة.

والإشارة إما أن تستعمل مجردة نحو: ما هذا؟ أو أن يصحبها المشار إليه نحو: ما هذه الضجة؟ وإذا تأملنا الاستعمال القرآنى للإشارة المجردة عن المشار إليه وجدناها كثيرا ما تدل على الخط من قيمة المشار إليه أو التنديد به. انظر إلى قوله تعالى:

﴿أَهْؤُلَاءِ مَنَ اللّٰهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ (الأنعام ٥٣)

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (الأنعام ٨٩)

﴿هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ (الأعراف ٣٨)

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقَلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ (الأنفال ٣١)

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ (الأعراف ١٣٩)

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ﴾ (يونس ١٨)

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ (هود ٧٦)

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ (هود ١٠٩)

﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ (مريم ٢٣)

﴿مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء ٦٥)

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ (الشعراء ٥٤)

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (النمل ٦٨)

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورُ﴾ (فاطر ١٠)

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ (الزخرف ٢٩)

﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ (القمر ٤٣)

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (المطففين ٤ - ٥)

ويبدو أن الإشارة في قوله تعالى: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾

(الأعراف ٤٩) قد جاءت على سبيل الحكاية لأن الحالفين فيما يظهر أقسموا ألا ينال

الله «هؤلاء» برحمة فحكى قولهم للسخرية منهم لا من المشار إليهم. أما في قوله

تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾ (الكهف ١٥) و ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ (هود ٧٨) و ﴿هَؤُلَاءِ

ضَيْفِي﴾ (الحجر ٦٨) ونحو ذلك فإن ذكر المشار إليه حال بين هذه النصوص وأن

تكون شواهد على ما نقول.

ومن معاني الإشارة إفادة الشأن كما في قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا﴾ (الكهف ١٠٦) أى إنه جزاؤهم جهنم

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ (فصلت ٢٨) أى إنه جزاء أعداء الله النار

﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام ١٠٢) أى إنه الله ربكم لا إله إلا هو.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ (يونس ٣) أى إنه الله ربكم فاعبدوه
 ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ (الزمر ٦) أى إنه الله ربكم له الملك
 ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (غافر ٦٢) أى إنه الله ربكم خالق كل شئ
 ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر ٦٤) أى إنه الله ربكم
 ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ (فصلت ٢٣) أى إنه ظنكم الذى
 ظننتم بربكم أرداكم

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (الشورى ١٠) أى إنه الله ربي عليه توكلت
 أما إذا اتصلت بها الكاف فإنها تشير إلى المشبه به ومن ثم يمكن دعوى أنها
 أصبحت على معنى التشبيه كما فى قوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الانعام ١٢٢)
 ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الانعام ١٢٥)
 ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ (هود ١٠٢)
 ﴿وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَا قَوْمًا آخِرِينَ﴾ (الدخان ٢٧ ٢٨)
 ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الشورى ٣)
 ﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (الشورى ٧)
 ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى ٥٢)
 ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ (الكهف ١٩)
 ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ (الكهف ٢١)

وتكون الإشارة أحيانا على معنى الظرفية وذلك إذا أضيفت إلى كلمة تحمل معنى

الظرفية كعند وقبل وبعد النخ كما فى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (طه ٧٢) أى أثناء الحياة الدنيا فقط (هذه =

أثناء).

﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلُهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة ١٧٨) أى بعد هذه اللحظة

الحاضرة.

﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ (مريم ٢٣) أى فى ظرف سابق.

﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (التوبة ٢٨) أى بعد هذا العام

الحاضر.

إذ يكون لفظا «سابق» و «حاضر» ترجمة لمعنى الإشارة المذكورة فى الآية.

ج - الموصولات:

ينسب إلى الموصولات بصفة عامة أنها تدل على الغيبة وأنها تنقسم إلى موصول اسمى وموصول حرفى وأن الاسمى ينقسم إلى موصول خاص وموصول عام، وشرط الموصول الحرفى أن يدخل على صفة صريحة يكتسب منها معنى الغيبة لأن «ال» لا تفيد الغيبة بنفسها وإنما تكتسبها من الصفة المصاحبة لها. والمعروف أن الموصولات الخاصة هى «الذى» وفروعها وأن الموصولات العامة هى «من» و«ما» و«أى» ويأتى عموم معنى هذه الثلاث الأخيرة من دلالتها على عموم الشخص (أنا وأنت وهو) والنوع (هو وهى) والعدد (المفرد والمثنى والجمع من كل من الشخص والنوع). ولما كان لهذه الثلاث هذا العموم فى المعنى سهل نقلها من الموصولية إلى الشرط والاستفهام كما فى:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة ٤٤)

﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة ١١٠)

﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الاسراء ١١٠)

وكذلك:

﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران ١٣٥)

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ (النساء ١٤٧)

﴿قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ (الأنعام ١٩)

وهذا النقل من الموصولية كثيرا ما يصيب الموصولات الخاصة (الذى وفروعها) إذ يجرى استعمالها مع اشرابها معنى الشرط وذلك ما يدرسه النحاة تحت عنوان: «الإخبار بالذى والألف واللام». فإذا أريد باستعمالها معنى الشرط صدق عليها ما يصدق على الجملة الشرطية من اقتران خبرها بالفاء إذا تحققت فى هذا الخبر الشروط التى توجب ذلك فى جواب الشرط (وذلك أن يكون الخبر جملة اسمية أو طلبية أو ذات فعل جامد أو منفية بما أو لن أو مصدرية بقد أو بالسين وسوف) عندئذ تستعمل الجملة الخبرية استعمال الجملة الشرطية كما فى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٢٧٤)

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور ٢)

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور ٤)

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ (النساء ١٥)

أما إذا أريد مجرد الإخبار دون إرادة معنى الشرط فإن هذه الفاء تسقط من الخبر كما فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٢٦٢) فهذه الآية إخبار عما فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه فى النفقة على جيش العسرة ووعد له بالأجر عند ربه.

والمعروف أن الشرط يفيد العموم ومن ثم نجد الموصول عند اشرابه معنى الشرط مفيد للعموم أيضا غير أن إفادة الموصول للعموم ليست مقصورة على اشرابه معنى الشرط وإنما يرد في تركيب أخرى غير جملة الإخبار بالذی والألف واللام مقصودا به شمول عدد من المقاصد التي لا يتعين به أحدها كما في قوله تعالى:

﴿ وَلَئِن تَبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نصير ﴾ (البقرة ١٢٠)

إذ لم تعين الآية خصوص العلم المقصود وما إذا كان المقصود علمه باصرارهم على الجحود أو الوحي الذي نزل عليه الخ وكذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ (البقرة ١٧١)

فهذا الذي ينعق أى ناعق يفعل ذلك. ومن ذلك أيضا:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

الْمَسِّ ﴾ (البقرة ٢٧٥)

إذ هو شخص افتراضى أصابه مس من الشيطان. ومنه

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (الاسراء ٣٤)

إذ تشمل التي هي أحسن على طائفة من التصرفات الحميدة للمحافظة على مال اليتيم.

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ﴾ (المؤمنون ٩٦)

إذ تشمل التي هي أحسن عددا من الأمور منها العفو والكلمة الطيبة والتذكير بسابق المودة وأمورا أخرى كثيرة.

وقد يستعمل الموصول استعمال الضمائر في الربط النحوى وهو ما يسميه البلاغيون: «الإظهار في موطن الاضمار». عندئذ يستعمل الموصول ليحيل إلى مذكور سابق بوصفه بجملة الصلة في حالة الموصول الأسمى أو بالصفة المفترنة بأل في حالة الموصول الحرفى وذلك كما في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴿ (البقرة ٥٨ - ٥٩). أى فبدلوا

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِبَ بِأَسِ الدِّينِ كَفَرُوا ﴿ (النساء ٨٣ - ٨٤) أى أن يكف بأسهم.

﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴿ (النساء ١٥٣ - ١٦٠) أى فبظلم منهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿ (الانعام ٧) أى لقالوا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

(الأنعام ٢٥) أى يقولون .

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (الأعراف ١٦١ - ١٦٢) أى فبدلوا .

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة ٣) أى وبشرهم .

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
(التوبة ٩٠) أى وقعدوا .

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ
بَدَّلَهُ﴾ (يونس ١٥) أى قالوا

﴿وَلَكِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ﴾ (هود ٧) أى ليقولن

أما شواهد الموصول الحرفى فمنها قوله تعالى :

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ
يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام ٣٣) أى ولكنهم .

﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ

فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يَلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ (الفرقان ٧ - ٨) أى وقالوا .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (الفرقان ٢١ - ٢٢) أى لا بشرى يومئذ لهم .

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ (الشعراء ١٧٣) أى فسَاء مطرهم .

وقد يقصد بالموصل الإبهام بإخفاء ما يصفه الموصول أو يخبر عنه لغرض أسلوبى ما مع الاكتفاء بذكر الموصول كما فى قوله تعالى :

﴿وَرَأودتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴿٢٣﴾﴾ (يوسف ٢٣)

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴿٩٢﴾﴾ (النحل ٩٢)

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴿٩١﴾﴾ (الأنبياء ٩١)

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴿١﴾﴾ (المجادلة ١)

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴿٦١﴾﴾ (البقرة ٦١)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴿٢٥٨﴾﴾ (البقرة ٢٥٨)

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأنعام ٧٩)

﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٥٣﴾﴾ (الأعراف ٥٣)

﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴿٩٠﴾﴾ (يونس ٩٠)

﴿إِن أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴿٥١﴾﴾ (هود ٥١)

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ﴿٢١﴾﴾ (يوسف ٢١)

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر ٦)

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (الإسراء ١)

﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ (الكهف ٣٧)

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (مريم ٧٧)

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور ١١)

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ (الفرقان ١)

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحَيَلَةَ الْأُولِينَ﴾ (الشعراء ١٨٤)

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ

اللَّهِ﴾ (الأحزاب ٣٧)

﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس ٢٢)

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر ٣٨)

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (الزخرف ١٣)

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ (الأحقاف ١٧)

﴿رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ (الماعون ١)

وقد يفيد الموصول معنى المصدرية ويتحقق ذلك بواسطة «الذي» وبواسطة «ما» المنقولة من الموصولية إلى المصدرية ويسمى النحاة: «ما المصدرية» ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ (التوبة ٦٩) أى كخوضهم.

﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا﴾ (الروم ٤١) أى بعض عملهم.

﴿فِيمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ (غافر ٧٧) أى بعض وعدنا إياهم

﴿أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ (الزخرف ٤٢) أى وعدنا إياهم به .

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة ٣) أى ينفقون من رزقنا إياهم .

﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ (البقرة ١٣) أى كإيمان الناس .

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة ٥٩) أى

بسبب سابق فسقهم

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ (البقرة ٦١) أى بسبب عصيانهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة ٧٧) أى يعلم إسرارهم وإعلانهم .

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة ١٣٤) أى لها كسبها ولكم كسبكم .

﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ (آل عمران ٧٩) أى بسبب سبق

تعليمكم الكتاب .

﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران ٩٨) أى والله شهيد على عملكم .

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ (آل عمران ١٥١) أى

بسبب اشراكهم بالله .

﴿وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران ١٥٢) أى بعد إراءته إياكم .

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النَّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ

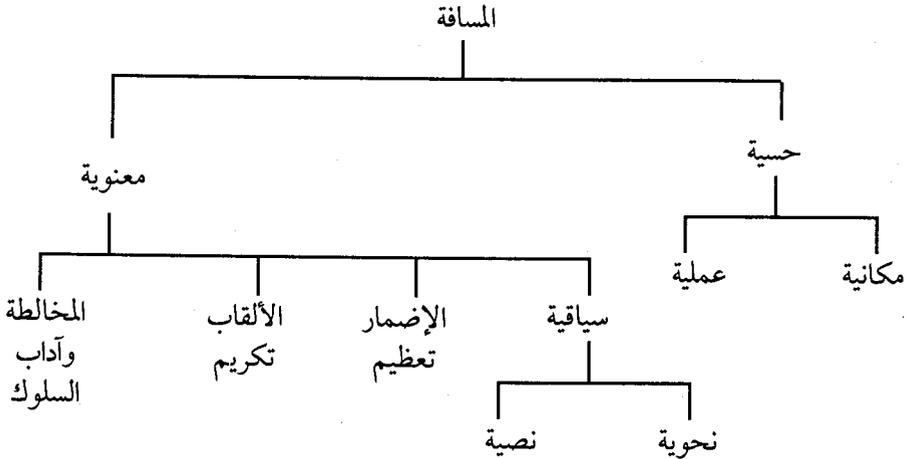
أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء ٣٣) أى بسبب التفضيل والإنفاق .

﴿أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ (النساء ٤٧) أى كلعنا أصحاب السبت .

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ (النساء ٦٥) أى من قضائك .

مفهوم المسافة في النص القرآني

لكل حقل من حقول الفكر ثوابته المعيارية PARA METERS أو أصوله المجردة التي تتفرع عنها مفردات أفكاره التي تلتزم بمطابقة هذه الأصول. يصدق ذلك على الفكر العلمي المنهجي وعلي العرف الاجتماعي وعلى كل صور الحياة الإنسانية العامة. ومن الثوابت التي تراعى في أصول الفكر ثابت المسافة الذي يقوم على معيارين مهمين هما معيارا القرب والبعد. وقد تكون المسافة حسية وقد تكون معنوية فإذا كانت حسية فقد تكون مكانية وقد تكون عملية، أما إذا كانت معنوية فإن مجالها هو العلاقات السياقية والاجتماعية. دعنا إذاً نوضح ذلك بالبيان التالي:



أما مكانيا فالمعلوم أن العلاقات الإنسانية والمناسبات الاجتماعية تحكم في مقدار القرب الجسدي بين إنسان وإنسان فالله سبحانه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص فالمناسبة هنا وفي الصلاة أيضا مناسبة ضم الصفوف ولا ضير في أن يلتصق الجسم بالجسم حتى يحس كل من المتلاصقين درجة حرارة صاحبه. أما فيما عدا ذلك فالمصافحة قد تقارب بين الرجلين إلى درجة المعانقة أو تباعد بينهما

إلى درجة انحناء أحد الطرفين أو تقبيلة يد الآخر. وإذا كان ذلك بين الرجل والرجل فهو أوضح بين الرجل والمرأة والله سبحانه يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الأحزاب ٥٣) بل إن ذلك ليلبغ غض البصر عند إمكان الرؤية ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور ٣٠) إن القرب المكاني في القرآن لا يقل إلا درجة واحدة في أثره عن إصابه من في المكان نفسه ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ (الرعد ٣١) ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (ق ٤١). والبعد المكاني جاء به النص القرآني في مجال الدعاء في عدد من الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود ٤٤) وقوله سبحانه: ﴿أَلَا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ (هود ٩٥) وللدلالة على المجافة والأغراق فيها نحو ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة ١٧٦) وكذلك ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (إبراهيم ٣) وأيضا: ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (الحج ١٢) وقد ينفي البعد للدلالة على القرب نحو ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود ٨٣) وكذلك: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ (هود ٨٩) وكذلك: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تَحِطْ﴾ (النمل ٢٢).

أما من الناحية العملية فقد جعلت العبادة اقترابا من الله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق) أو تقربا إليه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر ٣). والقربى واجبة الرعاية بحسب النص القرآني: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ (النساء ٣٦) غير أن القسط والعدل يفضل على القربى ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴿ (الأنعام ١٥٢) وكذلك: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَّ قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (التوبة ١١٣). ولا تنفع القربى شيئا يوم القيامة ﴿وَلَا تَرْرُ وَأَزْرَةٌ وَزَّرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (فاطر ١٨). وحين قالت سبأ ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ ١٩) جعلهم الله أحاديث ومزقهم كل ممزق.

كان ذلك شأن المسافة المكانية والعملية في النص القرآني الكريم. والمسافة السياقية إما نحوية وإما أسلوبية نصية. فأما من الناحية النحوية فقد عنى النحاة العرب منذ بداية انشغالهم بالكشف عن نظام النحو بتجريد هذه الثوابت والأصول التي تنضوى تحتها قواعد البناء النحوي للغة. دعنا نضرب من الأمثلة ما يوضح صدق هذا القول بأن نظراً إلى عدد من الثوابت وليكن أولها محور أقسام الكلم. فلهذا المحور أقسام متعددة منها الاسم والفعل والحرف الخ، والعلاقة بين كل قسم منها وصاحبه علاقة تقابل وسلب بمعنى أن القسمين لا يجتمعان في عنصر لغوي واحد في جملة بعينها ولكن كلا منهما يتقاطع مع الأقسام الأخرى عند الاستعمال. فإذا نظرنا مثلاً إلى عناصر جملة مثل: «أكل الغلام التفاحة» وجدنا الثوابت تتقاطع على النحو التالي:

الكلمة	القسم	الشخص	العدد	النوع	التعين	الذكر	الإعراب	انضمام	العلاقة السياقية	الوظيفة
أكل	فعل	للغائب	المفرد	المذكر	-	ظاهر	مبنى	مفتقر إلى فاعل	متقدم / متعد	ماض (حدث + ماضى)
الغلام	اسم	غائب	مفرد	مذكر	معرفة	ظاهر	مرفوع	عملة	متأخر	فاعل
التفاحة	اسم	غائب	مفرد	مؤنث	معرفة	ظاهر	منصوب	فضلة	رتبة غير محفوظة	مفعول به

وهكذا تعتمد وظيفة الكلمة المفردة في هذه الجملة بذاتها على تقاطع هذه الثوابت المجردة التي نراها في عناوين رؤوس الجدول ووحدات هذا التقاطع هو اللبانات التي تبنى بها الصياغة ويقوم عليها صرح المعنى ويؤمن بها اللبس وفيما يلي جملة من هذه الوحدات:

الثابت	فروعه
التقسيم	اسم ، فعل ، حرف الخ
الشخص	تكلم ، خطاب ، غيبة
العدد	إفراد ، ثنائية ، جمع
النوع	تذكير ، تأنيث
التعيين	تعريف ، تنكير
السمة	إعراب ، بناء
الذكر	إظهار ، إضمار ، استتار ، حذف
التضام	افتقار ، اختصاص ، استغناء ، توارد
الصوغ	تجرد ، زيادة ، تصريف (إعلال أو ابدال أو نقل أو حذف)
الرتبة	حفظ ، تقديم ، تأخير
الإعراب	رفع ، نصب ، جر (تحقيق أو تقدير)، محل إعرابي، علاقة نائية
العلاقة السياقية	تعد ، لزوم ، سببية ، معية ، الخ
المأخذ	جامد ، مشتق
التمكين	منصرف ، ممنوع من الصرف
التعديل	تصحیح ، تكسير
السبك	مسند ، مركب ، مفرد
الأهمية	عمدة ، فضلة
المسافة	قرب ، بعد
نوع الإبلاغ	خير ، إنشاء

ويمكن لأحد هذه الفروع أن يتفرع فالفعل ماض ومضارع وأمر وفيه حدث وزمن والمؤنث حقيقى أو مجازى والاستنار واجب أو جائز الخ.

ولقد حظى معظم الثوابت السابقة بالكلام المسهب من النحاة ماعدا ثابت المسافة بفرعيه: القرب والبعد، إذ إن عنايتهم بالمسافة كانت محدودة بالحدود الضيقة التالية:

١ - قد تكون الإشارة إلى قريب أو إلى بعيد.

٢ - قد يكون المنادى قريبا أو بعيدا وكذلك المشار إليه .

٣ - الضمير يعود إلى أقرب مذكور .

ويقف بهم النظر عند هذا الحد . ولكننا سنرى فيما يلي أن تطبيق ثابت المسافة لا ينحصر في هذه الصياغات النحوية وإنما يمتد إلى غيرها . فمن الواضح أن أية علاقة نحوية بين عنصرين من عناصر السياق إنما تكون أوثق سبكا وأبعد عن اللبس إذا قرب أحد العنصرين من الآخر وليس هذا الأمر محصورا في المجالات الثلاثة السابقة الذكر . فقرب أحد طرفي الإسناد من الآخر وقرب المتعدى من المفعول به وقرب التابع من المتبوع وقرب الشرط من الجواب وعدم الفصل بين المتلازمين كل أولئك يشهد على فضل التقارب بين العنصرين المترابطين . غير أن القرب لا يكون ضرورة إلا عند خوف اللبس ، فإذا أمن اللبس بسبب قيام قرينة دالة على المعنى كان من الممكن الترخص في القرب بواسطة المطل أو الفصل أو الاعتراض أو غير ذلك كما سنرى فيما بعد .

١ - الضمير ومرجعه :

أ - عند عدم وجود القرينة على المعنى المراد ينبغي للضمير أن يعود كما يقول النحاة إلى أقرب مذكور ولاسيما إذا كان في ذلك ما يرجح أحد المعنيين على الآخر . يشهد على ذلك قوله تعالى : « وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ » (النساء ٨١) ، إذ إن في الفعل «تقول» ضميراً مستترا تقديره «هي» يعود على الطائفة ، أى أن الطائفة قالت : «طاعة» وبيئت معصية . وليس الأمر كما قال القرطبي رحمه الله من أنهم «بدلوا قول النبي ﷺ فيما عهده إليهم وأمرهم به» لأن الآية لم تشتمل على قول قاله النبي ﷺ . ولو كان الأمر على ما زعمه القرطبي وغيره لكان الضمير راجعا إلى من أضمّر له بالكاف من «عندك» أى راجعا إلى النبي ﷺ مع أنه لم تجر الإشارة في الآية إلى قول قاله بعكس ما قالوه هم وهو إعلان الطاعة . ومن هنا يكون عود الضمير إلى الطائفة هو الأولى . ويعضده قرب المسافة بين الضمير ومرجعه .

ب - ومن العود إلى أقرب مذكور أيضا ما نجده فى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا

تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا

إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴿ (البقرة ٢٣٠) إذ جاء ذكر الفعل

«طلقها» فى الآية مرتين مشتملا فيهما على ضمير مستتر دال على الفاعل. وهذا

الضمير يعود فى الحالة الأولى على الزوج الأول الذى استوفى الطلقات الثلاث

والمرجع متصيد من سياق الكلام. أما فى الحالة الثانية فضمير الفاعل يعود إلى

أقرب مذكور وهو المقصود بقوله: «زوجا غيره» فإذا طلقها هذا الزوج الثانى

فالأول أن يراجعها ولا جناح عليهما فى ذلك. وهكذا يعود الضمير إلى أقرب مذكور.

ج - أما إذا وجدت قرينة على المعنى وأمن معها اللبس فإن الضمير يمكن أن يعود

إلى أبعد مذكور. ففى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ

(٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عَصَبٌ إِنَّا بَأْنَا لِنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

(٨) أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

صَالِحِينَ ﴿ (يوسف ٧ : ٩) يعود الضمير فى «قالوا» إلى أبعد الجماعتين المذكورتين

وهى جماعة الإخوة لا إلى أقربهما وهى جماعة السائلين، ويعضد هذا القول

سبب تركيبى وقرينة عقلية. أما السبب التركيبى فلو جاء مقول القول (وهو كل

ما جاء بعد لفظ «قالوا») تاليا للإخوة مباشرة لبعثت المسافة بين «كان» واسمها

إلى درجة تذهب بوضوح المعنى من جهة وبحسن السبك من جهة أخرى، ومن

ثم وضع اسم كان وهو «آيات للسائلين» فى مكانه من الآية فاصلا بين الضمير

فى «قالوا» وبين مرجعه وهو الإخوة. وأما القرينة العقلية التى تدل على أن

الضمير للإخوة دون السائلين فتمثل فى أمرين أحدهما أن السائلين كانوا

معاصرين للنبي ﷺ فلا يتبادر إلى الذهن أنهم أبناء لأبى يوسف عليه السلام

وأخيه. والثانى أن الإخوة أضيفوا إلى ضمير يوسف فى لفظ «إخوته» كما

أضيف الأب إلى ضميرهم هم فى قولهم: «أبينا» فاجتماع الإضافتين دليل على

أن الإخوة هم مرجع الضمير فى «قالوا».

د - ومن ذلك ما نجده فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة ٦٧) إذ يستمر بنو إسرائيل فى مناكفة موسى بتكرار الأسئلة إليه عن البقرة المطلوبة حتى نهاية الآية رقم ٧١. عندئذ يأتى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا﴾ (البقرة ٧٢ - ٧٣) فالضمير فى «بعضها» لا يعود إلى أقرب مذكور وهو «نفسا» وإنما يعود من الآية ٧٣ إلى البقرة التى ذكرت فى الآية ٦٧. ولاشك أن المسافة بين الضمير فى «بعضها» و مرجعه من البعد بحيث يتطلب إرجاع الضمير قدرا من شحذ الذاكرة وبخاصة لأن القتل كان «نفسا» بلفظ مفرد يتفق إفراداً وتأنيثاً مع الضمير فى «بعضها» غير أن الفعل «اضربوه» أضفى على النفس المقتولة من التذكير ما يحول بينها وبين أن تكون مرجعا فى «بعضها». وبذا يعود الضمير إلى البقرة ويكون المعنى: فقلنا اضربوا القتل ببعض البقرة المذبوحة وهو ذيلها. وهكذا يعود الضمير عند وجود القرينة إلى أبعد مذكور.

هـ - قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا﴾ (الكهف ٣٢ - ٣٤). لو أعدنا الضمير فى «له» إلى أقرب مذكور لعاد إلى «نهر» ولكن جملة «فقال لصاحبه» فى موقعها من السياق ربطت الضمير فى «له» بالضمير فى «صاحبه» فجعلتهما لمرجع واحد وهكذا حالت دون عود الضمير إلى «نهر».

و - قال جل شأنه: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا

إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴿ (البقرة ٢٦٦). هنا أيضا لو أعدنا الضمير إلى أقرب مذكور لعاد الضمير في «تحتها» إلى الأعناب والضمير في «فأصابها» إلى الذرية الضعفاء غير أن الأعناب لا تستقل بالوجود وإنما تصحبها النخيل ومنهما تتكون الجنة وبذا تجرى الأنهار تحت الجنة وكذلك قد تكون الذرية من الضعفاء بحيث يكون هلاكها أمرا مطلوبيا كما كان الجاهليون يثدنون البنات مثلا ومن هنا لا يعد فقدانها كارثة تستحق التألم والندم. أما الجنة فقد فصلت الآية لها من المزايا ما يدعو إلى الحرص عليها والاعتزاز بها فلو أصابها إعصار فيه نار لكان ذلك كارثة ولا سيما إذا كان لصاحبها ذرية ضعفاء لا تستطيع السعى لكسب الرزق بعد احتراق الجنة. وهكذا يعود الضمير في «أصابها» إلى أبعد مذكور وهو الجنة. والمعروف أن جملة الاستفهام الإنكارى إذا اشتملت على حرف النفي كان تفسيرها بالجملة المثبتة نحو ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون ١٠٥) أى لقد كانت آياتي تتلى عليكم. أما إذا لم تشتمل على النفي فإن تفسيرها يكون منفيا ومن هنا يكون تفسير الآية السابقة: لا يود أحدكم أن تكون له جنة الخ.

ومعنى ما سبق من الشواهد أن الاعتبارات الدلالية تحول دون ارتباط عود الضمير بالضرورة بقاعدة نحوية معينة أى أن قول النحاة إن الضمير يعود إلى أقرب مذكور لا ينبغي أن يقبل قبولا مطلقا إذ قد يتطلب المعنى عودة إلى أبعد مذكور كما رأينا ذلك فى الشواهد القرآنية السابقة.

٢ - المسافة بين طرفي الإسناد:

الأصل فى طرفي الإسناد أن يتقاربا ولكن وجود القرينة الدالة على المعنى يبرر التباعد بينهما إما إلى درجة ضئيلة كالفصل بينهما بإحدى مفردات الجملة أو ملحوظة كتوسط الجملة المعترضة بينهما. وفيما يلي بعض الشواهد على بعد المسافة بين طرفي الإسناد:

أ - قال تعالى: ﴿فَأَخْرَأَنَ يَقُومَانَ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾

(المائدة ١٠٧) هنا جاء وصف المبتدأ بجملة باعدت بينه وبين الخبر وسوغت

الابتداء به وهو نكرة، ثم جاء الخبر فعرفة. وتقدير المعنى: فأخرا ن قائمان ففاهما هما الأوليان بذلك. ولما كان الابتداء بالنكرة هنا له فاسوغه وهو الوصف أصبح ارتباط الخبر بالابتداء ففهوفا على رغم ورود الخبر «الأوليان» بعد الفعل «استحق» مما يجعله يشبه أن يكون فاعلا لهذا الفعل.

ب - قال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿ (آل عمران ٢ - ٤) فقصد الإسناد فى الآية: الله نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل وأنزل الفرقان. فالابتداء لفظ الجلالة والخبر جملة نزل عليك الكتاب وقد عطف عليها جملتان أخريان. وقد فصل بين المبتدأ «الله» والخبر «نزل عليك الكتاب» بقوله: «لا إله إلا هو الحى القيوم» على سبيل الاعتراض وقد كان يمكن لدى النظرة العجلى أن يقال إن جملة «لا إله إلا هو» هى خبر المبتدأ ولكن القرينة الدالة على غير ذلك هو تكرار عطف الأفعال الدالة على إنزال الكتب المقدسة مما يدل على إرادة الإخبار عن فضاينها.

ج - قال جل شأنه: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (السجدة ٢). المبتدأ لفظ «تنزيل الكتاب» والخبر «فن رب العالمين» وفا بينهما جملة فعتراضة. ولو ارتضينا أن يكون «لا ريب فيه» هو الخبر لكان المعنى نفيا لأن يكون سبحانه قد ارتاب فى التنزيل والتقدير أن تنزيل الكتاب لم يصادف ارتيابا فن الله تعالى. والمعروف أن نفى الدعوى يفهم فنه إفكان وقوعها فيما سبق وذلك بمفهوم المخالفة. ولم يدع أحد على الله سبحانه فثل ذلك.

د - قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ (السجدة ٤). المبتدأ لفظ الجلالة وقد وصف بالموصول وصلته وفا عطف على صلته قبل أن يأتى الخبر وهو: «فا لكم فن دونه فن ولى ولا شفيع». فإن قال قائل إن الخبر هو الاسم

الموصول «الذى» وإن جملة «ما لكم من دونه.. الخ» استثناء فالجواب أن الإخبار يكون بالمجهول وبالمجحد لا بالمعلوم. والمعروف أن المخاطبين كانوا يعلمون أن الله هو خالق السموات والأرض «وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» (الزمر ٣٨). وإذا كان ذلك كذلك وكان معلوما أنهم كانوا يقولون عن الأصنام: «هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» (يونس ١٨) فمن المعقول أن يكون الخبر هو «مالككم من دونه من ولى ولا شفيع».

هـ - قال تعالى: «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا» (الأنعام ١٥٨). الأصل فى الفاعل أن يتصل بالفعل والأصل فى المفعول أن يفصل عن الفعل بحيث تكون الرتبة: (فاعل + مفعود به). من هنا يصبح الفصل بين الفعل وفاعله أدعى للانتباه من الفصل بين الفعل ومفعوله على رغم ما بينهما من علاقة التعدية. فإذا نظرنا إلى موضع الفاعل «إيمانها» بالنسبة إلى الفعل «ينفع» والمفعول به «نفسا فى هذه الآية الكريمة وجدناه مغايرا للرتبة التى أشرنا إليها منذ قليل. فإذا تصورنا تقديم الفاعل بحيث يكون فى رتبته الأصلية متقدما على المفعول واجهنا عود الضمير إلى متأخر لفظا ورتبة «لا ينفع إيمانها نفسا» وإذا تصورنا تأخيرها إلى آخر الجملة «لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا إيمانها» واجهنا ضعف العلاقة بين الفعل والفاعل لطول المسافة بينهما مما يؤدى إلى سوء السبك.

و - قال سبحانه: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» (البقرة ١٢١) المبتدأ هو الموصول «الذين» والخبر جملة «يؤمنون به» وما بينهما صلة «آتيناهم الكتاب» وحال «يتلونه حق تلاوته» ورابطة «أولئك» ولا يجوز تحويل هذه الرابطة إلى مبتدأ على سبيل الاستثناء لأن فى هذا الإعراب إقراراً بأن اليهود كانوا يتلون الكتاب حق تلاوته مع أنهم بدلوا التوراة وحرفوها وحملوها فلم يحملوها. أما على معنى الربط باسم الإشارة بين المبتدأ والخبر

فإن الذين يتلون الكتاب حق تلاوته طائفة من اليهود وليسوا جميعهم. وهكذا دلت القرينة على بعد المسافة في الاسناد.

ز - قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة ١٨٠). بعدت المسافة بين الفعل «كتب» ونائب فاعله «الوصية» بمقدار جملتين شرطيتين يفهم جوابهما ما تقدم عليهما من قوله «كتب عليكم». والذي يسر وقوع جملتي الشرط في موقعهما من الآية أنهما تمثلان قيدا على مفهوم «كتب عليكم» أى على وجوب الوصية. والمعروف أن القيد فى سباق النص جزء لا يتجزأ من هذا النص. ولذا كان بعد المسافة بين الفعل ونائب فاعله أمرا مقبولا.

٣ - نسخ الجملة الخبرية:

أ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ١٦٤) الأصل فى رتبة اسم «إن» أن يليها مباشرة وألا يفصل الخبر بينهما إلا أن يكون الخبر ظرفا أو جارا ومجرورا فيكون تقديمه والفصل بينهما أفضل ومناطق الكلام عن الآية هنا هو التنبيه إلى بعد المسافة بين إن واسمها المنفصل عنها بالخبر المجرور بالحرف وبرر بعد المسافة فى هذه الآية أن ما عطف على الخبر فهو من الخبر وما عطف على الفاعل فهو فاعل أو على المفعول فهو مفعول وهلم جرا - وبذا تكون الحصيلة فى تركيب الآية أن الخبر تقدم على الاسم ولا عبرة بتعدد ما عطف عليه ومن المعروف أن تقدم الخبر فى هذه الحالة مؤشر أسلوبى معتاد يحمل من المعنى مالا يحمله إن وقع فى رتبة التأخر وقد مر منذ قليل أن الفصل به بين إن واسمها أفضل من

تأخره. هذا هو المبرر، أفا القرينة الدالة على المعنى على رغم بعد المسافة فتتمثل أولاً في الحركة الإعرابية وهى الكسرة التى على المعطوفات كما تتمثل فى اللام المزحلقة المقترنة باسم إن المتأخر لعدم صلاحية الخبر أن يقترن بها لتقدمه.

ب - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٦٢) بعدت المسافة بين «إن» وخبرها لتعدد المعطوفات على اسم إن وهو أفر لا تأثير له فى وضوح المعنى كما سبق القول. ثم جاء خبر إن فى صورة جملة شرطية توالى فيها المعطوفات على فعل الشرط فلم يكن لذلك تأثير على وضوح المعنى كذلك لأن فا عطف على الشئ فله حكمه ووظيفته النحوية. ثم يأتى جواب الشرط آخر الأفر ففقرنا بالفاء لأنه جملة اسمية ويظل المعنى واضحاً لوفرة القرائن.

ج - قال سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة ٩١) تقدم خبر ليس المجرور بالحرف ثم عطف عليه فعطوفان ثانيهما فوصول وصلته ثم جاء اسمها نكرة فؤخرا وقيد الإسناد بشرط النصح لله ورسوله. وهكذا كانت المسافة بين ركنى الجملة بمقدار فا عطف على الخبر المقدم. وقد سبق القول إن فا عطف على الخبر فهو فن الخبر. وبذلك لا يتأثر وضوح المعنى ببعده المسافة ويظل حسن السبك قائماً فى سياق الكلام.

٤ - التعدية:

أ - قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة ١٠٥) قلنا إن الأصل فى الفاعل أن يتصل بالفعل والأصل فى المفعول أن ينفصل عن الفعل فيأتى بعد الفاعل. ولقد جاءت رتبة

فكونات الجملة فى هذه الآفة على أصل الصفاة. غير أن الفاعل جاء ممطولا بصلته وبعدها صفة فكونة فن جار وفجرور وفضاف إليه وبعده فعطوف على المضاف. وهكذا بعدت المسافة بين الفعل وفعوله وهو المصدر المؤول فن أن والفعل «ينزل». ولو أن هذا المفعول حذف فن هذه الجملة فا كان هناك دليل عليه ويظل القارىء يبحث عما يصلح لشغل فكان المفعول به فلا يجد شيئا يصلح لذلك ويظل المعنى بهذا عرضة للنقص والغموض. وهذا الموقف الباحث عن المفعول فن قبل السافع يسهل إدراك العلاقة بين الفعل «يود» وفعوله المصدر المؤول «أن ينزل» فيعد قرينة على المعنى يهون فعها بعد المسافة.

ب - قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ (البقرة ١٦٨) جاءت الآفة على أصل الرتبة النحوية ولكن بين الفاعل والمفعول فاصلا فن الجار والمجرور الموصول وصلته «مما فى الأرض» ولما كان الجار والمجرور فن تتمه فا تعلقا به لم يكن هناك بأس فن المطل بهما.

ج - قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ﴾ (البقرة ١٧٧) المعروف أن الفعل «أعطى» وفا فى فعناه فثل «أتى» ينصب ففعلولين أولهما الآخذ والثانى هو المأخوذ فهما جاء ترتيبهما. والآخذون فى هذه الآفة هم ذوو القربى وفن عطف عليهم والمأخوذ هو المال. وهكذا جاء الفصل بالمفعول الثانى وفا بعده فن الجار والمجرور بين الفعل «أتى» وفعوله الأول لأن هذه الرتبة لو جاءت على أصلها فتأخر المفعول الثانى وهو المال لطلال الأول بما عطف عليه فأتى بعده الثانى كلمة مفردة على فسافة بعيدة فن الفعل فساء سبك الجملة. وقد عكست رتبة المفعولين أيضا فى قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة ٢٦٩) لأنها لو جاءت على أصلها لظن السافع الحكمة ففعلولا للفعل «يشاء».

د - قال جل شأنه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ (البقرة ١٩٠) فصل

بالجار والمجرور «فى سبيل الله» بين الفعل والمفعول به «الذين يقاتلونكم» لأن الجار والمجرور فن تنمة فعنى الفعل ولو تأخر الجار والمجرور فكان التركيب «وقاتلوا الذين يقاتلونكم فى سبيل الله» لتعلق الجار والمجرور بالفعل «يقاتلونكم» وانقلب المعنى فكان الكفار هم الذين يقاتلون فى سبيل الله.

هـ - قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ١٠١).

فاعل الفعل «نبذ» فوصوف بجار وفجرور فحلا وصلة المجرور قبل أن يأتى المفعول به «كتاب الله» ولكون الموصوف وصفته فترابطين كالمشء الواحد لا نجد فى التركيب فا يحول دون وضوح المعنى. أضف إلى ذلك أن رتبة عناصر الجملة جاءت على أصلها.

٥ - الموصوف وصفته:

أ - قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ

الْغَيْبِ﴾ (سبأ ٣) فصل بجواب القسم «لتأتينكم» بين المقسم به «وربى» وصفته «عالم الغيب» لأن الجواب كان ردا على جحدهم فجىء الساعة. وفن ثم كان إيراد الجواب فوكداً بالنون الثقيلة هو الغرض الذى سبق الخطاب فن أجله فكان أولى أن يتقدم على صفة فعلوفة لافراء فيها فن صفاته تعالى «عالم الغيب».

ب - قال جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمِ الْغُيُوبِ﴾ (سبأ ٤٨) قرأ بنصب

«علام» عيسى وابن أبى اسحق وزيد بن على وابن أبى عبلة وأبو حيوه وحرب عن طلحة كما قرأ الجمهور بالرفع. فعلى نصب «علام» تتجلى أهممية خبر «إن» وهو «يقذف بالحق» بالنسبة لسياق النص، لأن النص يبدأ فن أول اتهافهم القرآن بأنه إفك وسحر ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ

يَصِدُّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿سبأ ٤٣﴾ وكانت دعواه هذه بلا دليل
فن كتب يدرسونها أو نذر قبل فحمد ﷺ. لهذا دعوا إلى أن يقوفوا فثنى
وفرادى ثم يتفكروا فى أحوال صاحبهم الذى لم يسألهم أجرا على جهده فى
فحولة هدايتهم وسيرون أنه فابصاحبهم فن جنة وأن القرآن حق قذفه الله علام
الغيوب. فرة أخرى تعطى قراءة النصب خير إن رتبة التوسط بين اسمها وصفته.

ج - وفرة أخرى نسوق قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا
لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام ١٥٨)، للإشارة هذه
المررة إلى الفصل بين الموصوف «نفسا» وصفته «لم تكن آفت. . . الخ» بواسطة
الفاعل «إيمانها». وقد أشرنا فن قبل إلى أن فوق هذا الفاعل فن الآية لا يجوز
تقديمه ولا تأخيرها لأسباب نحوية وأسلوبية. أفا نحويا فلو تقدم الفاعل على
المفعول لعاد الضمير فنه إلي فتأخر لفظا ورتبة. وأفا أسلوبيا فلو تأخر الفاعل
إلى فابعد استيفاء المفعول لصفته لضعفت العلاقة بين الفعل وفاعله وساء
السبك لأن هذا الفاعل لفظ ففرد ولذا يحسن تقديمه على فافهو أطول فنه فن
العناصر.

د - قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ
الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيَّتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿
(النساء ١٣٨-١٣٩) جاء وصف المنافقين فى هذه الآية بأنهم «الذين يتخذون
الكافرين أولياء فن دون المؤمنين» وتعلق الجار والجرور «بأن لهم عذابا أليما»
بالفعل «بشر» فاصلا بين الموصوف «المنافقين» وصفته «الذين يتخذون. . . الخ»
فكان التركيب كأنه لف ونشر فرتب إذ جاء الأول للأول والتالى للتالى
فاستوفى الفعل فاتعلق به قبل أن يستوفى المفعول صفته. ولو تأخر الجار
والمجرور إلى فابعد الصفة لكان البعد سببا فى ضعف العلاقة بينه وبين
الفعل، وهذا الضعف وجه فن وجوه سوء السبك.

هـ - قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿ (النساء ١٤٠ - ١٤١)

فصلت الآية بين الموصوف «المنافقين والكافرين» وصفته «الذين يتربصون بكم» بفاصلين أحدهما الجار والمجرور المتعلق بخبر إن «جافع» والآخر التوكيد المعنوي «جميعا». فهنا أيضا لف ونشر فرتب كالذى فر بنا فى الآية السابقة. ولو تأخر الجار والمجرور إلى فا بعد الصفة لصار التركيب: «إن الله جافع المنافقين والكافرين الذين يتربصون بكم فى جهنم» لتبادر إلي الذهن أن التربص يحدث فى جهنم لمجىء الجار والمجرور بعد الفعل «يتربصون».

و - قد توصف النكرة بالمعرفة دون رعاية للمطابقة فى التعريف والتنكير بشرط وصف النكرة بنكرة أخرى تتوسط بينها وبين الوصف بالمعرفة، وعندئذ تكتسب النكرة قدرا من التخصص يقر بها فن المعرفة فيبرر وصفها بالمعرفة؛ تأفل قوله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ (الهمزة ١ - ٢).

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (ق ٢٤ - ٢٦).

﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مِّنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ الْغَيْبِ﴾ (ق ٣٢ - ٣٣).

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

(٢٣) الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ (الحديد ٢٣ - ٢٤)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ

بِالْبُخْلِ﴾ (النساء ٣٦ - ٣٧)

ثم تأمل ما يقال عند انتهاء الأذان للصلاة من قولنا:
«وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته».

فالفصل بين النكرة وصفتها المعرفة بصفة أخرى نكرة شرط من شروط وصف
النكرة بالمعرفة وفى الفصل زيادة فى المسافة بينهما.

٦ - الفصل بين المتعاطفين:

أ - من العبارات التى نرددها فى الدعاء عبارة «غير ضالين ولا مضلين» عاطفين منفا
على منفى. والمعروف عند عطف المنفى على المنفى أنه إذا قصد الجمع بينهما
عند النفى فى حدث واحد كان نفى المعطوف منهما بواسطة «لا» فيقال: «ولا
كذا». أما إذا قصد نفى كل منهما على حدة فإن العطف يكون بواسطة «ما». انظر
مثلاً إلى تعبير القرآن الكريم عند الوصف باجتماع صفات المعصية فى
الموصوف بقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (القيامة ٣١) إذ جاء نفى
المعطوف بلا لاجتماع الأمرين معا تحت عنوان المعصية. وانظر فى مقابل ذلك
إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ (النساء ١٥٧) عند إرادة نفى كل من
الحديث على حدة لأن الذين ادعوا القتل غير الذين ادعوا الصلب بدليل قوله
تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا
قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء ١٥٧-١٥٨).

بهذا يسهل علينا فهم نفى المتعاطفين فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ (الأحزاب ٥٢). فالتعاطفان هنا ها:

«غير ناظرين ولا مستأنسين» وقد جمع بينهما أن كليهما يقع تحت إيذاء النبى
فلهما طبيعة واحدة ومن هنا جاء العطف بواسطة «لا». وقد فصل فى الآية بين

المتعاطفين بجملة معترضه هي «ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا». والأمر كذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لَمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ (آل عمران ١٤٦) أي فما وهنوا لقتل نبيهم وما ضعفوا بعده وما استكانوا العدوهم بطلب الوساطة نبيهم وبينه وهذه حالات مختلفة.

ب - قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ (المائدة ٩٧) فوق الفصل بين المتعاطفين (الكعبة والشهر) بواسطة البدل «البيت الحرام» والمفعول الثاني للفعل «جعل» وهو «قياما» فطالت المسافة بين المتعاطفين ولكن القرينة وهي نصب «الشهر الحرام» دلت مع الواو على عطف الشهر على الكعبة.

ج - قال جل شأنه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم ٣٠ - ٣٢) فلو تمسكنا بضرورة قرب المسافة لكان «براً» معطوفاً على «حياً» وكان المعنى: وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت براً بوالدتي ولكن القرينة أعانت على فهم رابطة العطف بين «جعلني نبياً» وبين «براً». تلك القرينة هي ما يأتي من النص بعد قوله تعالى «براً بوالدتي» مباشرة من قوله تعالى: (ولم يجعلني جباراً شقياً). وإنما يعد ذلك قرينة من قبل التضاد بين البر والجبار الشقي. وكذلك التضاد بين «جعلني» الذي في أول الآية وبين «ولم يجعلني» الذي في آخرها. ثم إن أداء الصلاة الذي في قوله تعالى: «أوصاني بالصلاة» لا يتوقف على أن يكون المرء برّاً بوالدته بحيث إذا توقف عن البر توقف عن أداء الصلاة.

د - قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)﴾

وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ذِكْرٌ وَإِسْمَاءٌ ﴿١١﴾ (التحریم ١١ - ١٢) هنا أيضا لو نظرنا إلي قرب المسافة بين المتعاطفين لظننا مريم معطوفة على الظالمين ولكن القرينة تحول دون ذلك أولا من جهة الموازنة بين امرأتين اشتملت عليهما الآية رقم ١٠ من السورة نفسها وهما امرأة نوح وامرأة لوط وبين امرأتين اشتملت عليهما الآياتان اللتان بين أيدينا هنا وهما امرأة فرعون ومريم ابنة عمران. فالأوليان خانتا زوجيهما فدخلنا النار مع الداخلين، والآخريان عملتا صالحا فكاتنا من الناجين. ثانيا من جهة أن مريم لا تكون من القوم الظالمين وقد أحصنت فرجها وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين، فالمرأة التي هذه صفتها هي أبعد ما تكون عن الظلم.

هـ - قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة ٢١٧). يمتنع هنا أن نفهم عطف «صد» على «كبير» على الرغم من تواليهما وقرب المسافة بينهما وكون القتال في الشهر الحرام من قبيل الصد عن سبيل الله وذلك لأن عبارة «وكفر به» معطوفة على الصد فلو كان الصد معطوفا على «كبير» لكان القتال المذكور كفرا بالله وليس هذا هو المقصود. يترتب على ذلك أن يكون «صد عن سبيل الله» استثناء وأن يكون المسجد الحرام معطوفا على سبيل الله والتقدير «وصد عن المسجد الحرام» ويحول دون عطف المسجد الحرام على الضمير في «به» على رغم قرب المسافة أمران: الأول أن الضمير المذكور يعود على لفظ الجلالة من عبارة «سبيل الله» وإذا صح أن يكون الكفر كفرا بالله فلا يصح في الفهم أن يكون الكفر بالمسجد الحرام والثاني أن العطف على الضمير الذي جر محله بالحرف إنما يكون بتكرار الحرف بحيث يكون الكلام: «وبالمسجد الحرام» وليس الأمر كذلك.

و - قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٤٩﴾

(آل عمران ٤٥ - ٤٩) لو نظرنا في سياق الآيات بحثا عما يمكن أن يعطف عليه لفظ «رسولا» ما وحدنا أولى من «وجيها» على رغم بعد المسافة بينهما أى أن الله يبشر مريم بعيسى وجيها ورسولا. ولا يحسن بالطبع عطفه على «كهلا» لأن الرسول من شأنه أن يكلم الناس ويبلغ الرسالة فلو قلنا بعطفه على «كهلا» لنسبنا الحشو إلى القرآن وهو براء من الحشو.

ز - قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ﴾ (النساء ١٢٧). المفتى في هذه الآية عن الله سبحانه وكتابه المشتمل على الأحكام التي تتلى على المستفتين وموضوع الفتوى هو النساء والمستضعفون من الولدان ولا يجوز رغم قرب المسافة أن نعطف «ما يتلى» على الضمير في «فيهن» لأن ما يتلى هو بطبيعة الحال نصوص تشتمل على الفتوى ولأن هذا العطف يقتضى تكرار حرف الجر كما سبق. أما عدم جواز عطف المستضعفين على الضمير في «تنكحوهن» فأوضح من أن يشار إليه وإن لم تقم من النحو قاعدة تحول دونه أى أن القرينة هنا خارجية لا نحوية.

٧ - الجار والمجرور والمتعلق :

أ - قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد ١١) لقد سبق أن أشرنا إلى أن الظرف والجار والمجرور من تمة ما يتعلقان به ومن هنا يكون قرب المسافة بينهما وبين المتعلق مهما لوضوح المعنى.

وإذا نظرنا إلى الآية التي استشهدنا بها هنا وجدنا أقرب ما يصلح أن يتعلق به الجار والمجرور «من أمر الله» هو الفعل «يحفظونه» غير أن تعليق الجار والمجرور بهذا الفعل يؤدي إلى زعم أن هناك من الأمور ما يمكن أن يحول دون أمر الله سبحانه وتعالى. ومن ثم يبادر الذهن إلى الانصراف عن هذا التعليق لبحث عن المعنى المقبول. عندئذ نجد أن الجار والمجرور يصلح أن يتعلق بصفة لكلمة «معقبات» أى أن المعقبات التي تحف بالمرء إنما هي من أمر الله وبذلك تقوم القرينة على تعليق الجار والمجرور بأبعد الاحتمالين.

ب - قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ (القصص ٣٠) أقرب ما يصلح أن يتعلق به الجار والمجرور «من

الشجرة» فى الظاهر هو صفة مقدرة للبقعة المباركة أى أن البقعة المباركة هى واحدة من بقع الشجرة أى أن الشجرة تشتمل على بقع بعضها مبارك وبعضها غير بارك وهذا معنى فاسد على رغم قرب المسافة. أما المعنى الوجيه فهو على تعليق الجار والمجرور بالفعل «نودى» أى أن النداء جاء من الشجرة وذلك على رغم بعد المسافة بين العنصرين. وهكذا تكون البقعة المباركة جزءا من الوادى الأيمن أى الذى هو أكثر يمنا وبركة ومن غيره من الوديان.

ح - لكن قد تقوم القرينة على أن الجار والمجرور متعلق بأقرب مذكور كما فى قوله

تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب ١٦). فى الآية لفظان يصلحان أن يتعلق بهما الجار والمجرور

أولها المصدر «الفرار» والثانى الفعل «فررتم». ويختلف تقدير المعنى مع التعليق بأحدهما عنه مع التعليق بالآخر على النحو التالى:

* قل لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل إن فررتم.

* قل إن فررتم من الموت أو القتل فلن ينفعكم الفرار.

فوقوع الفعل فررتم فى الحالة الأولى أقل احتمالا أن يقع منه فى الحالة الثانية حيث استوفى الشرط ركنيه والمعروف أن المصدر حدث بلا زمن وأن الفعل حدث

وزمن وأن ظرف الزمان زمن خالص. فإذا جاء ظرف الزمان «إذا» فإنه يشير إلى جزء معنى الفعل ولا يشير إلى شيء في المصدر. وهكذا يكون الجار والمجرور «من الموت» متعلقا بالفعل لا بالمصدر ويكون المعنى: وإذا فررتم لا تمتعون إلا قليلا على زعم أن التنوين في «إذا» تنوين عوض عن جملة محذوفة كما يتضح من تقدير المعنى.

٨ - المستثنى والمستثنى منه:

أ - قال تعالى: ﴿فَأَسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ (هود ٨١) لو تمسكنا بمبدأ أقرب المسافة لجعلنا المستثنى منه لفظ «أحد» وتكون المرأة هي الوحيدة التي أذن لها بالالتفات. ولكن قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ (البقرة ٢٨٢) طال الخبر عن الإشارة «ذلكم» بواسطة العطف (أقسط... وأقوم... وأدنى...) ولكل من هذه الألفاظ تنمة تتعلق به وقد سبق أن أشرنا إلى أن ما عطف على الشيء فله حكمه ويقع معه في قبيل واحد، وبهذا يكون الاستثناء مستخرجا من اسم الإشارة الذي هو المبتدأ على رغم بعد المسافة بينهما بسبب طول الخبر.

ج - قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس ٦١). ويبدو والله أعلم أن «إلا» هنا أقرب إلى الاستدراك (بمعنى لكن) منها للاستثناء فيكون المعنى: ولا يغيب عن علم ربك شيء في الأرض ولا في السماء... لكنه مثبت في كتاب مبين وذلك أن الاستثناء يجعل ما في الكتاب غائبا عن علم الله سبحانه وتعالى فلو قلت: ما اختفى منى أحد إلا في مخبأ كان من في المخبأ مختفيا. وعلى معنى الاستدراك هذا نجد أن المسافة بين «ما» و «إلا» قد طالت وبعدت.

ونظيرها فى أماكن أخرى من النص القرآنى فى قوله تعالى: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿طه ١ - ٢﴾ أى لكن تذكرة .

د - قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (الكهف ٥٥) والمعنى والله أعلم: وما حال بين الناس والإيمان إلا أنهم حقت عليهم كلمة العذاب فكفروا لينزل العذاب بهم. هنا كذلك نجد العطف سببا لبعده المسافة وهو يعد مستساغاً كما سبق بيانه .

هـ - قال جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ (الحج ٥٢). المستثنى منه نفى الإرسال على إطلاقه والمستثنى إرسال على صورة خاصة. وقد طال المستثنى منه بالعطف فى قوله «من رسول ولا نبي» مسبوقا بالجار والمجرور «من قبلك» والبعده بسبب العطف موضع تسامح كما سبق .

و - قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ (هود ٤٠) ما المستثنى منه هنا وعلام عطف «من آمن»؟ الواضح أن المستثنى منه هو الأهل وليس الزوجين الاثنين وبذلك يتحقق القرب بين طرفى الاستثناء غير أن فى الآية بعداً بين المعطوف والمعطوف عليه تحقق بواسطة «إلا من سبق عليه القول» فالمطلوب من نوح عليه السلام أن يحل فى السفينة زوجين اثنين من كل شىء وأن يحل أهله ومن آمن وهكذا تقصر المسافة فى الاستثناء وتطول فى العطف .

٩ - علاج طول المسافة بالتكرار:

سبقت الإشارة إلى أن أية علاقة نحوية بين عنصرين مترابطين من عناصر السياق إنما تكون أكثر وضوحا وبيانا للمقصود لدى قرب المسافة بين أحدهما والآخر فإذا

تباعدا كان من الضروري أن توجد قرينة على المعنى المراد. فإذا لم يتحقق وجود هذه القرينة مع طول المسافة بين المترابطين بسبب مظل أو فصل أو اعتراض الخ فإن الأمر يستدعى تكرار العنصر الأول لتقريبه من الثانى عندما يحين ذكره فى النص وبذا يتحقق القرب الذى يفترق إليه وضوح القصد وهكذا يكون تكرار العنصر المتقدم علاجاً لبعده المسافة بينه وبين المتأخر. ويتضح هذا الأمر فى الشواهد التالية:

أ - قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة ٢٥٣) الأصل فى تركيب هذه الآية: ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البيّنات ولكن الله يفعل ما يريد غير أن المسافة بين جملة الشرط وجملة الاستدراك طالت بسبب جملة استدرائية أخرى هى: ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر. فوجود هذه الجملة الأخيرة حسن التكرار ولو لم يحدث هذا التكرار لكان مجرى النص هكذا: ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولكن الله يفعل ما يريد. وبهذا يصبح الاستدراك الأخير غير متصل بأول الآية: «ولو شاء الله ما اقتتل...» ولكنه متصل باختلاف هؤلاء بين الإيمان والفكر وبذلك يكون التكرار وسيلة لأمن اللبس لأنه قرب أول الآية مما يتصل به فى آخرها.

ب - قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٨٩) يتمثل التكرار فى عبارة «فلما جاءهم ما عرفوا» ولو نظرنا إلى الكلمة التى تسبق ذلك والأخرى التى تتبعه لوجدناها على صورة: (كفروا... كفروا) ولو لم تنفصل إحدى الكلمتين عن الأخرى بواسطة التكرار المذكور لبدت الثانية وكأنها توكيد لفظى للأولى وليست جواباً للأداة الظرفية

الزمانية «لما». ولو كان الأمر كذلك لتغير المعنى وحدث اللبس. وهكذا جاء التكرار ليقرب ما بين «لما» وجوابها لأمن اللبس.

ج - قال تعالى ﴿ لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران ١٨٨). لولا التكرار لكانت الآية على النحو التالي: لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدا بما يفعلوا بمغازة من العذاب ولهم عذاب أليم. عندئذ يبدو الجار والمجرور «بمغازة» وكأنه متعلق بالفعل «يفعلوا» الذى قبله مباشرة. وإذا ما تغير المعنى ويحدث اللبس. من هنا كان التكرار وسيلة اختصار للمسافة بين طرفى العلاقة «فلا تحسبنهم.. بمغازة» فيكون العنصر المكرر أشبه بقريئة على إرادة المعنى المقصود.

د - قال جل شأنه: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (التوبة ٧ - ٨) يقوم نص الآيتين على معنى إنكار مقابلة الخيانة من جانب برعاية العهد من الجانب الآخر إذ كيف يكون للمشركين عهد على حين أنهم لو تغلبوا على المسلمين لم يراعوا هذا العهد؟ جاء لفظ «كيف» فى أول الآية ثم طال بعده الكلام بالاستثناء لطائفة من المشركين استقاموا على العهد فبعدت المسافة بين أداة الاستفهام والحال التى دخلت عليها الواو «وإن يظهروا» فلو لم تتكرر أداة الاستفهام لبدا الأمر وكان الواو للاستئناف وهذا المعنى غير مراد. ومن ثم جاء التكرار لتدعيم الرابطة بين أداة الاستفهام «كيف» وبين الحال التى لا يجوز معها مراعاة عهد المشركين الخائنين.

هـ - قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا

بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴿النور ٣٦ - ٣٧﴾ دعنا نعرض النص السابق دون تكرار الجار والمجرور فى بيوت... فيها... فيها» لنجد هذا النص على النحو التالى: (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر اسمه يسبح له بالغدو والآصال رجال) ونجد أن العلاقة التى كانت قوية بين عناصر النص مع التكرار ضعفت حتى صلحت جملة: (يسبح له بالغدو والآصال رجال) أن تكون استثناءً دون أن يكون الفعل «يسبح» هو المتعلق الذى يتعلق به «فى بيوت». فتكرار لفظ «فىها» مرتين حافظ على تعلق الجار والمجرور.. فى بيوت» بكل من «يذكر» و«يسبح» وبذا يكون التكرار علاجاً لبعده المسافة.

و - قال تعالى: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ (المؤمنون ٣٥) التركيب من غير التكرار يبدو على الصورة التالية: «أعيدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون»: وواضح من هذه الصورة الخالية من التكرار أن العلاقة بين «أنكم» وخبرها ضعيفة لطول المسافة الفاصلة ولكون الخبر كلمة مفردة والمفردات أكثر مدعاة لسوء السبك عند بعد المسافة بينها وبين ما يتصل بها ولقد سبق أن أشرنا إلى ذلك عند الكلام عن احتمال تأخير الفاعل «إيمانها» من قوله تعالى: «يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً». فكذلك الأمر فى هذا الموضع.

١٠ - المسافة وترتيب الأشباه:

استمراراً للكلام الأخير (فى ٩ - و) نقول إن المسافة ذات أثر هو أوضح فى المفردات منه فى التراكيب. فإذا اجتمع من الأشباه «الأخبار أو النعوت أو الأحوال أو المتعاطفات الخ» «مفرد ومركب إضافى أو اسنادى وجملة قصير وأخرى أطول منها فإنها تأتى عند عدم المانع على هذا الترتيب المذكور ولا يمنعه إلا أن يكون هناك مؤشر أسلوبى يتطلب غير هذا الترتيب. فالمسافة تكون أقرب بين المبتدأ وخبره المفرد فإذا بعدت ساء السبك ثم يأتى بعده المركب فإذا اختل الترتيب فذلك ينبغى أن

يكون لسبب أسلوبى ثم تأتى بعدهما الجملة القصيرة ثم تأتى الجملة التى هى أطول منها. هذا ما نلاحظه فى النص القرآنى المعجز فى بلاغته وحسن تنسيقه وروعة تأثيره فى النفوس. وللحاذقين من مستعملى اللغة إحساس شبه فطرى بقيمة المسافة فى هذا المجال فالمتكلم والكاتب والشاعر من جانب والقارىء والسامع من جانب آخر يحسون بالمسافة على النحو المذكور هنا وفيما يلى بعض الشواهد:

أ - تقريب الأقصر:

١ - قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (البقرة ٢٢) بدأت الآية بأمرين متساويين فى الطول كان يمكن لكل منهما أن يسبق الآخر وهما «الأرض فراشا» والسماء بناء» ثم جاء المعطوف الأخير وهو «فأخرج به من الثمرات رزقا لكم» وهذا هو الترتيب الأصلى الذى يجعل الأقصر من الأشباه أقرب إلى ما ترتبط الأشباه به وهو الموصول «الذى».

٢ - قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة ٢٥) تقدم الفعل اللازم «آمنوا» على الفعل المتعدى ومفعوله «وعملوا الصالحات» فكان الأقصر هو الأقرب إلى الموصول «الذين».

٣ - قال تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة ٣٠) جاء الفعل الأول وقد تعلق به الجار والمجرور فبدا وهو المتعدى فى صورة اللازم ثم جاء بعده فعل ومعه مفعوله فكان أطول منه وكان الأقرب إلى الموصول هو أقصر الصلتين.

٤ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٣٤) جاء الفعل المجرد أولا ثم لحق به الفعل المزيد ثم جاءت بعدهما الجملة المنسوخة.

٥ - قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة ٣٩) فى الآية مبتدأ موصول له صلتان عطفت إحداهما على الأخرى وللمبتدأ خبران تلا أطولهما أقصرهما فكان الأقصر فى الحالتين أقرب إلى المبتدأ من الأطول.

٦ - قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (البقرة ٤٣) جاءت الآية أولا بجملتين متساويتين وختمت بجملة أطول منهما ومركز المسافة هنا هو ابتداء الكلام.

٧ - قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ﴾ (البقرة ٦٩) مركز المسافة النكرة الموصوفة «بقرة» وقد جاءت صفات البقرة مفردة أولا «صفراء» بعدها اسناد وصفى «فاقع لونها» وأخيرا جملة «تسر الناظرين» وهى أطول الصفات الثلاث.

٨ - قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة ١١٤) جاء المستثنى من الدخول «خائفين» أولا ثم جاءت منه حالان عطفت إحداهما على الأخرى «لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» وكان القرب من مركز المسافة «يدخلوها» لأقصر الحالين والبعد لأطولهما. ذلك أن الفرق بين الحالين من حيث الطول هو الفرق بين «خزى» وهو مفرد و«عذاب عظيم» وهو مفرد موصوف. والطول واحد فيما عدا ذلك.

٩ - قال جل شأنه: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٥١) جاءت أوصاف الرسول على النحو التالى: منكم - يتلو عليكم آياتنا - ويذكركم - ويعلمكم الكتاب والحكمة - ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون. وأول ما يلفت

الانتباه هنا أن الفعل «يزكيكم» أقصر مما قبله ولكن إذا عرفنا أو وسيلة التزكية هي التلاوة «يتلو عليكم» ألحقنا فعل التزكية بما قبله لأن المعنى هو (يتلو فيزكى) وهكذا يعود الترتيب إلى أصله: أى أن القصير أقرب إلى مركز المسافة ثم الذى يليه.

١٠ - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة ١٦٩) مركز المسافة هو الفعل يأمركم وأقرب الأوامر إليه «السوء» تليه «الفحشاء» وكلاهما مفرد ثم يأتى ما هو أطول منهما وهو مصدر مؤول من أن والفعل المتعدى إلى موصول وصلته «وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» وهو أطول الأوامر لفظا.

غير أن كما يحدث الترخص فى قواعد النحو عند زمن اللبس يكن الترخص فى هذا القرب والبعد من مركز المسافة بحسب مطالب الأسلوب فإذا كان هناك مؤشر أسلوبى معين يريد المتكلم أن يراعيه فله أن يعكس مطالب المسافة التى شرحناها منذ قليل رعاية لهذا المؤشر الأسلوبى كما يبدو فى الشواهد التالية:

ب - تقريب الأطول:

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة ١٢٥) هنا نجد أن

«مثابة» تعلق به جار ومجرور «للناس» فكان لفظه أطول من لفظ «أمنًا» ومع ذلك كان أقرب إلى مركز المسافة «جعلنا» ولكننا إذا تنبهنا إلى أن المعنى يتحقق من خلال تقدير جار ومجرور مطابق أى «للناس» ليتعلق بلفظ «أمنًا» أدركنا أن هناك توازنا فى المعنى يشفع لعدم التوازن فى اللفظ. فالتقدير: «مثابة للناس وأمنًا للناس». ونجد مثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ

حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (البقرة ٩٦) أى «وأحرص من الذين أشركوا على حياة» وبذا يكون المعطوف أطول فى المعنى المقدر من المعطوف عليه ويكون الترتيب له ما يبرره من الناحية الأسلوبية.

٢ - قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة ١٠٦).
 مركز المسافة هنا هو «ما» الشرطية وقد جاء فعل الشرط «نسخ من آية» أطول مما عطف عليه كما جاء جواب الشرط «نأت بخير منها» أطول مما عطف عليه «أو مثلها». فإذا تأملنا المؤشر الأسلوبى الذى دعا إلى ذلك وجدنا التوازن بين حالتى العطف وهو يتمثل فى تشابههما فى الحركات والسكنات والانتهاى بضمير المؤنثة ما أضيف على السياق من الجمال ما يعنى عن الترتيب الأسمى الذى تدعو إليه رعاية المسافة. أقصد بالتوازن ما تشترك فيه العبارتان: «أو نساها» و«أو مثلها» من التركيب المقطعى والحركات والسكنات.

٣ - قال تعالى: ﴿لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۙ (١) قِيمًا لِّيُنذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۙ (٢) مَا كَثَبْنَا فِيهِ أَبَدًا﴾ (الكهف ١ - ٣) مركز المسافة لفظ «الكتاب» الذى هو صاحب الحال وقد جاءت منه حالان أولاها «ولم يجعل له عوجا» أطول من أخراهما «قيما» والمؤشر الأسلوبى الداعى إلى ذلك هو أن لفظ «قيما» جاء بحاجة إلى شرح معنى القوامة فجاء الشرح بعده مباشرة فهو قيم لأنه ينذر ويبشر. ولو تقدم لفظ «قيما» وتأخر شرحه ما كان ذلك صالحا ولو تقدم معه شرحه الطويل لجاءت عبارة «ولم يجعل له عوجا» ضعيفة الارتباط بصاحب الحال. ومن هنا حسن تأخير أقصر اللفظين ليتلوه شرحه.

٤ - قال عز من قائل: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بَدُنُوبٍ عِبَادَهُ خَيْرًا ۙ (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْتَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ (الفرقان ٥٨ - ٥٩) جاء الموصول «الذى» بدلا من الضمير فى «به» فى محل رفع تبعا لهذا الضمير الذى هو فاعل كفى مسبوق بحرف جر زائد بقصد التأكيد أى وكفى هو وطالت بعده الصلة «خلق السموات والأرض فى ستة أيام» وعطف عليها قوله «ثم استوى على العرش» وأخيرا جاء «الرحمن» لفظا مفردا أقصر من كل ما سبق ليكون بدلا آخر مرفوعا تبعا لمحل المبدل منه وهو الضمير فى

«به». والمؤشر الأسلوبى الذى دعا إلى ذلك هو تقريب لفظ «الرحمن» من الآية التى تلى ذلك وتشتمل على ذكره مرتين وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (الفرقان ٦٠) وهذا التقريب وسيلة من وسائل تركيز الانتباه على هذه الصفة من صفات الله تعالى التى تتناسب مع الاستواء على العرش الذى ذكر قبل ذلك مباشرة.

٥ - قال جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ (يوسف ١٠٩) للرجال «مركز المسافة» هنا صفتان إحداهما جملة تامة والثانية جار ومجرور. وواضح أن الجملة التامة أطول من الجار والمجرور ولو أن الآية فضلت الترتيب الأصلى لكان النص: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا من أهل القرى نوحى إليهم. ولكن المؤشر الأسلوبى وهو أن بيان نوع الرجال أهم للسياق من موقعهم الجغرافى جعل تقديم جملة «نوحى إليهم» أولى من تقديم ما هو أقصر منها وأولى بالتقديم بحسب الأصل. وهكذا يكون للمؤشر الأسلوبى أثره فى العدول عن الأصل.

٦ - قال سبحانه: ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ (الأنعام ١٤) جاء لفظ «فاطر» وهو صفة للفظ الجلالة متأخرا عن موقعه بمسافة شغلتها جملة «أتخذ وليا» وقد عطف الضمير فى «وهو يطعم» على لفظ «فاطر» فكان المعنى أن الله «فاطر ومطعم». وقد جاء تركيب الآية هكذا لثلا يسوء السبك بأحد تركيبين آخرين ممكنين هما:

* قل أغير الله فاطر السموات والأرض أتخذ وليا وهو يطعم ولا يطعم؟
فعلى هذا الترتيب يصبح قوله: «وهو يطعم ولا يطعم» كأنه حال وكأنه علة لإخلاص العبادة إذ لا يجوز أن يكون غير الله وليا حال كونه تعالى يطعم ولا يطعم لأن انتفاء الإطعام بهذا المعنى يبيح الشرك.

* قل أغير الله فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم أتخذ وليا؟

وعلى هذا التركيب تطول المسافة بين همزة الاستفهام والفعل الذى هى مسلطة عليه فى الأصل لأن الأصل: أتتخذ وليا غير الله فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم؟ ثم جاء الفصل لتقديم المفعول «غير» لبيان شناعة أن يكون الولى غير الله.

٧ - قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكعبةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ (المائدة ٩٧) هنا فصل بالمفعول الثانى بين المفعول الأول وما عطف عليه وقد سبق أن علمنا أن مفردات المعطوفات لها حكم واحد وسميها «الأشباه» منذ قليل. بهذا يتضح أن الفصل أوجد مسافة بين مفردات الشئ الواحد (وهى الأمور التى تعد قياما للناس). ولو أن المفعول الثانى «قيامًا» تأخر إلى ما بعد استيفاء مفردات المفعول الأول لطالت المسافة بينه وبين الفعل فضعف سبك الجملة. وكان تكرر لفظ الحرام مع البيت والشهر على التوالى مدعاة لسوء السبك أيضا. ولو حذف مع أى منهما أو معهما معا لضعفت دلالة الموصوف على ما قصد به فلا البيت ولا الشهر دال بدون الوصف.

٨ - قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾ (المائدة ١٠٦) ملخص الكلام من الناحية النحوية: شهادة بينكم اثنان ذو عدل منكم أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله. ثم فصل بين المبتدأ والخبر ظرفان هما «إذا» أى عندما ثم «حين» كما فصل بين الموصوف «آخران» والصفة الجملة «تحبسونهما» شرط بواسطة «إن» وهكذا كان مبرر بعد المسافة بين العناصر المترابطة هو ضرورة التقييد بالظرف أو بالشرط دفعا لفهم إطلاق المعنى.

١١ - المسافة والنص:

هنا نتجاوز المسافة النحوية إلى المسافة النصية السياقية دعنا أولاً نقارن بين الأفعال الآتية:

أمره - طلب منه - سأله - رجاه - توسل إليه - دعاه - رغب إليه الخ. فبعض هذه الأفعال يدل على علو شأن الفاعل واستفحال شأن المفعول به مع بعد المسافة المعنوية بينهما والبعض يفيد المساواة والقرب والبعض الثالث يفيد العكس. والأمر كذلك في أفعال الاستجابة إذ نجد: أجاب - أطاع - استجاب - لبي الخ مما يحدد موقف المجيب من السائل ويشير إلى المسافة بينهما قرباً وبعداً. ونحب أن نضيف هنا أن دلالة أى من هذه الأفعال لا ينبغى أن تعد دلالة معجمية منسوبة إلى الفعل من حيث هو لفظ مفرد وإنما ينبغى لها أن تحسب وهى في سياق النص. فإذا أخذنا الفعل «سأل» مثلاً فإننا يمكن أن نصادفه في سياقات مثل: سأله أن يتصدق عليه - سأله عن عنوان صديقه - سأله عن سبب تقصيره - سأله ربه المغفرة - سأله القاضى المتهم الخ وقد تكون الاحتمالات السياقية لبعض الأفعال أقل من احتمالات البعض الآخر فلو أخذنا الفعل «أمر» مثلاً فسوف نجد أقل طواعية في مجال السياق من الفعل «سأل» السابق لأنه أكثر ما يرد في السياق إنما يكون من فاعل أعلى إلى مفعول أدنى، أى أن المسافة معه أقل تنوعاً تأمل إن شئت معنى «أمر» في الآيات التالية:

أ - ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (البقرة ٢٧) «قضى»

﴿لَا خَيْرَ مِنِّي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾

(النساء ١١٤) «قدم»

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ (العلق ١١ - ١٢) «عمل بها

ودعا إليها»

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ (يوسف ٦٨) «نصحهم»

﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (الحج ٤١)
«وجهوا إليه»

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (هود ٨٧) «تدعوك
للمطالبة»

﴿مِمَّاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف ١١٠) «فماذا ترون»

﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران ٢١) «يقسطون»

﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ﴾ (القصص ٢٠) «يكيدون»

﴿وَشَاوَرَهُمْ مِى الْأَمْرِ﴾ (آل عمران ١٥٩) «الشان»

ب - ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج ١) «استنزل»

﴿مِإْن تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ مِّنْ أَجْرٍ﴾ (يونس ٧٢) «طالبتكم به»

﴿وَأَتَاكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (إبراهيم ٣٤) «طلبتموه منه»

﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (التوبة) «استفهمت»

﴿مَلْسَلْنَا الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلْنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف ٦) «لنحاسبن»

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (النساء ١٥٣) «يتحداك»

﴿وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ (المتحنة ١٠) «استردوا»

﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ (الزخرف ٤٥) «اطلع على تراثهم»

﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (البقرة ١١٩) «ولا تحمل أوزارهم»

﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص ٧٨) «لأنهم يعرفون بسيماهم»

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ (النساء ١) «تتوسلون باسمه فيما بينكم»

﴿وَمِمَّا أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات ١٩٠) «لطالب الإحسان

والمحروم»

فانظر فى نطاق الفعل «أمر» ما يكون من نوع المسافة بالنسبة لقوله تعالى «أمر الله به» وقوله: «إلا من أمر بصدقة» وقوله: «أو أمر بالتقوى» وقوله: «وأمروا بالمعروف» وقوله: «فماذا تأمرون» إلى غير ذلك مما يكون فيه الأمر متعاليا حيناً ومطيعاً حيناً آخر. ثم انظر فى نطاق فعل السؤال فى حال المسافة بين من «يستنزل العذاب» فى قوله تعالى: «سأل سائل» وبين من يحاسب العباد يوم القيامة «فلنسالن الذين أرسل إليهم إلى غير ذلك من أنواع المسافات بين السائل والمستؤل. ثم تأمل ما يلى:

جـ ﴿وَيَوْمَ يناديهم ميقول ماذا أجبت المرسلين﴾ (القصص ٦٥) «ماذا كان جوابكم».

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي مَا نِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ (البقرة ١٨٦) «أبى»

﴿مَا سْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ مُصْرَفٌ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ (يوسف ٣٤) «قبل دعوته»

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ مَا سْتَجَبْتُمْ لِي﴾ (إبراهيم ٢٢)

«أطعمتونى»

﴿لَيْسَتْ جِيُوا لِي وَلِيؤْمِنُوا بِي﴾ (البقرة ١٨٦) «فليطيعونى»

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ مَدَعُوهُمْ مَلَمَ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ (القصص ٦٤) «فلم يردوا

عليهم»

هنا أيضاً نجد فرق المسافة وطابعها بين ما فى قوله تعالى: «فاستجاب له ربه»

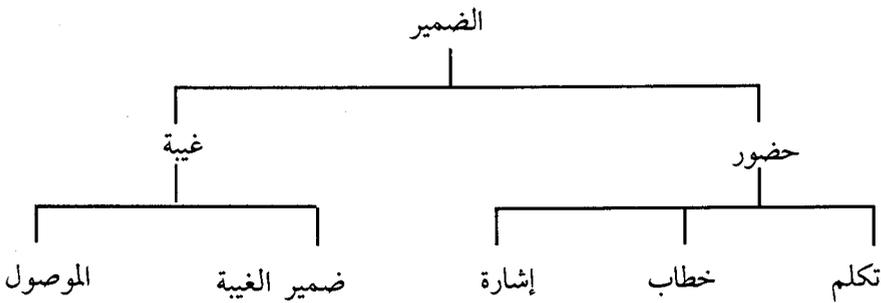
وقوله «فاستجبت لى» وقوله «ماذا أجبت المرسلين» وقوله: «فلم يستجيبوا لهم» مما

يدل على أن المسافة لا ترتبط بالكلمة المفردة وإنما ترتبط بها فى السياق المتصل أى

فى النص.

١٢ - المسافة والإضمار:

سبق أن تكلمنا عن عود الضمير إلي أقرب مذكور أو إلى أبعدَه فكان كلامنا في نطاق النحو أما الآن فإننا نتكلم عن الجانب الاجتماعي في استعمال الضمائر. والمعروف أن محاور الإضمار هي التكلم والخطاب والغيبة ونضيف إلى ذلك أن فهمنا للضمائر يشمل الإشارات والموصولات على نحو ما أوردناه في كتاب: اللغة العربية - معناها ومبناها. فالضمير في عرف النحاة ما دل على حضور أو غيبة دون أن يدل على خصوص الحاضر أو الغائب وبذلك يمكن أن نسوق البيان التالي:



وليكن قصدنا في البداية إلى التكلم وعلاقته بالمسافة الاجتماعية بين المتكلم والسامعين. يقول الملك (أى ملك) عندما يصدر مرسوماً أو أمراً ملكياً: نحن فلان الفلانى ملك كيت وكيت رسمنا بما هو آت. فيعظم نفسه وهو مفرد بضمير جماعة المتكلمين مستعملاً الضمير فى موقع المبتدأ وجاعلاً اسمه خيراً لهذا الضمير ثم يأتى بالمرسوم (الحدث) على سبيل الاستئناف. أما ملك الملوك سبحانه فلا يحتاج إلى ذكر اسمه بعد الضمير أو إثبات هويته وإنما يجعل الحدث هو الخبر فيقول:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَامِطُونَ﴾ (الحجر ٩)

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (الحجر ٢٣)

﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الإسراء ٣١)

﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام ١٥١)

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ (الاسراء ٤٧)

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ (الكهف ١٣)

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون ٩٦)

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (يس ١٢)

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الزخرف ٣٢)

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق ١٦)

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ مَلُولًا وَتُصَدِّقُونَ﴾ (الواقعة ٥٧)

أما ضمير الخطاب فقد خضع استعماله لعقيدة الوجدانية فلا يخاطب به سبحانه إلا بصيغة المفرد فلم يجر تعظيمه بضمير المخاطبين أبداً وإنما اتخذ إحدى طريقتين: الأولى أن ينادى باستعمال الموصول «من» وصلته أو باستعمال أسمائه وصفاته فيقال مثلا: يا من لا يخيب سائله أو يا ولي الصابرين أو يا الله أو يارب أو إلهي أو ربنا فيتضافر الخطاب والغيبة في التعظيم. والطريقة الثانية استعمال صيغ التنزيه وهي تكون بأفعال مخصوصة مثل تبارك وتعالى وجل وعلا مسندة إلى ضمير المفرد المخاطب أو الغائب أو بمصادر معينة أشهرها «سبحان» مضافا إلى ضمير المفرد المخاطب أو الغائب كذلك. أما ضمير جماعة المخاطبين فلا يستعمل في تعظيمه سبحانه حفاظا على عقيدة الوجدانية لأن هذا الضمير ملبس بالنسبة لهذا الاعتقاد وهو سبحانه منزه عن الشرك والشركاء.

١٣ - المسافة والألقاب:

إذا كان استعمال الألقاب بين الناس وسيلة احترام فإن استعمالها لله سبحانه وسيلة تعبد فالألقاب بين الناس تعبير عن مسافة اجتماعية بين المتكلم والمخاطب. وهي تستعمل في صورة النداء فيقال: يا حضرة ال... أو يا صاحب ال... أو يا سعادة ال... أو يا معالي ال... أو في صورة الإضافة فيقال: حضرتك أو

سعادتك أو معاليك الخ. وهذه الألقاب إما أن يتبرع بها المتكلم تقرباً إلي المخاطب وإما أن يستحقها المخاطب طبقاً لعرف ما وفي كلتا الحالتين تعد تعبيراً عن مسافة اجتماعية بين طرفي الخطاب إن لم تكن تبايناً في المستوى الاجتماعي فهي افتقار إلى الألفة.

ثم يأتي أبعد المسافات جميعاً أى المسافة الدينية التى يزيد بها الخوف ويختصرها الرجاء. وللذات العلية اسم علم هو «الله» وهو الذى يشار إليه بـ«لفظ الجلالة» ولا يقال ذلك لغيره من الأسماء الحسنى. وهذه الأسماء الحسنى فى أصلها اللغوى صفات مشتقة من أحداث تشير إلى ما بين الله وعباده من علائق. ومن هنا تقف هذه الأسماء الحسنى من لفظ الجلالة وقف الألقاب من اسم العلم. فمن الأسماء الحسنى التى تعبر عن علاقة بين الله وخلقه أنه الأول والآخر والبارئ والباقي والتواب والحكم والحفيظ والخالق والخافض والخبير وذو الجلال والإكرام والرحمن والرحيم والرازق والرافع والرقيب والرءوف والسميع والشكور والصبور والضار والظاهر والعزیز والعليم والعدل والعظيم والعلی والعفو والغفار والغنى والفتاح والقهار والقابض والقوى والقيوم والقادر والكبير والكريم واللطيف والملك والمؤمن والمهيمن والمتكبر والمصور والمعز والمذل والمقيت والمجيب والمحصى والمبدئ والمعيد والمحى والمميت والمقدم والمؤخر والمنتقم ومالك الملك والمقسط والمغنى والمنع والنافع والهادى والوهاب والودود والوكيل والولى والوالى والوارث.

ومن الأسماء الحسنى ما يدل على الكمال لأعلى علاقة معينة فمن ذلك مثلاً: البصير والباطن والجليل والحق والحقى والرشيد والسلام والصمد والقدوس والمجيد والمتين والماجد والمتعال والنور والواحد الخ. والله سبحانه فوق ما تقدم ذو ألقاب مثل الإله والرب ورب العزة. وما أكثر ما يشتمل النص القرآنى على وصف الله تعالى بالربوبية فى جمل خبرية أو ندائية دعائية تتكشف فيها مواقف الضراعة وتستبين بها المسافة بين المخلوق وخالقه. من ذلك:

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (البقرة ١٢٦)

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا مِ بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ (آل عمران ٣٥)

- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ (آل عمران ٣٨)
- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَاَدْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ (الأعراف ١٥١)
- ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ (هود ٤٧)
- ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف ١٠١)
- ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (إبراهيم ٤٠)
- ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الاسراء ٢٤)
- ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (طه ٢٥ - ٢٦)
- وقد يضاف «رب» إلى ضمير جماعة المتكلمين للدعاء نحو:
- ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة ١٢٧)
- ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (البقرة ٢٠١)
- ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة ٢٨٥)
- ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة ٢٨٦)
- ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران ٨)
- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ (آل عمران ١٤٧)
- ﴿رَبَّنَا أَمْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَمَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف ١٢٦)
- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم ٤١)
- ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ (الفرقان ٦٥)
- ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان ٧٤)

وقد يتكرر النداء لتعزيز الدعاء كما فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ مَرْعُونَ
 وَمَلَائِةَ زِينَةً وَأَمْوَالًا مِّمَّا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ
 وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ مَّلا يُؤْمِنُوْا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس ٨٨)

١٤ - المسافة وآداب المخالطة:

الإسلام دين ودنيا. هو دين ينظم العلاقة بين العبد وربّه وهو دنيا ينظم العلاقة
 بين العبد والعبد والإنسان حيوان اجتماعى لا يعيش إلا فى جماعة، وإذا كان الله
 سبحانه جعل المسئولية أمرا فرديا وسماها «الأمانة» وحملها الإنسان فإنه سبحانه
 جعلنا شعوبا وقبائل ولم يرض لنا الحياة الفردية. والنتيجة أن مخالطة الإنسان
 للإنسان أمر لا مفر منه وبخاصة مع اختلاف مهن الأفراد وصناعاتهم فلا يستطيع فرد
 أن يقوم وحده بكل الأعمال الضرورية للحياة ومن ثم يفترق إلى معارف الآخرين
 وجهودهم ومعاملتهم. بهذا يكون تنظيم التعامل والمخالطة أمرا لا بد منه وهذا
 التنظيم إما أن يكون موضوع تقنين وتشريع وإما أن يكون موضوع عرف وعادة
 ولكل منهما مجالاته الخاصة فمجالات التشريع نفي الضرر ومجالات العرف نفي
 الأذى والله تعالى يقول للنبي ﷺ: ﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذَى﴾ (آل عمران ١١١) وإذا
 تضرر أحدنا لجأ إلى القضاء وإذا تأذى عمد إلى الإعراض والانصراف.

وهكذا تحكم المخالطة بواسطة أصول عرفية عرضة أن يجهلها كثير من الناس
 الذين لم يجدوا فى صباهم تثقيفا اجتماعيا فى أصول المخالطة. من هذا يصبح من
 الضرورى توجيه هؤلاء الجاهلين إذا جهلوا كما يكون من المطلوب بيان أصول
 المخالطة عند تجاهلها. وهكذا اشتمل القرآن الكريم فى كثير من المواضع على توجيه
 المؤمنين إلى كيفية التعامل فيما بينهم وكيفية معاملة المؤمن لرسول الله ﷺ بل إن
 السنة النبوية المطهرة اشتملت على الكثير مما يقع فى هذا الباب دفعا للأذى الذى قد
 يجده المؤمن من المؤمن. فمن ذلك ما ورد فى سورة الحجرات من قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْمِعُوا أَصْوَاتَكُمْ مَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ (الحجرات ٢)

﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا
حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (الحجرات ٤ - ٥)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ مَاسِقٌ بِنَبَأٍ مَتَّبِعُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾
(الحجرات ٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا
نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾
(الحجرات ١١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّنَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا
يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات ١٢)

كما اشتملت سورة النور على طائفة من آداب الدخول والزيارة التي نجدتها في قوله
تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ مَنِ لَمْ يَجِدْهَا مِنْهَا أَحَدًا مَلَآ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ
لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا مَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ مِنْهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ﴾ (النور ٢٧ - ٢٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْبُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ

العِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ﴿ (النور ٥٨)

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿ (النور ٥٩)

﴿مِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ ﴿ (النور ٦١)

وكذلك اشتملت سورة الأحزاب على بعض آداب الزيارة وبخاصة زيارة النبي ﷺ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا مِذَا طَعِمْتُمْ مَا تَشْرَبُوا وَلَا مُسْتَسْنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ مَيْسُحِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴿ (الأحزاب ٥٣)

وفى سورة المجادلة تحديد لأصول التناجى بمحضر الآخرين لأن فيه نفى الثالث إذ يقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حِيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ مِ أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبُهُمْ جَهَنَّمَ يَصَلُونَهَا مَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ مَلِيَتُوكُلِّ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ (المجادلة ٧ - ١٠)

ومن ذلك أيضا آداب الجلوس إذ يقول تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا مِ الْمَجَالِسِ مَامَسَّحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ
وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا مَانشُرُوا﴾ (المجادلة ١١)

ولنا أن نذكر قوله ﷺ لأنس بن مالك: «كل بيمينك وكل مما يليك». كل أولئك تأصيل لاختلاف الدرجات بين الناس والله تعالى هو الذى رفع بعض الناس فوق بعض درجات فكانت هذه المسافات فيما بينهم.

والله ولى التوفيق، ،

الأسلوب العروى فى القراءه الكريم

جرد الأقدمون لقواعد اللغة ومبانيها أصولاً ذهنية ورأوا أن استعمال اللغة «أى لغة فى معترك الحياة» قد يورد الأصول على حالها فيتفق المستعمل فى صورته مع المجرد فيسمى ذلك «استصحاب الأصل» ففى لفظ «ضرب» مثلاً:

أ - ما تزال الأصوات تنطق فى مخارجها وتبدو بصفاتهما التى تنسب إليها فالاستصحاب هنا على مستوى الأصوات إذ لم يحدث تغير ما فى الأصول الثلاثة لاشتقاق الكلمة.

ب - ما تزال صيغة «فَعَلَ» ملتزمة ميزانها الصرفى لم تتأثر بإدغام ولا إقلاب ولا نقل ولا حذف. . الخ، فالاستصحاب قائم أيضاً على المستوى الصرفى.

ج - ما يزال المعنى المفرد للكلمة قائماً ولو كان متعدداً ومحملاً فشأن كل معنى فرد أن يكون كذلك ومعنى هذا أن الاستصحاب قائم على المستوى المعجمى.

د - فإذا وضعنا لفظ «ضرب» فى جملة فقلنا «ضرب زيد أخاه» تبين لنا أن هذا اللفظ فى نطاق الجملة ما يزال يلتزم فيه التعدى والمضى والتضام مع فاعل ومفعول فالاستصحاب قائم على المستوى النحوى.

هـ - فإذا تأملنا الجملة كلها وجدنا العلاقات فيها قائمة على أصولها سواء علاقة الإسناد أو علاقة التعدية أو علاقة الربط بعود الضمير أو انتقال الفعل، كما وجدنا القرائن على حالها كالإعراب والتضام والرتبة، وهذا استصحاب آخر قائم على المستوى النحوى.

وللفعل «قال» أو «مد» أو غيرهما أصل، كما أن لضرب أصلاً ولكن أصل «قال» و«مد» لم يستصحب فى الاستعمال فالأصل فى «قال» هو «قول» والأصل فى «مد» هو «مدد».

فأما العدول عن المستوى الصوتى فقد كان فى «قال» من خلال قلب الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وأما فى «مد» فقد كان من خلال الإدغام بسبب توالى المثلين «أى الدالين» .

وأما على المستوى الصرفى فى قال فقد جاء العدول عن الأصل من خلال المفارقة التى بين «فعل» وهى وزن الأصل و«فال» وهو ما آل إليه الفرع . . وكذلك فى «مد» بين «فَعَلَ» و«فَعَّلَ» . . وإذا قلنا: «مدت المودة حبالها بين زيد وعمرو» فقد خرجنا «أو عدلنا» عن المعنى الحقيقى للفظ «مد» إلى معنى آخر مجازى أو بعبارة أخرى: نقلنا اللفظ من نوع إلى نوع آخر من المعنى . . هذه هى أبسط صور العدول عن الأصل فى مبانى الألفاظ ومعانيها وهناك عدول عن الأصل فى القواعد كالعدول عن قاعدة «عدم الابتداء بالنكرة» عندما تتحقق الإفادة مع التنكير وكالعدول عن عدم الإخبار بظرف الزمان عن أمر مady عندما تتحقق الإفادة به أيضا وهلم جرا مما يدل على أن الإفادة هى المطلب الأول للاستعمال اللغوى .

وإذا سلمنا بأن الإفادة هى المطلب الأول لاستعمال اللغة فى أغراض الاتصال أدركنا أن أمن اللبس هو أعلى ما تحرص عليه اللغة وفهمنا لماذا جاءت عبارة ابن مالك حين تقول: «وإن بشكل خيف لبس يجتنب» .

ولقد رأينا فى المثلين اللذين ضربناهما بالابتداء بالنكرة والإخبار بالظرف أن الإفادة تَغْفِرُ لمخالفة القاعدة وقد اتضح لنا هذا من قبل من خلال الكلام عن الترخص فى القرائن النحوية إذ قيدنا الرخصة بقيود منها:

١ - أن تكون مرهونة بمحلها فلا يقاس عليها .

٢ - أن تكون من الفصيح لا ممن جاء بعد عصر الفصاحة .

٣ - أن يؤمن معها اللبس .

وإذا كانت الرخصة من حيث المبدأ عدولا عن أصل أو قاعدة ارتبطا بهذه القيود التى قدمنا فإن ثمة عدولا آخر لا قيد عليه إلا أمن اللبس أو بعبارة أخرى لا قيد عليه إلا الإفادة . . أما ما عدا ذلك فإن هذا العدول يقاس عليه ويقبل من الفصيح وغيره . . ذلك هو ما أطلقنا عليه فى عنوان هذا الفصل «الأسلوب العدولى» .

الأسلوب العدولى خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا فى الاستعمال الأسلوبى قدرا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التى يقاس عليها. . وكما يكون فهم الترخص من خلال الاعتداد بالقرائن يكون فهم الأسلوب العدولى كذلك. . فكل قرينة من القرائن صالحة أن يترخص فيها وأن يعدل عن الاعتماد عليها ولا فرق بين الحالين إلا أن الترخص مغامرة فردية للفصيح من العرب القدماء لو تكررت من المعاصرين لعدت من قبيل الخطأ، وأن الأسلوب العدولى مورد من موارد التأثق فى الأسلوب وردد من شاء فى القديم ويرده من يشاء فى يومنا هذا. . وفيما يلى بيان بالقرائن وأمام كل منها طرق العدول الأسلوبى المطرد عن الاعتداد بها:

وستتناول كل واحد من هذه الأساليب على حدة فيما يلى:

أولا: البنية:

يعدل عن أصل البنية إما بإجراء تصريفى فتتحول صورة اللفظ الأصلية وإما بنقل المعنى بتضمين لفظ معنى آخر أو إنابته عنه وإما بتسخير اللفظ لتوليد معان هامشية لم تكن له فى الأصل اللغوى المجرد وذلك بواسطة الحكاية أو تنكير اللفظ أو تعريفه أو تعميم الإشارة إلي المقصود باستعمال الموصول أو إفادة معنى الشرط من خلال الموصول أيضا أو إعطاء الضمير وظيفة غير وظيفة الربط كإفادة الشأن أو الفصل.

وتفصيل ما سبق كما يلى:

١ - الإجراء التصريفى: من طبيعة الاستعمال اللغوى أن يسعى فيه إلى طلب الخفة اقتصادا للجهد الحركى فى النطق وتلك ظاهرة لا نعلم لغة بمنأى عنها ولقد حرصت اللغة العربية «أو بعبارة أخرى حرص الذوق العربى» على كراهية توالى المثلىن والمتقاربين والمتعارضين وكان حفيا بتوالى المختلفين والمتناسبين ومن هنا وجدنا إجراءات عدولية تصريفية تتبع فى صياغة البنية كالإدغام والإخفاء والإقلاب والإعلال والإبدال والنقل والقلب والحذف والمناسبة علاجا لمشاكل تجاور الأصوات الذى يتسم بالثقل. . وقد وجدنا لهذا العدول عن الأصل طابعا

عرفيا فى الاستعمال «على عكس الترخىص فى القرينة» رقى به إلى مستوى التقييد له ومن هنا نشأت القواعد التصريفية كقولهم:

* إذا تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا.

* إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء.

* إذا وقعت الواو أو الياء بين عدوتيهما حذفتم.

* تنقل حركة الواو أو الياء عند ثقلها إلى الساكن الصحيح قبلها.

* إذا وقعت الواو أو الياء متطرفة إثر ألف زائدة قلبت همزة.

كما رأينا المناسبة تحكم تفخيم اللام وترقيقها فى لفظ الجلالة وتحكم حركة الهاء من ضمير الغيبة فتكسر الهاء إذ سبقت بكسر أو ياء ساكنة وتضم فيما عدا ذلك وهلم جرا. . وفى الأسلوب القرآنى مالا يحصى من هذا العدول عن الأصل ومن ثم أجد من العبث أو أحاول الاستشهاد على المطرد إذ لم يستشهد النحاة على رفع الفاعل ونصب المفعول ونحوهما وإنما استشهدوا على ما كان من قواعدهم بحاجة إلى دليل من الاستعمال وبخاصة ما شذ عن القواعد أو ندر.

٢ - النقل: وهو إنما يكون من المعنى الأصلى للفظ عدولا إلى معنى آخر لغاية أسلوبية معينة ويكون هذا النقل بواحد من أمرين أولهما التضمين وثانيهما النيابة.

أ - التضمين: يتجاوز التضمين قرينة البنية إلى حيث يمكن عده ظاهرة من ظواهر التضام ذلك بأن اللفظ الذى يضمن معنى لفظ آخر يحتل موقعه أيضا فيدخل على ألفاظ قد لا يدخل عليها بأصل وضعه واستعماله فيتعدى بالحرف بعد أن كان متعديا بنفسه أو يضم حرفا فى موقعه الحاضر لا يضمه فى موقعه الأصلى وهلم جرا وفيما يلى طائفة من الشواهد القرآنية على أسلوب التضمين الذى هو ظاهرة من ظواهر النقل.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء ٢)

فعل الأكل متعد بنفسه إلى مفعوله الواحد ولا يحتاج بعد ذلك أن يتعلق به «إلى» ولو جاز له أن يتعلق به الحرف لكان الحرف «من» نحو «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» (الأنعام ١٢١) والمقصود بالنهاى عن الأكل فى آية النساء النهى عن «الضم» والمعروف أن الفعل «ضم» ينصب أحد المضمومين على المفعولية ويتعدى إلى المضموم الآخر بواسطة «إلى» ففى استعمال فعل الأكل فى الآية تضمين هذا الفعل معنى فعل الضم أى «ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم» فوق فعل الأكل فى البيئة اللفظية لفعل الضم وأدى معناه وهذا هو المقصود بالتضمين الذى هو صورة من صور النقل الأسلوبى واستعمل الأكل لما فيه من الشراهة بعكس مطلق الضم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ (المائدة ٧٧)

الفعل «غلا - يغلو» فعل لازم ولكنه فى هذه الآية نصب مفعولا به «غير الحق» إذ ضمن معنى «لا تزيدوا» أو «لا تقولوا» فحل فى البيئة اللفظية المناسبة لذلك.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ (الأعراف ١٠٣)
أى: فكفروا بها.

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (الأعراف ١٤٤)
أى: فضلتك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ
الْإِيمَانِ﴾ (التوبة ٢٣) أى: فضلوا.

﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ (هود ٣٠) أى: من يحمينى.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقِضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ (النحل ٩٢) أى «جعلت»

لأن المعنى يابى أن تكون «أنكاثا» حالا.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان ٣٠) أى:

جعلوا أو صيروا.

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (لقمان ١٥)

أى: وإن حرصاك .

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (السجدة ٥) أى: ينزل .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبِيئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنْكُمْ لَفِي

خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (سبأ ٧) أى: يقول لكم بدليل كسر همزة إن ففى الفعل معنى القول

دون حروفه . . أى أنه ضمن معنى القول .

ب - النيابة: اشتهر من أقوال النحاة قولهم إن حروف الجر ينوب بعضها عن

بعض وورد فى مصطلحاتهم ما يدل على أن النيابة واقعة عن الفاعل وعن المفعول

المطلق كما تنوب الحركة عن الحركة فى إعراب المنوع من الصرف وجمع المؤنث

السالم وتنوب المعرفة عن النكرة . . الخ .

وسموا بعض النيابة تعويضا كما فى قولهم إن النون فى المثنى والجمع السالم

عوض عن التنوين فى الاسم المفرد . . ولسنا معنيين فى هذا المقام بكل هذه الحقائق

وإنما يهمننا نيابة اللفظ (أو بعبارة أدق: إنابة اللفظ) عن اللفظ . . وأول ما نورد من

ذلك إنابة الجامد عن المشتق وإنابة المشتق عن الجامد ويحدث النوع الأول بكثرة فى

الخبر وما أصله الخبر وفى الحال والنعى كما فى قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ (البقرة ٢) أى: ذلك المستحق لهذه التسمية .

﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ (البقرة ١٠٢) أى: نحن فاتنون .

﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة ١٧٨) أى: ذلك للتخفيف

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة ١٨٧) أى: ملابس لكم .

﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة ٢٢٣) أى: مشبهات للحرث .

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ (البقرة ٢٢٩) أى: رجعى لمرة .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ (الأنفال ١٥)

أى: زاحفين.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف ٩) أى:

عجيبين.

﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (الكهف ٣٧) أى:

مكتمل الرجولة.

﴿فَتَصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ (الكهف ٤٠) بفتح اللام «مصدر» أى: زلق بكسرهما

«صفة مشبهة».

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ (الزخرف ٨٤) أى: متأله أو معبود

أو يتأله أو يعبد.

وقد تنوب المعرفة عن النكرة والنكرة عن المعرفة فأما النوع الأول فقد مثل له النحاة بقولهم: «قضية ولا أبا حسن لها» ويجوز أن يقال: «أنت حاتم الكرم وسحبان الفصاحة» وأما النوع الثانى - وهو عكس الأول - فمنه قوله تعالى:

﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ۖ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ (الهمزة ١ - ٢).

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۖ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ

بِالْبُخْلِ﴾ (الحديد ٢٢ - ٢٣)

فقد وصفت النكرة بالمعرفة وكأنها معرفة. ويبدو أن ذلك إنما يكون بعد وصف النكرة بنكرة مثلها حتى تكتسب قدرا من التخصيص يقربها من المعرفة. ومن ذلك أيضا الأعلام المشتقة كشریف وأشرف وطاهر... الخ.

٣ - تسخير اللفظ لتوليد المعنى: لكل لفظ معناه العرفى الذى ينسب إليه فى معج اللغة، وقد يكون للفظ الواحد عدد من المعانى لا يتعين له واحد منها إلا

بحسب بيئته التركيبية واللفظية فى السياق وهذا هو الذى يكشف عن القيمة الحقيقية للاستشهاد على المعانى فى المعاجم . . ولكن طاقة اللفظ تتسع لما هو أكثر من جرد المعنى العرفى الاجتماعى بأن تشمل تسخير هذا اللفظ لتوليد معان أخرى فنية أسلوبية «ولكونها أسلوبية يمكن وصفها بأنها فردية أو شخصية». وطرق تسخير الألفاظ للوصول إلى هذه الغاية مختلفة متشعبة نعد منها ولا نعددها . . فمنها ما سبق أن أشرنا إليه من حكاية اللفظ للمعنى ومنها القصد إلى تنكير للفظ أو تعريفه ومنها استعمال الموصول قصدا إلى الاستغناء بالوصف عن تعيين الذات ومنها التصرف فى طرق الإضمار . . الخ بحيث تصبح طريقة التسخير مؤشرا أسلوبيا ذا قيمة خاصة .

وفيما يلى شرح موجز لكل طريقة من هذه الطرق على حدة :

أ - الحكاية: لن أطيل فى شرح تسخير الحكاية لتوليد المعنى بعد أن شرحنا المقصود بها من قبل ومثلنا لبعض صورها فى كلام سابق . . غير أن الذى لا بد منه هنا هو أن نورد شواهد قرآنية على تسخير أجراس الألفاظ لتوليد أنواع المعانى فنجعل ما نسوقه من ذلك فى مقامنا هذا، إضافة إلى ما سبق من شواهد على قيمة الجرس فى إحداث المؤشر الأسلوبى أو الأثر النفسى المناسب (وذلك معنى من المعانى) عند الكلام عن اختيار القرآن الكريم للألفاظ . . قال تعالى :

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ (فاطر ٢٧) كان يمكن لهذا المعنى أن يوصل إليه بواسطة استعمال لفظ «صخور» ولكن حروف هذه الكلمة هى: صاد رخوة ثم خاء رخوة أيضا ثم راء تكرارية وفى الرخاوة رخاوة وفى التكرار تخلخل أما لفظ «جدد» فالشدة واقعة فى كل حرف من حروفه مما يوحى بالقوة التى تناسب مع تركيب الجبال .

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ (الصافات ٨) الفعل فى هذه الآية معدول به عن «يسمعون» الذى يشتمل على تاء بعدها سين، على حين تحولت التاء فى الآية إلى

سين وأدغمت السين في السين فصارتا سينا مشددة. . لقد دلنا الخليل على طريقة لتذوق الحروف لمعرفة مخارجها وصفاتها فأرشدنا إلى إسكان الحرف حتى نتبين منه ذلك. . وإذا أسكنا التاء حصلنا من شدتها على الصمت، وإذا أسكنا السين حصلنا من رخاوتها على الصفير وكلا الحرفين مهموس. . ولاشك أن الصفير المهموس أدل على معنى التسمع من الصمت لأننا في العادة لا نتسمع إلى الصمت وإنما نتسمع إلى الهمس.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (ص ٢١) الذي فعله المتخاصمون

المحتكمون إلى داود هو أنهم «تسلقوا السور» والصيغة الصرفية في «تسلقوا» هي تفعلوا والأصول الاشتقاقية في السور هي «س و ر» وقد ضمت الآية الصيغة إلى الأصول الثلاثة فكانت نتيجة ذلك لفظ «تسوروا» الذي هو أخصر من كلمتين وأجمع للدلالة على المعنى وأكثر حكاية له.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ (الزمر ٣٢) في الآية

تكرار الصياغة من الأصول الثلاثة «ك ذ ب» فجاءت أولا على صيغة «فعل» وجاءت ثانيا على صيغة «فعل» وتعدى اللفظان بواسطة حرف الجر إلى لفظ الجلالة أولا ثم إلى «الصدق» بعد ذلك. ولاشك أن التلبث عند أصل اشتقاقى واحد هو صورة من صور إرادة حكاية المعنى كالذى نجده في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ (النساء ١٣٦) وكذلك ﴿ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة ٧٧).

﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر ٦٤) في هذه الآية ما يلي:

أ - تقديم المفعول على الفعل لبيان عدم استحقاقه للعبادة وذلك بواسطة الاستفهام الإنكارى.

ب - لم يعين المقصود بالمفعول وإنما جعله «غير الله» لبيان أن المستحق للعبادة هو الله وحده.

ج - في الفعل دلالة بالحكاية على النبي ﷺ على وجه الخصوص لا يوجه إليه مثل

هذا الأمر وقد جاء التعبير عن ذلك بتسخير نون الرفع و نون الوقاية بإدغامهما
معا لتقوية مدلول ياء المتكلم .

د - ختمت الآية ببيان أن من يقع في مثل هذا الخطأ فهو من الجاهلين .

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ (فصلت ١٦) في الآية أمران

يحكيان أمرين:

أ - في لفظ «صرصر» تكرار من وجهين أولهما تضعيف اللفظ والثاني التكرار الذي
في الراء من حيث النطق وفي كلا الوجهين دلالة على توالي العذاب ومكثه
حتى فنى جميعهم ووصفوا بالبائدة .

ب - في همس الصاد وصفيرها وصفير السين المهموسة حكاية لصوت الريح وربما دل
تكرار الراء على ما تسببه الريح الباردة من رعشة تصيب البدن . وفي هذه
الدلالات الآتية من أجراس الكلمات ما يعزز المعنى العرفي المراد من هذه
الكلمات .

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ (الشورى ١١) كل ما جعله

البلاغيون المتأخرون تحت عنوان البديع فهو من قبيل تسخير اللفظ لتوليد المعنى ومن
ذلك دون شك ما يعرف باسم «الجناس» وكذلك المشاكلة واستعمال المشترك اللفظي
مكررا مع اختلاف المعنى . . وهنا نجد لفظ «أزواجا» الأول بمعنى الحلائل ثم يرد ثانيا
بمعنى الأصناف أو الأنواع وشبيه ذلك ما فى قوله تعالى: ﴿لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ
وَرِيثًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف ٢٦) فاللباس الأول كسوة والثانى ملابس
أى مصدر الفعل «لابس» . . وصلة ذلك بالحكاية أن اللفظ الثانى يحاكي الأول فى
جرسه فيوهم شركة فى المعنى سرعان ما تزول بالقرينة فيكون من زوالها نوع من
العجب والإعجاب هو الأثر المقصود .

﴿وَالَّذِي قَالَ لِيَأْتِيهِ أَفٌ لِّكُمَا﴾ (الأحقاف ١٧) تكاد كلمة «أف» تنقلب بجرسها

من اسم فعل إلى اسم صوت فإن ما فى الفاء من طرد النفس من الصدر حكاية

لرفض وإرادة التخلص من موقفٍ وصاحبه ولو أن الراض بحث عن تعبير مناسب للرفض ما وجد أفضل من لفظ «أف» بسبب ما فيها من دلالة طبيعية تدعم دلالتها العرفية.. فهي تدل بجرسها على ما تدل عليه بوضعها.

ب - التنكير: ومن طرق تسخير اللفظ لتوليد المعنى تنكير اللفظ حيث يمكن تعريفه وذلك للوصول إلى إفهام التعميم وما يتولد عنه من إيهام أو تهويل أو تحقير أو تعظيم بحسب موقع الكلمة من سياقها اللغوي والاجتماعي.. وفي القرآن من تسخير التنكير لتوليد هذه المعاني العدد العديد من الصور التي تؤدي إلى العديد من المعاني.. ونستطيع أن نورد من ذلك ما يلي:

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ (النساء ٤٧) وإن

القارئ ليتوقع أن يجد لفظ «وجوهكم» في مكان «وجوها» ولو كان ذلك كذلك ما أصاب المعنى أى قدر من الفساد.. ولكن مجيء الوعيد في صورة التنكير نسب الوجوه إلى أصحابها ولكن بصورة غير مباشرة، ومن ثم جاءت مترفعة غير محددة لأصحاب هذه الوجوه من بين أهل الكتاب، أهُمُ دعاة الكفر منهم فقط أم هم جميع أفراد الطائفة؟ وهكذا يقود التنكير الذهن إلى مسارب للمعنى متعددة وهو ما قصدت إليه الآية.

﴿وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (الأنعام ٧٠) قد يمكن أن يتوصل السامع إلى المعنى التركيبي للآية مع تعريف لفظ «نفس» بإضافته إلى ضمير ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ لو قيل «أن تبسل أنفسهم» ولكن ثلاثة أمور حدثت كان لها أثر في المعنى أولها تنكير النفس وثانيها إفرادها وثالثها وصفها بجملة «ليس لها الخ» أما التنكير فأثره شبيه بما ذكرنا في الآية السابقة وأما الإفراد فلإيهام الشيوع في الجنس دون خصوص العدد أو تعيين المحدود وأما الوصف فإنه يَضُمُّ إلى التعجيز «بقوله: ليس لها الخ» وعيدا بقوله: ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُلٌّ عَدَلٌ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ إذ لا بدليل لها عن الإيمان.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ (النحل ٩٤) فى القدم

من التنكير والإفراد ما لاحظنا مثله فى الآية السابقة من تنكير «نفس» غير أن الخطاب هنا للمؤمنين فى مقام النهى عن مجافاة العدل والإحسان ومع هذا التحذير جاء التنكير لثلا ينسب القدم إلى المؤمنين جميعا وليوحى بكون الزلل مشروطا فكأن الآية تقصد البعض دون الكل وتوحى بجملة أخرى تقول: «من اتخذ إيمانه دخلا فقد زلت قدمه بعد ثبوتها».

﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ (الزمر ٥٦) جاءت هذه

الآية فى معرض بعث الأمل فى نفوس القانطين والدعوة إلى الإنابة إلى الله والأمر باتباع ما أنزله الله قبل فوات الأوان لثلا تقول النفس الجانحة يا حسرتا.. وإنما جاء التنكير هنا ليؤدى معنى التعميم فكأن المقصود هو «أن تقول نفس ما» أو «أى نفس لم تطع هذه الوصايا».

﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (غافر ٢٨) نكر الرجل والمقصود موسى

ليحول القضية من قضية شخص بعينه إلى قضية عامة من قضايا منطق العدالة.

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد ٢٤) جاء طلب التعيين

بواسطة الهمزة و«أم» فى هذه الآية فكان الاحتمال الأول هو ما إذا كان لهم قلوب متفتحة يتدبرون بها القرآن ولكن أمن اللبس دعا إلى السكوت عن القلوب المتفتحة اختصارا واتكالا على قرينة ورود القلوب ذوات الأقفال بعد أم ثم جاءت هذه القلوب التى بعد أم منكرا لعدم تعيين أفراد أصحابها من بين الذين فى قلوبهم مرض.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ (الحشر ١٨) دليل إرادة

العموم هنا أنك لو وضعت لفظ (كل) قبل كلمة (نفس) لظل هيكل المعنى وإطارة العام كما هو.. ومعنى هذا أن التنكير أغنى عن لفظ «كل» بما أفاده التنكير من معنى العموم ففى الآية أمر من الله سبحانه للذين آمنوا جميعا أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (عبس ٣٨) المعانى ولائذ القرائن سواء أكانت هذه القرائن لفظية أم معنوية أم خارجية ولقد كان من الممكن للوجوه هنا أن تفيد بتكثيرها التعميم لولا أن قامت وجوه أخرى «عليها غبرة» بعدها بقليل لتسحب على نوعى الوجوه معنى التفصيل بحيث يصبح المقصود: «بعض الوجوه مسفرة وبعضها عليه غبرة».. وبهذا تعد الوجوه الثانية قرينة لفظية على إرادة التفصيل بطائفتى الوجوه معا وليس التعميم بذكر الأولى فقط.

﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار ٥) هنا أيضا لو وضعنا لفظ «كل» قبل النفس لبقى إطار المعنى على حاله لأن «كل نفس» ستعلم يوم القيامة جملة أعمالها بطايرها الذى فى عنقها وبكتابها الذى تلقاه منشورا وبشهادة الجوارح عليها إذ يشهد عليهم ﴿سَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَجَلَدَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (فصلت ٢٠) ثم بشهادة ذوى الحقوق المهضومة على النفس الظالمة وشكواها إلى ربها.

ج - التعريف: قد يكون التعريف «تعريف النكرة» بأل التى تفيد الجنس أو التى تفيد العهد ولكن هذه الإفادة تأتى بحكم الوضع فهى لغوية استصحائية لا عدولية أسلوبية.. أما الأسلوب العدولى فقد يحمل المتكلم أداة التعريف من المعنى ما ليس لها بأصل الوضع.. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ (العنكبوت ١٧) فإن تعريف الرزق هنا أفاد أنه لا رازق إلا الله لإفادة «ال» معنى استغراق الجنس وما كان يمكن الوصول إلى هذا القصر فى المعنى لو أن الرزق قد جاء على صورة النكرة فلو قيل «فابتغوا عند الله رزقا» ما كان هذا القول حائلا دون فهم التعدد لمصادر الرزق.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت ٦٤) ولقد أعطانا التعريف هنا معنى إضافيا إذ جعل الدار الآخرة هى الحياة الحقيقية لأنها دائمة وفى هذا ما يشير إلى أن الحياة الدنيا إنما هى

«حياة» ولكنها ليست «الحياة» لأنها مؤقتة لا تعدو أن تكون لهوا ولعبا ومتاعا زائلا .
 ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ
 الْحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب ١٠) لقد خرجت الأداة هنا عن مجرد التعريف إلى الربط
 فأصبحت فى قوة الضمير فصار المعنى: «وإذ زاغت أبصاركم وبلغت قلوبكم
 حناجركم» .

﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ (سبأ ٣٧) لهؤلاء المؤمنين «جزاء
 مضاعف» ولكن هذه العبارة التى جرت مجرى التنكير لا تفهم أى قدر من التأكيد .
 ولو قيل «ضعف الجزاء» لكان التعريف المفيد للتأكيد فى الآية قد أصاب الجزاء دون
 الضعف . . غير أن المراد إبراز المضاعفة للجزاء وليس إبراز الجزاء نفسه ولهذا لحقت
 الأداة بالضعف مع جعله فى موقع المضاف إليه وهذا شبيه بما فى قوله تعالى:
 ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ (الأعراف ١٦٩) أى يأخذون هذا
 العرض الأدنى .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ (فاطر ١٢)
 لم يقل وما يستوى بحران بالتنكير لأن الكلام عن نوعى البحار وليس عن بحرين
 شائعين ولما كان نوعا البحار لا ثالث لهما كان لهما من التعيين ما دعا إلى تعريف
 البحرين لتدل الأداة على معنى أوسع من مجرد الجنس .

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ (فاطر ٤٣) أى ومكرًا سيئًا بالعطف على
 «استكباراً» ولكن لما كان التنكير يضى على المكر قدرا من العموم لا يراد به
 التخصيص بالوصف جاء التعريف وجاءت الإضافة ليجعلا المكر محدد المعالم
 معروف الوصف ولذلك جاء المكر معرفة بعد ذلك فى قوله: «ولا يحقُّ المَكْرُ
 السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» وهذا شبيه بما سبق من «جزاء الضعف» و«عرض هذا الأدنى» .

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (غافر ٧٥)

لو قال بغير حق لم يكن فى ذلك إشارة إلى الكفر ونكران الدين بل إن الذى يفهم فى هذه الحالة هو «ضد الباطل» وليس «ضد الإيمان» أما تعريف الحق فقد صرف المعنى إلى الاحتمال الثانى، ومثله: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (فصلت ١٥).

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى ٤٩) جاءت الإناث نكرة والذكور معرفة من أجل الفاصلة ولو نكر ل قيل «ويهب لمن يشاء ذكورا» لتغير جرس الفاصلة واختلفت عما قبلها من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (الشورى ٤٨)

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (الجاثية ٢٢) لو قال «بحق» لكان المعنى «خلقهما حقا وصدقا» ولكن تعريف «الحق جعل المعنى «خلقهما بما يحق له من علم وإرادة وقوة».. فالحق هنا مصدر لا صفة مشبهة إذ لو كان صفة مشبهة لكانت «ال» موصولة لا أداة تعريف.. والموصولة لا تفيد تعريفا ولا تخصيصا.

أما الحق بمعنى الصدق فذلك قوله تعالى:

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (الجاثية ٢٩).

﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الأحقاف ١٦) هذا أيضا من إضافة الموصوف إلى صفته «أسلوب قرآنى صرف» مثل «عرض هذا الأدنى» و«مكر السوء» و«جزاء الضعف» والذى دعا إلى تعريف الصدق أمران: أولهما إرادة تعيين الوعد فكأن هذا الوعد كان معهودا معروفا موضع اتفاق وقرار وثانيهما سبب تركيبى هو التمهيد لوصف هذا الوعد بالموصول وصلته هذا على رغم أن تخصيص النكرة بالإضافة إلى نكرة أخرى «وعد صدق» كان يجعل النكرة سالحة للموصوف بالموصول فقد وصفت به عند تخصيصها بالموصوف بنكرة أخرى فى القرآن والحديث والأثر كما فى سورة الهمزة وفى قولنا عند إقامة الصلاة «وابعثه مقاما محمودا الذى وعده».

د - الموصول: فى التراكيب العربية ما يعرف باسم: «الايخبار بالذى والألف واللام» ويسخر هذا النوع من الإخبار بالموصول لأداء معانى زائدة على مجرد الإخبار كإفادة الشرط مثلاً. . فهذا التركيب إما أن يكون للإخبار المجرد من ظلال المعانى الأخرى وفى هذه الحالة تبدو الجملة الخبرية على صورتها النمطية المعروفة لا يدخل على تركيبها تعديل ما وإما أن تشرب هذه الجملة معنى الشرط فيصدق على خبرها من شروط الاتصال بالفاء ما يصدق على جواب الشرط فإذا كان خبرها جملة اسمية أو طلبية أو كان فعلها جامداً أو كانت منفية بما أو لن أو مصدرّة بقدر أو بحرف تنفيس اقترن هذا الخبر بالفاء وسنورد فى الأسطر الآتية إن شاء الله نماذج من كل من هاتين الطريقتين من طرق بناء الإخبار:

١ - طريقة الإخبار الخالص:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة ٣ - ٥).

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة ٢٧)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة ٣٩)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَإِذْ

أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (البقرة ٨٢)

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة ١٢١)

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (١٤٦)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنزِلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ (البقرة ١٧٤)

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ (البقرة ٢١٨)

﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة ٢٢٨)

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة ٢٣٣)

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة ٢٣٤)

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ (البقرة ٢٤٠)

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٢٦٢)

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة ٢٧٥)

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٢٧٧)

فالمقصود بكل هذه التراكيب إلقاء الخبر صريحا ليفيد هذا الخبر وعدا أو وعيدا أو تشريعا أو أمرا بحسب موقع التركيب من سياق النص وليس بحسب عنصر لفظي معين في التركيب وقد حدث في معظم الآيات السابقة أن كان ربط المبتدأ بالخبر بواسطة الإشارة على غرار ما في ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف ٢٦) ولم يتم

الربط بواسطة الفاء فى كل ما تقدم .

٢ - طريقة التعبير عن معنى الشرط بالتركيب الخبرى :

والمقصود بمعنى الشرط هنا توقف تحقق الخبر على المبتدأ ويستفاد هذا التوقف من الربط بالفاء من جهة ثم من وقوع هذا الربط بالشروط الواجبة لمثله فى الجملة الشرطية وهى كون جملة الجواب :

اسمية طلبية وبجامد وبما ولن وبقد وبالتنفيس .

فإذا كانت جملة الخبر واحدة من هذه الأنواع تعين ربطها بالفاء كذلك على نحو ما يربط بها جواب الشرط للدلالة على تشرب الجملة الخبرية معنى الشرط .

هذا وسنورد فى الأسطر التالية إن شاء الله عددا من الشواهد على هذه الجملة المبدوءة بالموصول والتي يرتبط خبرها بمبتدئها بواسطة الفاء .

﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

(البقرة ٢٧٤) أى إن انفقوا فلهم أجرهم ومن أنفق فله أجره .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ

بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران ٢١) أى من كانوا كذلك فبشرهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ

افْتَدَى بِهِ ﴾ (آل عمران ٩١) أى من مات كافرا فلن يقبل منه .

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتَوْهُمْ نَصِيحَهُمْ ﴾ (النساء ٣٣) أى من عقدت

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ (المائدة ٣٨) .

﴿ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

(٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ (التوبة ٣٤ - ٣٥)

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور ٢) أى: من زنت

ومن زنى .

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾

(النور ٤) أى: من رمى ولم يأت

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ

خَيْرًا﴾ (النور ٣٣)

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ

غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ (النور ٦٠)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ

لَهُمْ﴾ (محمد ٣٤)

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ

يَتِمَّاسًا﴾ (المجادلة ٣)

وقد اجتمع إشراب الشرط والخبر الخالص فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البروج ١٠ - ١١).

والموصول يأتيه العموم من بين يديه ومن خلفه لأن دلالة فى الأصل إنما هى على مطلق غائب (وبين الإطلاق والتعميم رحم وقربى) ولأنه مفتقر إلى صلة تمنح معناه شيئاً من التحديد (والافتقار فى اللفظ دليل فقر فى الدلالة) والدليل على عموم معناه أيضاً أنه ينقل فيكون من روابط الجملة كما رأينا فى الفصل الذى يدور حول الربط كما يكون أداة للشرط أو الاستفهام بواسطة النقل وذلك شأن «من وما وأى» دون بقية الموصولات .

هـ - الإضمار: الضمائر عندى ثلاثة أنواع: ضمائر الأشخاص وضمائر الإشارات ثم الموصولات وقد فرغنا لتونا من الكلام فى تسخير الموصولات لتوليد المعانى وسنين إن شاء الله فيما يلى كيف يمكن تسخير النوعين الآخرين لهذا الغرض . . ولقد سبق عند الكلام عن الربط كيف كانت الضمائر بأنواعها الثلاثة صالحة للنقل إلى أن تصبح روابط بين عناصر الجملة أما الآن فإن أول ما يرد على الخاطر من تسخيرها لتوليد المعانى هو التعبير عن الشأن . . والذى يصلح أن يكون ضمير شأن نوعان أحدهما ضمير الشخص وثانيهما فى رأى ضمير الإشارة والمعروف أن تسخير الضمير لهذا المعنى يجعله مختلفا عن طابع الضمائر من عدة نواح لأنه:

أ - لا بد له أن يعود على متأخر لفاظا ورتبة .

ب - وأن مرجعه المتأخر لا يكون إلا جملة .

ج - وأنه يلازم الأفراد لأن مدلوله شأن لا شأنان ولا شئون .

د - وأنه يكون مبتدأ وقد يدخل عليه الناسخ .

هـ - أنه لا يتبعه تابع أيا كان هذا التابع .

وفى ما يلى طائفة من الشواهد التى تبين كيف يسخر الضمير للتعبير عن الشأن وسيوضح فيها توافر الشروط الخمسة السابقة:

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنعام ٢١)

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٩٠)

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي

الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ (لقمان ١٦)

﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ (الكهف ٣٨)

﴿ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (النمل ٩)

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (طه ٧٤)

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (الشورى ١٠)

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ (فصلت ٢٧)

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ (فصلت ٢٣)

وقد تسخر ضمائر الأشخاص لتوليد معنى التأكيد، وذلك بجعلها ضمائر فصل لا محل لها من الإعراب كما فى قوله تعالى :

﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (الصفات ١٦٥)

﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (الكهف ٣٩)

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة ١١٧)

﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل ٢٠)

﴿هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (هود ٧٨) على قراءة نصب «أطهر».

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة ٥)

ولضمير الإشارة استعمال اخر لإفادة التلخيص لما سبق من قول تمهيدا للعطف عليه وذلك نمط من أنماط الربط شائع فى الأسلوب القرآنى، كما فى قوله تعالى :

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ (ص ٥٥)

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنَّصُرَنَّ اللَّهُ﴾ (الحج ٦٠)

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال ١٨)

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (الحج ٣٠)

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج ٣٢)

ثانياً: الإعراب:

الإعراب كما ذكرنا من قبل قرينة محدودة مجال التطبيق في تراكيب العربية نظراً لتعذر الاعتماد عليه في كثير من عناصر اللغة، كالمبنى والمقصود وبعض المنقوص والمصادر المؤولة والجمل ذوات المحل، إلخ.. أضف إلى ذلك أن تضافر القرائن على بيان المعنى النحوي وندرة اعتماد هذا المعنى على قرينة واحدة فقط يجعل بعض القرائن المتضافرة لبيان المعنى زائدة عن المطلوب أحياناً، فإذا زاد الإعراب عن مطالب بيان المعنى كما في «خرق الثوب المسمار» ونحوه أمكن الترخص في الإعراب بعدم مراعاته، وذلك للوصول بالرخصة إلى غرض أسلوبى عدولى ما، كمرعاة القافية في الشعر في قول امرئ القيس:

كأن ثبيراً في عرائنٍ ويله كبيرٌ أناسٍ في بجادٍ مزملٍ

أو مراعاة المناسبة الصوتية بين أواخر كلمتين متجاورتين، وهى التى تسمى إعراب الجوار، كما فى قراءة حمزة والكسائى ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ﴾ (الانسان ٢١) بجر لفظ «خضر» لمناسبة الجر فى اخر «سندس» وكالذى نراه من إشباع الفتحة فى آخر ألفاظ المعرف بالأداة، كما فى قوله تعالى:

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب ١٠)

﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ (الأحزاب ٦٦)

﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب ٦٧)

وربما كان من الأسلوب العدولى بعد الحركة الأخيرة بعامة الحاق هاء السكت فى آخر الكلمات المنتهية بالياء المفتوحة، كما فى آيات سورة الحاقة من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ﴾ (الحاقة ١٩ - ٢٠) وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِمَا حِسَابِيَهٗ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ (٢٨) هَلْكَ

(٢٨) هَلَكَ عَنِ سُلْطَانِيَّةٍ ﴿ (الحاقة ٢٥ - ٢٩) وأخيراً يأتي الوقف على آخر الكلام

أسلوباً عدولياً عن الإعراب له مالأصل الإعرابي من تععيد وله ماله من أطراد.

ثالثاً: الربط:

يعدل عن الربط بأساليب متعددة منها الالتفات والتغليب والمراوحة وحذف الرباط، وفيما يلي شرح للمقصود بكل واحد من هذه الأساليب:

أ - الالتفات:

وهو إما نحوى خالص، وإما دلالي خالص وإما نحوى دلالي، وسنبداً بإيراد شواهد الالتفات الدلالي الخالص، لأنه أقل من النوعين الآخرين في الورد. ومعنى أنه دلالي خالص أن العنصر النحوى الذى من شأنه أن يكون محل الالتفات يبقى على صورته فلا يتغير من صورته شىء، ولكن دلالاته عند إيراده ثانياً تختلف عنها عند إيراده أولاً من ذلك مثلاً:

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (النور ٣٣)،

فالضمير فى «آتوهم» لم يتحول عن صورته التى فى «كاتبوهم» لأنه فى الحالتين ضمير المخاطبين، ولكن الأمر بالمكاتبة لمن يملكون رقاب هؤلاء الأرقاء، أما الأمر بالإيتاء فهو لعامة المسلمين الذين طلب منهم أن يعينوا هؤلاء الأرقاء على الوفاء بالمال الذى كوتبوا عليه، فدلالة الضمير فى الحالة الثانية غير دلالاته فى الحالة الأولى والصورة النحوية واحدة لم تختلف، أى أن الالتفات هنا دلالي لا نحوى.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

(البقرة ٤٧) فإذا نظرنا إلى الضمير فى «اذكروا» وجدناه لجماعة المخاطبين، وهم بنو إسرائيل. ثم تضى الايات بعد ذلك تعلق أحداثاً معينة من أيام بنى إسرائيل بالفعل «اذكروا» بواسطة الظرف «إذ» على النحو التالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ (البقرة ٤٩)

- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ (البقرة ٥٠)
- ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (البقرة ٥١)
- ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ (البقرة ٥٣)
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ﴾ (البقرة ٥٤)
- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ (البقرة ٥٥)
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ (البقرة ٥٨)
- ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ (البقرة ٦٠)
- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ﴾ (البقرة ٦١)
- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ (البقرة ٦٣)
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ (البقرة ٦٧)

ثم يبقى الضمير على صورته بعد ذلك ويختلف المخاطبون به في قوله تعالى:
﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ (البقرة ٧٥) باختلاف المدلول مع بقاء الضمير على صورته يجعل الالتفات دلاليا غير نحوي. فإذا تغيرت الدلالة وصورة الضمير كلتاهما كان الالتفات دلاليا ونحويا في آن واحد كما في قوله تعالى:

﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

(الأعراف ٢ - ٣) لاحظ الفرق بين ضميري الخطاب في «إليك» و«اتبعوا» فالأول للنبي ﷺ والثاني لعامة المؤمنين، فاختلف الضميران دلاليا بذلك ونحويا بالفرق بين الأفراد والمجمع.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

(٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿
(البقرة ٢٤ - ٢٥)، والفرق هنا بين الفعلين: «تفعلوا» و«بشر».

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴿
(البقرة ١٠٧ - ١٠٨) قارن: «تعلم» و«تريدون».

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ
إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ (الحجر ٢٤) قارن: «منكم» و«ربك». «ويحشرهم».

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوهُ وَتُقِرُّوهُ
وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ (الفتح ٨ - ٩) قارن: «أرسلناك» و«لتؤمنوا».

فإذا بقى المدلول فى بؤرة القصد واختلفت صورة الضمير كان الالتفات نحوياً
فقط، وهذا كثير شائع فى الأسلوب القرآنى كما فى قوله تعالى:

﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا
فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ (النساء ٤٧) قارن: «لما
معكم» و«نلعنهم».

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ ﴿
(الأنعام ٦) قارن: «قبلهم» و«لكم» اختلف الضمير واتفق القصد لأن المقصود فى
الحالتين كفار مكة.

﴿ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ
وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴿ (يونس ٢٢) قارن: «كنتم» و«بهم».

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥)
وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل ١٥ - ١٦) قارن: «تهتدون» و«يهتدون».

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ (طه ٥٣) قارن: «جعل» و«أخرجنا».

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ بِرَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت ٢٣) قارن: «لقاءه» و«رحمتي».

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان ١٠) قارن:
«خلق» و«أنزلنا».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ (فاطر ٢٧)
قارن: «أنزل» و«أخرجنا».

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا أَلْبَاحٌ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾
(الشورى ٤٨) قارن: «فرح» و«تصيبهم».

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾
(الزخرف ١١) قارن: «أنزل» و«أنشرنا».

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧٠)
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الزخرف ٦٩ - ٧١) قارن: «آمنوا» و«ادخلوا» و«عليهم» و«أنتم» على

الترتيب.

وتقسيم ظاهرة الالتفات على هذا النحو من مبتكرات هذا البحث فلست أعلم من سبقنى إليه.

ب - التغليب :

وهو كذلك عدول عن المطابقة. وينقسم إلى قسمين أحدهما معجمى والآخر نحوى، فهو معجمى حين يكون التغليب ملحوظا فى الكلمات المفردة، ولكنه نحوى حين يكون وظيفة للضمائر، والمقصود بالكلمات المفردة ذوات المعنى المفرد، الذى يتكفل ببيانه المعجم، وذلك فى مقابل الكلمات التركيبية ذوات المعنى الوظيفى الذى يتكفل ببيانه النحو كأدوات والضمائر ونحوها، وقد سبق التفريق بين هاتين الطائفتين. فإذا قلنا: «العمران» وقصدنا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، فقد غلبنا لفظ «عمر» على لفظ «أبى بكر» واللفظان علمان لا ضميران، وكذلك يقال فى «الحسين» و«القارظين» و«الحرمين» و«ذى اليمينين» وما أشبه ذلك. ومن هذا القبيل ما نجد فى قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء ٢٣) لأن الولادة من وظائف الأم دون الأب، فلما كان المقصود الدعوة إلى البر بهما، وكانت الأم أولى من الأب بهذا البر حدث التغليب ليدخل الأب بواسطته إلى هذه الوصية تبعا لتلك التى حملت كرها ووضعت كرها، ثم أرضعت ولزمت خدمة وليدها حتى كبر.

أما فى مقام الكلام عن حماية الطفل وإكسابه الفضائل الخلقية والنفسية، فإن الأولى بالتغليب أن يكون بلفظ «الأبوين». وإذا فخر الشاعر، فإنه يفخر بأبويه لا بوالديه، وحسبنا أن نقرأ قول الفرزدق:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جعتنا يا جرير المجمع

بل إنه عندما غلبت المرأة بوظيفة الولادة فى لفظ «الوالدين» جاء تغليب الرجل من زاوية أخرى بتذكير اللفظ، إذ لم يقل «بالوالدين» وإنما قال: بالوالدين فغلبت الأنوثة معجميا وغلب التذكير نحويا، مما يدل على ميل اللغة إلى الاختصار بحذف علامة التأنيث واللجوء إلى التذكير، وهو غير ذى علامة، وربما عد ذلك مظهرا من

مظاهر طلب الحفة. ومن ذلك أيضا ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن ١٩) والمقصود البحر والنهر، أما قوله بعد ذلك ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن ٢٢) فتغليب نحوى بواسطة الضمير، لأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر دون النهر، ومن هذا القبيل أيضا:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (الحديد ١٢)
 ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (الحديد ١٣)
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن ١٤)
 ﴿وَالَّذَانَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا﴾ (النساء ١٦)

ج - المراوحة:

والمقصود بها أن يختلف النظر إلى الكلمة من حيث المطابقة بين اعتبارها مفردا أو مثنى أو جمعا، وكذلك بين أن تكون مذكرا أو مؤنثا، ففي قوله تعالى ﴿غُلِبَتْ الرَّومُ﴾ (الروم ٢) جاءت الروم فاعلا لفعل لحقته تاء التأنيث ولو قيل «غلب الروم» لصح ذلك وأجزأ. وقد يصدق ذلك على «من» التي هي فى الأصل موصولة، ولكنها تنقل من الموصولية إلى الشرط أو الاستفهام فتبقى على لفظها وعلى صلاحها أن تدل على عموم المعانى الوظيفية الآتية:

- الافراد أو التثنية أو الجمع.

- التذكير أو التأنيث.

فمن أعاد الضمير عليها فردا مذكرا، فقد راعى اللفظ، ومن أعاده مثنى أو جمعا أو مؤنثا، فقد راعى المعنى. وهذه المراوحة بين لفظها، ومعناها عدول عن استصحاب المطابقة للفظ، أو هى أسلوب عدولى مقبول، مثل قبول استصحاب المطابقة تماما،

ومن ثم لا يعد من قبيل الترخص، لأن الترخص قرار فردي، والعدول أسلوب اجتماعي معترف به من جميع مستعملي اللغة. ونورد فيما يلي شواهد من النوعين: النوع الذي أشرنا إليه بعبارة «غلبت الروم» والنوع الثاني المتصل بلفظ «من» ومعناها، فمن الأول:

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ (التوبة ٩٨) بإعادة الضمير مذكرا في من «يتخذ» إلى «الأعراب» ولكن:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ (الحجرات ١٤) بإلحاق علامة التانيث بالفعل «قالت».

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (يس ٣١) بإعادة الضمير تذكيرا وجمعا إلى «القرون» ولكن:

﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ (الأحقاف ١٧) بإلحاق التاء بالفعل «خلت» والضمير مفرد مؤنث ومن النوع الثاني:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُنْكَنَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ (الأحزاب ٣١)

فلقد جاءت المراوحة بين اللفظ والمعنى، من حيث التذكير والتانيث على نحو ما يبدو من المقابلة بين «يقنت» و«تعمل». فلفظ «من» مذكر لخلوه من علامة التانيث، ولكن مدلولها - وهو نساء النبي ﷺ - مؤنث. ولما كان الشأن في الكلام أن تكون المطابقة قرينة على المعنى النحوي كان عدم استصحابها عدولا عنها وكان شيوعه وقبوله أسلوبا عدوليا.

د - حذف الرابط:

وفى أصول النحو أنه «لا حذف إلا بدليل» وإذا وجد دليل الحذف أمن اللبس مع وجود الحذف، ومن هنا يصبح حذف الرابط مع وجود الدليل أسلوبا مقبولا عدل به عن استصحاب الربط أو بعبارة أخرى أصبح حذف الرابط أسلوبا عدوليا في إطار

المطابقة. وقد يكون الرابط المحذوف ضمير الغائب، كما فى قوله تعالى:

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة ٢٥) أى:

رزقناه أو رزقنا إياه.

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ (البقرة ٤١) ودليل الحذف فيها الموصول

وافتنقاره إلى ما يربط صلته به.

﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة ٦١) وهذا مثل ما سبق ومثله أيضا.

﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة ٧٢) أى: تكتُمونه.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ٧٤ - ٧٥) أى: تعلمونه

﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (البقرة ٧٧) أى: تسرونه وتعلنونه.

﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة ٧٩) أى: يكسبونه.

﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٨٠) أى: مالا تعلمونه.

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ (البقرة ٨٧) أى: بما لا تهواه.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ (البقرة ٨٩) أى: عرفوه.

وقد يكون للغائبة نحو:

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة ٤٠ - ٤٧) أى: أنعمتها.

وقد يقدر المحذوف مجرورا بالحرف نحو:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (البقرة ٤٨) أى: لا تجزى فيه.

﴿يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ (آل عمران ١٥٤) أى: وطائفة

منكم قد أهتمتهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكْفِ نُفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا﴾ (الأعراف ٤٢) أى: نفساً منهم.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف ١٥٣) أى: لغفور لهم رحيم بهم.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الشورى ٢٢) أى يبشر به عباده.

وقد يكون الرابط المحذوف ضمير إشارة نحو:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (البقرة ٢٤) أى: فإن لم تفعلوا ذلك.

﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة ٧١) أى: يفعلون ذلك.

﴿ثُمَّ يَحْرِقُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٧٥) أى: يعلمون ذلك.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (البقرة ٨٤) أى: تشهدون على ذلك.

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة ٦٧) أى: وإن لم تفعل ذلك.

وقد يكون الرابط المحذوف حرف عطف، كما قدمنا عند الكلام عن الفصل البلاغى نحو ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ (القصص ٦٣) وقد يكون الرابط المحذوف مما يدخل على الأجوبة نحو ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام ١٢١)، وقد يكون حرف جر، كما فى حال نزع الخافض، وقد يكون غير ذلك.

رابعاً: الرتبة:

العدول عن الرتبة عدم مراعاتها بتقديم ما رتبته التأخير أو العكس، وتسمى الرتبة فى هذه الحالة رتبة مشوشة، وإنه ل يبدو أن التقديم والتأخير وفوائده هو أوضح ما جذب انتباه البلاغيين من الأساليب العدولية إذ جعلوا ذلك بحثاً خاصاً من مباحث علمهم وربطوا بين التقديم والاهتمام بالمقدم حتى لقد قاربوا فى المعنى بين التقديم والقصر فى الأكثر الأعم من الحالات. ويبدو أن الرتبة غير المحفوظة بين أبواب النحو تجرى على النحو التالى:

(ضربت زيدا وطلوع الشمس ضربا شديدا يوم الجمعة فى داره تأديبا له) فالفعل والفاعل أولا يليهما المفعول به فالمفعول معه فالمفعول المطلق، فالظرف والجار والمجرور، فالمفعول لأجله. فإذا قرأنا قول تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة ٥) عرفنا أن ذلك إعادة ترتيب لأبواب جملة هى: نعبدك ونستعينك وأن هذا التقديم إنما جاء ليدل على أن العبادة والاستعانة لا تكونان إلا لله وحده، وذلك يقرب المعنى من قولنا: لا نعبد ولا نستعين إلا إياك. وتقريب المعنى على هذا النحو هو وظيفة تقديم المفعول على الفعل وفاعله المقدر. وإذا قرأنا ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف ١٤٠) عرفنا أن تقديم المفعول إنما جاء للتبنيه على أن الفطرة السليمة لا ترى الألوهية إلا لله، وأن من شأن الطبع السليم أن يقر بالنعمة للمنعم، فإذا كان الله فضلهم على العالمين فأولى بهم ألا يشركوا به أو يعدلوا به غيره.

وإذا قرأنا: ﴿أَتَفَكَّا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (الصفافات ٨٦) ونظرنا إلى ترتيب الأبواب السابق وجدنا المفعول لأجله وهو آخرها رتبة قد تصدر هذا الشاهد يتلوه المفعول به ونعته فعلمنا أن أول ما تعلق به الاهتمام هو السببية التى عبر عنها المفعول لأجله، لأن الكفر عن ضلال قد ترجى له الهداية، أما الكفر عن إفك فذلك انحراف مع تدبير وكيد وإصرار، ولهذا عجب إبراهيم لقومه الذين يعلمون أن الأصنام لا

تضر ولا تنفع، ثم يصرون على عبادتها بالباطل. وإذا قرأنا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿ (النساء ٢٦ - ٢٧) ولاحظنا فعل الإرادة ولفظ الجلالة رأينا ترتيب ذلك كما يلي: يريد الله - والله يريد - يريد الله. فإذا بحثنا عن السبب وجدنا تقديم لفظ الجلالة في مورده الثانى إنما كان لوضعه موضع المقارنة ومع الذين يتبعون الشهوات، أما فى المرة الأولى والثالثة فالاهتمام معلق بالإرادة لا بالمقارنة.

معنى ذلك أن التقديم وهو أسلوب عدولى عن أصل الرتبة ومؤشر أسلوبى، إنما يكون لغايات تتصل بالمعنى وذلك شأن الأسلوب العدولى مع كل القرائن ومما يتصل بالعدول عن الرتبة لأغراض أسلوبية أيضا:

أ - اللف والنشر المشوش.

ب - عكس الترتيب الزمنى أو المنطقى.

ج - تشويش رتبة الأشباه.

ولقد أوردنا نماذج لكل ذلك عند الكلام عن الرتبة غير المحفوظة فلا داعى للإطالة بإعادة ذكره، وإنما نشير إلى النوع الأول (اللف والنشر المشوش) فى الروم ٢٣ - ٤٨، وفى مقارنة البقرة ٨٨ بالنساء ٤٦، وكذلك. مقارنة النحل ٨٩ بالنساء ٤١، كما نشير لعكس الترتيب الزمنى إلى ما فى سورة النساء ١٦٣ - ١٦٤، وعكس الترتيب العقلى بالنمل ٢٨، والنجم ٨، ونشير لبيان تشويش رتبة الأشباه بما فى الكهف ١ - ٢، والفرقان ٥٨ - ٥٩، والبقرة ٧١، والبقرة ١٢٥، والبقرة ١٢٩، وآل عمران ١٥، ويوسف ١٠٩، وغافر ٧١، وكل ذلك مثبت بنصه وشرحه عند الكلام عن قرينة الرتبة فليرجع إليه من شاء.

خامسا: التضام:

من الأساليب العدولية فى إقليم التضام ظواهر الحذف والزيادة والاعتراض

والفصل النحوى وتجاهل الاختصاص النحوى وتجاهل المناسبة المعجمية المجاز) وستتكمم عن كل واحدة من هذه الظواهر باختصار.

أ - الحذف:

إذا قلنا إن فى أسلوب القرآن حذفاً فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن، وإنما ننسبه إلى تركيب اللغة، ذلك بأن اللغة تجعل للجملية العربية أنماطاً تركيبية معينة، وفى الجملة أركانها ومكملاتها، وفى عناصرها ما يفترق إلى غيره، وما لا يستغنى المعنى عن تقديره، فإذا لم تشتمل الجملة على أحد أركانها، أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب من مكملاتها وعناصرها الأخرى، ثم اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عددنا ذلك حذفاً جىء به لطلب الخفة اختصاراً أو اقتصاراً أو تجنباً للحشو أو لسبب آخر غير ذلك. وكل عنصر من عناصر الجملة صالح لأن يحذف إذا قام الدليل عليه، فأمكن تقديره فى الكلام. ولقد يحسن أحياناً أن يحذف الحرف أو الضمير أو الكلمة المفردة أو أحد أركان الجملة أو تكملاتها، كما يحذف من الكلام ما يقتضيه المعنى، وإن طال الكلام المحذوف. «أما الحرف، فقد مر بنا الكلام عن نزع الخافض فى كثير من الشواهد القرآنية السابقة كما مر بنا حذف الأدوات الداخلة على الجملة كحذف أداة الاستفهام فى قوله تعالى:

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة ١٢٤).

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء ٢٢).

وقد يحذف حرف العطف كما فى:

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ (مريم ٢٣) أى:

فقالت.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾

(هود ٧٨) أى: فقال.

﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ (يوسف ١٦ - ١٧) أى:

فقالوا.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ (ص ٢٢) أى: فقالوا.

وربما عددنا ذلك من قبيل الفصل البلاغى، ودليل الحذف فى كل ذلك ماثل لا يخفى، ففى آية البقرة ١٢٤ دليل السؤال هو الجواب الذى بعده وفى الشعراء ٢٢ ما بين النعمة والتعبيد من مفارقة معجمية تأبى على الجملة أن تكون خيرا وفى مريم ٢٣ الدليل هو ترتيب الأحداث وارتباط أحدها بالآخر، وفى هو ٧٨ وضع عرض البنات بإزاء سبق عمل السيئات، وفى آية يوسف ترتيب الأحداث، وفى آية ص ٢٢ ما بين الفزع والخوف من اتحاد فى المعنى، فلما جاءت عبارة «لا تخف» كانت ردا على قوله: «فزع منهم» ومعنى هذا أن الدليل قد يكون من اللفظ، وقد يكون من المعنى.

وقد تحذف اللام الموطئة للقسم، كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾

(الحشر ١١) ودليل الحذف ما سبق ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ

يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام ١١٧) أى: بمن يضل بدليل قوله بعد

ذلك «بالمهتدين». والدليل الآخر تركيبى، وهو أن أفعال التفضيل لا ينصب مفعولا

به، ومن ثم تلزم الباء فى هذا الوضع، وقد يحذف الضمير، وقد رأينا ذلك عند

الكلام عن حذف الرابط منذ قليل، وقد يحذف فعل الشروع كما فى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ

إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود ٧٤) أى: جعل يجادلنا

أو أنشأ يجادلنا.

أما حذف ركن الجملة فمنه قوله تعالى:

﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سبا ١٥) أى بلدتكم بلدة طيبة وربكم رب غفور.

﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة ١٧٨)

أى: فخير له.

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾

(البقرة ٢٣٧) أى: فحقهن عليكم.

ومن حذف الجملة بركنيتها:

﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة ٦٠) أى:

فضرب فانفجرت.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة ١٨٤) أى: فأفطر

ففضاؤه عدة.

ومن حذف جمل متعددة يقتضيها المعنى بقريته السياق:

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ﴾ (١٢٠)

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ (طه ١٢٠ - ١٢١) أى: فاستمع إليه وأطاع وسوسته فأكلا منها.

﴿وَلَقَدْ رَاودتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ

الصَّاعِرِينَ﴾ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف ٣٢ - ٣٣)

أى: فلم يفعل ما أمرته به فأدخلوه السجن فدعا ربه قائلا: رب السجن أحب

إلي...

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي

أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ (يوسف ٣٥ - ٣٦) أى: فتیان رأى كل

منهما رؤيا قصها على يوسف ليؤولها له.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا

الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ (يوسف ٤٦) أى: فأرسلوه فذهب فى طلبه، فلما دخل عليه قال:

يوسف أيها الصديق.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِوُونَ﴾ (٤٩) وَقَالَ الْمَلِكُ

أَتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ﴿٥١﴾ (يوسف ٤٩ - ٥١) أى: وصدق تأويل يوسف للرؤيا فعجب الملك لذلك وقال الملك اتتوني به، فأرسلوا إليه من يحضره، فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فرجع الرسول إلى سيده فسأله عنهن فأرسل الملك إليهن فأتى بهن، فلما مثلن بين يديه قال ما خطبكن....

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ اسْتَخْلَصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴿ (يوسف ٥٤ - ٥٦) أى: وقال الملك اتتوني به استخلصه لنفسى فأتوه به فكلمه وسمع منه فرضى عنه قال إنك اليو لدينا مكين أمين فخطر ليوسف أن يطلب منه أن ينصبه خازنا على ما فى خزائن الملك، ومن ثم قال للملك اجعلنى أميناً على خزائن الأرض إني حفيظ عليم فأجابه الملك إلي ما طلب وولاه أمر الخزائن، وكذلك مكنا ليوسف..

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿ (طه ٦٨ - ٧٠) أى: قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما فى يمينك فألقى عصاه فابتعلت حبالهم وعصيهم فبهتوا لذلك وآمنوا بالله قالوا آمنا برب هارون وموسى. ودليل الحذف فى كل ذلك هو قرينة السياق والمحذوف من كل ذلك حشو لا ضرورة له ولا وجه لذكره.

ب - الزيادة:

ولا يعنى القول بالزيادة أن فى القرآن حشوا (معاذ الله) وإنما يعنى أن النحاة

حددوا لكل جملة أركانها ومكملاتها القياسية، بحيث يتم المعنى الوظيفي للجملة بوجود هذه العناصر، ولكن المعنى المطلوب بالجملة ليس وظيفيا فقط، وإنما يتخطى مجرد الوظائف من فاعلية إلى مفعولية إلخ، فيسلك مسالك أسلوبية أخرى لا يحققها إلا العناصر الزائدة على مجرد النمط التركيبي ذى المعنى الوظيفي، وإذا كان النحاة مسئولين عن وصف هذه العناصر بالزيادة، فإن البلاغيين يعترفون بما تضيفه هذه العناصر إلى المعنى فهم الذين يقولون: «زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى» ويقصدون بزيادة المعنى ما يلحقه من التوكيد من جراء الزيادة فى المبنى. فإذا قلنا: ما زيد قائم فقد استوتفت الجملة أركانها وأداة أسلوبها، بحيث لا يفتقر تركيبها إلى شىء آخر، ولكننا إذا أردنا توكيد نفى إسناد القيام إلى زيد، فإن وسيلتنا إلى ذلك أن نأتى بالحرف المسمى زائدا فنقول: ما زيد بقائم.

وفى أسلوب القرآن كثير من التوكيد بهذه الوسطة، كما يبدو فى الشواهد التالية:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت ٤٦) والزائد هو الباء للتوكيد.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام ١٠٩) والزائد «لا».

﴿أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ (الشعراء ١٤٦) الزائد فيما.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ

﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (فاطر ١٩ - ٢١) الزائد «لا» التى قبل النور

وقبل الحرور وقبل الأموات.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (آل عمران ١٤٠) أى:

نداولها ليعلم.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ (هود ٢٤) أى: كالأعمى

الأصم والبصير السميع.

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا ﴾

(الصفات ١٠٣ - ١٠٤) أى: فلما أسلما وتله للجبين ناديناه.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ ﴾ (آل عمران ١٥٢) أى: حتى إذا

فشلتم تنازعتم.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا

مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ (التوبة ١١٨) أى: حتى إذا ضاقت

وظنوا تاب عليهم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام ٥٥) أى: نفصل

لتستبين.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف ١٧٤) أى: نفصل لعلهم

يرجعون.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران ١٥٩) أى: فبرحمة.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى ١١) أى: ليس مثله شىء.

﴿ ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا ﴾ (ق ١ - ٢) أى والقرآن المجيد عجبوا.

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (النمل ٣) أى

وهم بالآخرة يوقنون.

ج - الاعتراض:

الأصل فى الجملة أن تتصل أجزاؤها لتتضح فيها الرتبة والاختصاص والعلاقات

الأخرى ولكن الأغراض الأسلوبية ربما أباحت العدول عن هذا الأصل بواسطة اعتراض مجرى الكلام بجمله يتطلبها الموقف تسمى الجملة المعترضة، ولا يكون الاعتراض إلا بجمله وهى لكونها معترضة غريبة عن سياق الكلام لا ينسب إليها محل من الاعراب لكونها لم تحل محل أحد مفردات السياق الأسمى. وللاعتراض وظيفة بلاغية مهمة هى المبادرة بابلاغ السامع معنى لولا إبلاغه إياه فى حينه لورد على الكلام بدونه مالا يرد عليه بوجوده. هذا وسنورد إن شاء الله جملة من شواهد أسلوب الاعتراض فى النص القرآنى فيما يلى مع وضع الجملة أو الجمل المعترضة فى كل هذه الشواهد بين قوسين:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِيئَةٌ مَّرِيْمٌ﴾ (آل عمران ٣٦) وفائدة الاعتراض التنبيه إلى سبق علم الله بذلك.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَسْرِ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران ١٣٥) والاعتراض لطمأنة قلوب المستغفرين التائبين.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (آل عمران ١٢٧ - ١٢٨) جاء الاعتراض ليدل على أن النصر أو الهزيمة من عند الله لا من صنع النبى ﷺ.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَاتِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴿

(النساء ٢٣ - ٢٤) فالاعتراض الأول تقييد لحكم والثاني للفاصلة.

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئِنَ فإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ

شَهِدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي

كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ (النساء ٧٢ - ٧٣) فالاعتراض من هنا للتعجب من

أمر المنافقين.

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ

الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿ (النساء ٨٤) جاء الاعتراض بين فعلى أمر متعاطفين للتنبيه إلى أنه لا

تزر وازرة وزر أخرى. وربما احتملت الجملة أن تكون حالا من فاعل الفعل «قاتل».

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا

غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ

بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا

صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ

الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾ فَبُظْلِمَ مِنَ الَّذِينَ

هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِضَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ

الرِّبَا وَقَدْ نَهَوْنَا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿

(النساء ١٥٥ - ١٦١) وقد جاء الاعتراض لنفي دعوى القتل والصلب وبيان الحقيقة

في أمر عيسى عليه السلام.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ

شَهِدًا ﴿ (النساء ١٦٦) وجاء الاعتراض هنا لتدعيم قوله: «لكن الله يشهد».

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾
 وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ (الأنعام ١٥١ - ١٥٣)

فلا اعتراض الأول لبيان أن النهى عن الشرك لا يعنى عدم الإحسان إلى الوالدين بدعوى إخلاص الخضوع لله، والثانى عهد من الله بإنزال الرزق لدعم النهى عن قتل الولد والثالث للفاصلة والرابع لبيان أن الأمر بالقسط إنما هو بحسب طاقة المقسط والخامس للفاصلة.

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ (النحل ١٠١)

وقد جاء الاعتراض احترازاً من إفهام أن يكون التبديل بلا غاية ولا تدبير.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ص ٣٩) أى هذا عطاؤنا بغير

حساب ولك الاختيار فى المن والامسك.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصَلُونَهَا فَبئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ

حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ (ص ٥٥ - ٥٨) والاعتراض الأول للوصول بواسطة ذم جهنم إلى

التخويف منها والثانى للسخرية منهم وقد آثروا أن يلودوا بالمعصية والطغيان.

د - الفصل النحوى:

سبق أن ذكرنا أن الأصل فى الكلام أن يكون متصلًا لأن العلاقات النحوية والقرائن التى يتضح بها المعنى كالرتبة والتضام إنما تتجلى من خلال الاتصال. غير

أن هذا الأصل يمكن العدول عنه لأغراض أسلوبية كما سبق أن رأينا عند الكلام عن الاعتراض وكما نرى الآن بالكلام عن الفصل النحوى وإنما قيدنا الفصل بأنه نحوى للتفريق بينه وبين الفصل البلاغى: ذلك بأن الفصل البلاغى إنما يكون بحذف حرف الربط الذى يربط جملة بأخرى ولكن الفصل النحوى يأتى بوضع لفظ بين لفظين آخرين فى الجملة ينتمى أحدهما إلى الآخر كان يكونا متلازمين أو بينهما أى صورة من صور التضام. من ذلك مثلا أن نفضل بالمفعول بين الفعل وفاعله. والفرق بين الفصل النحوى والاعتراض أن الفصل يكون بالمفرد وأن افتقر إلى ما يكمله أو بجزء الجملة وأن الاعتراض يكون بالجملة الكاملة. وفيما يلى بعض الشواهد القرآنية على الفصل النحوى:

﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾

(الأنعام ٧٠) فصل بين النفس وصفتها بالجار والمجرور والصلة.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

(الأنعام ٧٩) فصل بين صاحب الحال والحال بالجار والمجرور والصلة.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي

إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام ١٥٨) فصل بالفاعل بين المفعول وصفته كما فصل بالمفعول

بين الفعل «ينفع» وفاعله «إيمانها».

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾

(الاعراف ١٣٧) فصل بالمعطوف بين المعطوف عليه وصفته والصلة.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء ٣٦) فصل بالمصدر الذى قصد به الأمر ببر الوالدين وكل

من يجب الإحسان إليهم.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (ابراهيم ١٠) فصل بالابتداء المؤخر بين الخبر المقدم وصفته .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ (سبا ٣) فصل بجواب القسم بين المقسم به وصفته .

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ (غافر ٧١) فصل بالخبر بين المبتدأ وما عطف عليه

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الجمعة ١) فصل بالفاعل بين لفظ الجلالة المجرور المتعلق بالفعل وبين صفته .

خامسا: تجاهل الاختصاص النحوى:

قد يختص بعض الحروف بالدخول على مدخولات معينة كاختصاص الجوازم بالمضارع واختصاص إن وأخواتها بما أصله المبتدأ والخبر وقد يختص بعض المفردات بمدخولات معينة أيضا كالأفعال اللازمة واختصاص كل منها بطائفة من حروف الجر يتعدى بواسطتها وهلم جرا «هذا هو الأصل فى الاختصاص ولكن هذا الأصل قد يعدل عنه لأسباب أسلوبية فينشأ ما اصطلاحنا على تسميته بالأسلوب العدولى . وفيما يلي بعض الشواهد القرآنية على هذا الأسلوب .

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لِيُوفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (هود ١١١) من شأن «لما» وهى جازمة أن تدخل على المضارع ولكنها لم تدخل عليه .

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الزخرف ٣٥) أدخلت «لما» على خبر إن المخففة وذلك موضع اللام .

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (البقرة ٨٥) الأصل فى ذلك أن يوضع الضمير فى داخل لفظ «هؤلاء» مسبوqa بها التنبيه متبوعا بأولاء فيقال: هأنتم أولاء ولكنه

تقدم عن «ها التنبية» اتكالا على صحة دخولها على «أولاء» أيضا. وليس الأمر كما زعم بعض المعربين أن «هؤلاء» منادى.

تختص «بين» بالدخول على الاثنين أو الجمع أو الجنس أو المتعاطفين ولا تدخل على المفرد ولكنها في قوله تعالى: ﴿لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ (آل عمران ٨٤) دخلت على المفرد لأنه جاء نكرة في سياق النفي فأفاد العموم كما يفيد اسم الجنس.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا﴾ (٣٦) الَّذِينَ يَخْلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء ٣٧) الأصل في الموصول أن يصف المعرفة ولكنه في هذه الآية وفي عدد آخر غيرها من القرآن وصف النكرة بعد أن تم وصف النكرة بنكرة أخرى غيرها فاكتمت من التخصيص ما قربها من المعارف فصلحت أن توصف بالموصول.

﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ (النساء ٩٠) الأصل في جملة الماضي إذا وقعت حالا أن تتقدمها الواو متلوة بقد ولكنها هنا وفي عدد من الآيات الأخرى عدل بها عن هذا الأصل ومثلها من الآيات الأخرى:

﴿وَأِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ (الحج ١١)

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص ٢١)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ (العنكبوت ٤١)

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ (المجادلة ٦)

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ (البقرة ١٦٦)

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران ١٦٨)

سادسا: تجاهل المناسبة المعجمية:

وهذا باب واسع لأنه باب الإفادة من جهة والمجاز من جهة ثانية. أما الإفادة فيأتي ترتبها على المناسبة من جهة أن كلمات المعجم ينسجم بعضها مع بعض ولا ينسجم مع البعض الآخر بمعنى أن العروج مثلا إنما يناسبه أن يكون من أسفل إلى أعلى فيقال مثلا «عرج إلي السماء» والسقوط بالعكس فيقال «سقط من حالق» فلو قيل «سقط من أسفل لكان في ذلك إحالة وانتفت الفائدة وهي شرط الكلام لأن «كلامنا لفظ مفيد» وكذا لو قيل: «يرقون إلي أسفل» أو «تدحرجت من تحت إلى فوق» والعلاقة العنادية بين كل كلمتين متناقبتين في هذه الأمثلة تسمى «المفارقة المعجمية» أو هكذا تسمى في هذا البحث. ولكن المفارقة درجات بعضها أقل إيغالا في الإحالة من البعض الآخر. ذلك بأن بعض المفارقات المعجمية يمكن رابها بادعاء علاقة أخرى غير عرفية بين الكلمة وأختها أرادها المتكلم. فإذا كانت علاقات الكلمات في المعجم عرفية فقد يخرج المتكلم عن هذا الأصل بواسطة أسلوب عدولى يطرح العلاقة العرفية وينشئ في مكانها علاقة أخرى عقلية أو فنية فإذا كانت العلاقة عقلية سمي الأسلوب العدولى مجازا مرسلا أو كناية وإذا كانت فنية تشبيهية سمي استعارة. ومن هذا كان طلب فرعون إلى هامان أن يبني له صرحا مجازا مرسلا لأن المطلوب من هامان لم يكن البناء ذاته وإنما كان الأمر به وكذلك كان شراء الضلالة بالهدى ليس على حقيقته وإنما هو أسلوب عدول عن الحقيقة لأن الضلالة ليست سلعة والهدى ليس ثمنا إلا عن طريق التشبيه بهما وكذلك كان قوله «لَوْأَ رُؤْسُهُم» (المنافقون ٥) بمعنى أعرضوا لأن ذلك إنما يكون عند الإعراض دليلا عليه ومن ثم فهو كناية عنه. والمناسبة المعجمية وجه قرينة التضام لأن نقيضها وهو المفارقة دليل على أن الجملة غير مفيدة ومن ثم كانت غير مقبولة نحويا وإن حسن جرس ألفاظها كما في قول المجنون بن جندب:

محكومة العينين معطاء القفا كأنما قدت على متن الصفا

ترنو إلى متن شراك أعجفا كأنما ينشر فيه مصحفا

وقد قال فيه أبو زيد: هذا كلام مجنون ولا يفهم كلام المجانين إلا مجنون والقرآن الكريم حافل بالأساليب العدولية التي تحل فيها علاقة عقلية أو فنية محل العلاقة الأصلية العرفية فيثول الكلام إلى أحد الأساليب البيانية العدولية (وكل أساليب البيان عدولي) ولست أظن القارئ الكريم بحاجة إلى أن أورد له شواهد من القرآن على مجاز مرسل، أو كناية أو استعارة فادرك ذلك في متناول الجميع.

المؤثرات الأسلوبية في القرآء الكريم

إذا كان الأسلوب هو الطريقة المختارة للتعبير عن المعنى فإن لاختيار هذه الطريقة دون غيرها من الطرق الموصلة إلى هذا المعنى مقصدا معينا يقصد إليه صاحب الأسلوب يجعل العنصر المختار مؤشرا أسلوبيا يشير إلى قصد ما فلو فرضنا أن متكلما أراد أن ينفي حدثا معينا أن يكون قد وقع كالقيام مثلا فإنه يمكن أن يعرض هذا النفي في صور متعددة كأن يقول مثلا:

ما قام قائم أو لم يقم قائم

أو ما قام أحد أو لم يقم أحد

أو ما قام من أحد أو لم يقم من أحد

فلو أن هذه الصور جميعا كانت متساوية في الوصول إلى نفي القيام لانفتحت الفائدة من تعددها ولنسب إلى اللغة العربية أنها لغة مسرفة مبذرة لا تعرف الاقتصاد في تصريف وسائلها. يؤخذ من ذلك أن استعمال كل صورة من صور التعبير السابقة لابد أن ينطوى على مقصد معين أراد المتكلم أن يبلغه إلى السامع ويرجى للسامع أن يستخلصه مما قاله المتكلم لأن اللغة شركة بينهما يفهما كل منهما في نطاق عرف مشترك أولا ثم في حدود ذوق عام ثانيا إذا تباينت الأذواق الفردية ردها هذا الذوق العام إلى بساط مشترك تنكسر به حدة ذلك التباين فيتحقق التفاهم المنشود. إن الذين أعلنوا موت المؤلف لا يستطيعون إنكار أن النص تراث من تركته وأن القارئ وارث لهذه التركة لا يثبت لنفسه حقا في الاستمتاع بها إلا بعد أن يثبت صلته بالمورث، فلو انقطعت هذه الصلة بينهما لم يعد للوارث أن يتكلم عن حقه في استعمال التركة. فإذا كان النص تركة وكان الذوق العام دليل إثبات الصلة بين القارئ وصاحب النص فإن الذوق الفردى يشبه حق الوارث في أن يتصرف في

التركة تصرفاً فردياً بعد الحصول عليها لأنها عندئذ تصبح ملكاً خالصاً له ولكنه عندئذ إما أن يدعو لمورثه بالرحمة أو أن يقف منه موقفاً آخر كما أراد الناقد الفرنسي رولان بارت أن يقف .

ومعنى هذا أن منشاء النص وقارئه أيضاً يلتزم بشروط عرفية الاستعمال وبحدود ذوق عام ولكن له كل الحق أن يلقي على النص ظلاً من ذوقه الخاص وأن يجعل سبيله إلى إلقاء هذا الظل تحميل أنماط التركيب عبء هذه المقاصد الأسلوبية الفردية . وقد يتفق للقارئ أن يلتقى مع منشاء النص على فهم فردي واحد ولكنه فى كثير من الأحيان يتقاد بذوقه الفردى إلى غير ما قصده المنشئ وله كامل الحق فى ذلك وهكذا يصبح النص بالنسبة إلى القارئ منجماً يستخرج منه ما شاء من السبائك ومنها سبائك لم ترد على بال المنشئ ولا طافت له بخاطر . ذلك هو السبب المباشر فيما سبقت الإشارة إليه من غلو بعض النقاد حين أعلنوا موت المؤلف . وحين قال أبو نواس : «ألا فاسقنى خمراً وقل هى الخمر» ترك لنا أن نستخرج المقصود من قوله : «قل لى هى الخمر» فهل كان ذلك منه إعلاناً لتحدى تحريمها أو كان دعوة إلى اشراك سمعه مع بقية جوارحه فى الاستمتاع بها أو كان طلباً لعدم قتلها بالماء أو ماذا؟ إن على كل قارئ أن يشارك فى بناء معنى النص ولو خالف ما أراد أبو نواس .

إذا قرأت قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام ٧٣) وجدت بين يديك جملتين فى كل منهما مبتدأ وخبر ووجدت ظرفين جاء كل منهما بلفظ (يوم) فأما الظرف الأول (يوم يقول) فإنه من الناحية التركيبية المحضة صالح لأن يتعلق بالفعل (خلق) فيكون حاصل المعنى أنه خلقهن بالحق وكان خلقهن يو يقول كن وهو صالح (من الناحية التركيبية أيضاً) أن يتعلق بخبر المبتدأ من جملة «قوله الحق» . وأما الظرف الثانى (يوم ينفخ) فإنه يصلح أن يتعلق بالخبر من جملة (قوله الحق) أو بالخبر من جملة (له الملك) هذا جميعه من الناحية التركيبية البحتة . ولكنك بتكوينك الدينى والعقلى وما بنيت عليهما من ذوق لغوى بعضه عام وبعضه فردى لا بد أن تميل إلى تعليق الظرفين على النحو التالى :

١ - يوم يقول كن فيكون قوله الحق. أى أنه إذا قال «كن» فإن قوله حق من حيث يصحبه مباشرة خلق ما أراد له أن يكون.

٢ - وله الملك يوم ينفخ فى الصور. أى إذا اتصف الناس فى الدنيا بصفة الملك فإن الملك يوم النفخ فى الصور لا يكون إلا الله.

وإذا أجريت هذا النوع من التعليق فإنما تجريه بما تعودته من أمر التقديم والتأخير فى اللغة وبما تحسه من علاقة سياقية بين بعض الكلمات وبعضها الآخر وبما تحسه أيضا من مقاصد يشف عنها أسلوب النص وذلك إحساس منشؤه الذوق الذى ذكرنا.

والسؤال الآن عن المقاصد الأسلوبية ما هى وللإجابة عن هذا السؤال يحسن أن نورد بعض هذه المقاصد وما يستعان به من الوسائل للوصول إليها. ومن هذه المقاصد ما يلى:

أولا: التعميم:

يوصل إلى مقصد التعميم بوسائل منها:

١ - الموصول: نحو:

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٣٠) فلم تحدد الآية شيئا معينا مما يجمله الملائكة فجعلت ما يعلمه الله ويجمله الملائكة أمرا عاما لا يمكن تحديده.

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (البقرة ٣٢) لم تحدد الآية ما علمه الله للملائكة وإنما جعلته عاما لم تخرج من عمومته إلا الأسماء التى علمها الله لآدم.

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة ٣٦) لم تحدد الآية ما كانا فيه وأن كنا نعلم من مصدر آخر غير هذه الآية أنه الجنة ونعيمها. وهكذا جاء التعميم ليذهب الذهن فى تصور هذا النعيم كل مذهب وليبين عظمة هذا النعيم.

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة ٦١) تبين من الآية ٥٧

أن الله تعالى أنزل على بنى اسرائيل المن والسلوى وأنهم فى هذه الآية رقم ٦١

طلبوا أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها فعلم من ذلك ما هو كائن وما هو مطلوب فإذا جاء الموصول هنا فإنما يأتي مع حذف موصوفه أى استبدلون هذه المأكولات التى هى أدنى بالمن والسلوى اللذين هما خير وفى حذف الموصوف واستعمال الموصول تعميم لا يخفى .

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (البقرة ٧٩) لو

أراد التعيين لقال: ويل لفريق من بنى اسرائيل ولو قال ذلك لخلا النص من ذكر الذنب الذى من أجله استحقوا الويل فجاء على وجه التعميم بالوصف القائم مقام علة الويل وحذف الموصوف للعلم به مما سبق من الآية .

﴿وَلَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ﴾ (البقرة ١٢٠) لم تبين الآية حدود العلم الذى جاء النبى ﷺ فجعلت تحديد هذا العلم موكولا إلى تصور القارىء ومعرفته وذلك من وظائف قصد التعميم .

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾

(البقرة ١٦٦) الذين اتبعوا (بالبناء للمجهول) يمكن أن يكونوا من الشركاء أو من أصحاب الفتن أو المضللين أو المغوين أو من غيرهم ولكن الآية لم تحدد واحدة أو أكثر من هذه الطوائف وإنما عممت بذكر الموصول ليشملها جميعا دون ذكر واحدة منها .

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (المجادلة ١) لم يكن اسمها مهما

ولكن كان حكم الظهار هو المهم .

٢ - التنكير:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ (البقرة ٧٩) لم يقل «الويل لهم» ولو

قالها لحذف وقع الويل بما تفيدته الألف واللام من تعيين ويل خاص أو جنس لا يتحقق إلا من خلال أفرادها أما مع حذفها فإن كل ويل من كل نوع صالح أن يكون مقصودا للآية وهذه وظيفة من وظائف التعميم .

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ (البقرة ١١٦) قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت

النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله وألحق قدماء الملوك أنسابهم بالاله وتعددت الطوائف التى نسبت النسل إلى الله سبحانه فجاء الفعل «قالوا» دون تعيين القائل وجاء لفظ «ولدا» ليشمل كل من نسبوه زورا إلى الله سبحانه فكان ذلك مثلا لما يستفاد بالنكرة من تعميم.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة ٢٧٩) لم يبين للحرب

نوعا ولا كيفية ولا زمانا ولا شدة فأبلغها من كل واحد من ذلك درجة قصوى مما تشق به الحرب على المحاربين المحرويين.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة ١٦٥) ما

أكثر ما أشرك الناس بنسبة الأنداد إلى الله فلما أرادت الآية أن تعبر عن شيوع أنواع الشركاء والأنداد بين الحيوان والنبات والجماد جاءت بالنكرة لتحملها رسالة التعميم فإذا وقعت النكرة فى سياق النفى كانت إفادتها للتعميم أشد وأشمل وأشهر ما يكون من ذلك ما يفهمه اسم لا النافية للجنس من معنى العموم كما فى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ (البقرة ٢٥٦) فليس فى الدين من أنواع الاكراه جميعا شىء وليس للعروة الوثقى من أنواع الانفصام شىء.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (البقرة ٣٢) ولقد نفى الملائكة فى هذه

الآية أن يكون لهم أى قدر من العلم إلا ما علمهم الله سبحانه فجاء التنكير بعد النفى ليفيد العموم.

ويساوى ذلك فى إفادة التعميم أن يقترن النفى بحرف الجر الزائد كما فى قوله

تعالى: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ

مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة ١٠٥) إذ أضيف إلى وقوع النكرة بعد النفى ما يفيد توكيد هذا

النفى وهو الحرف الزائد فالمعروف أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى والذي جاء بالتوكيد هنا هو كون النكرة فى سياق النفى وليس هو النفى فقط. ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (البقرة ٢٧٠) الذى ينفى كل نوع من أنواع الأنصار وكل فرد منهم.

وقد لا يقترن النفى بالحرف الزائد ولكنه يفيد التعميم أيضا وذلك إذا كان المنفى لفظ «أحد» وما أشبهه مثل ديار وشيء وفتيل ونفس كما فى قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الجن ٢٢)

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا لَأَيُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ (الفجر ٢٥)

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (البلد ٥)

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ (البلد ٧)

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْرًا أَحَدٌ﴾ (الاخلاص ٤)

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح ٢٦)

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (البقرة ٤٨)

﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة ١٧٠)

﴿بَلِ اللَّهِ يَزَكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء ٤٩)

﴿فَأُولَئِكَ يَفْرَعُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (الاسراء ٧١)

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة ١٧)

وقد يقع الحرف الزائد فى حيز الشرط ويبقى على إفادته التعميم كما فى قوله تعالى:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة ١٠٦)

﴿مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ (البقرة ١٩٧)

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة ٢١٥)

٣ - والشرط مبنى على معنى العموم إلا أن يكون بلفظ «إن» أو بلفظ «إذا» ذلك بأن أدواته فيما عدا «إن» و«إذا» منقولة من معان أخرى فالأدوات الثلاث (من وما وأى) منقولة عن الموصولية وقد رأينا أن الموصول مما يفيد العموم والأدوات الأخرى (إذ ما وحيثما وأينما الخ) منقولة عن الظرفية وقد ركبت مع «ما» المفيدة للشرط والمعروف أن العموم فى هذه الحالة منصب على جملة الشرط أولاً قبل جملة الجواب ثم لا يلحق جملة الجواب إلا تبعا لجملة الشرط تلحظ كل ذلك فى الشواهد الآتية:

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(البقرة ٨١) أى كل من كسب.

﴿وَمَنْ يَبَدِّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة ١٠٨) أى كل من

يتبدل.

ثانياً: التوكيد:

يصل الأسلوب القرآنى إلى التوكيد بوسائل متعددة منها التوكيد اللفظى والمعنوى واستعمال الحرف الزائد والتقديم والقصر والتعميم والصيغ اللفظية الخاصة وأدوات النسخ وضمير الفصل وأدوات الاستفتاح وغير ذلك من الوسائل. وستتكلم عن كل واحدة من هذه الوسائل كل على حدة:

١ - التوكيد اللفظى:

هذا النوع من التوكيد بصورته النحوية قليل نسبياً فى القرآن نحو قوله تعالى:

﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة ٢٦)

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (الفجر ٢١)

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر ٢٢) وإن بدا أن هذا الشاهد الأخير من

تكرار الحال .

غير أن إعادة اللفظ (وهى التعريف الذى يساق للتأكيد اللفظى) أوسع مجالا من ذلك وإن كان بعضها يقع من وجهة النظر النحوية فى باب «الربط باعادة اللفظ» ولا يعد فى باب التوكيد اللفظى . ولقد سبق أن بسطنا القول فى هذه الظاهرة تحت عنوان الربط فلا داعى للاطالة باعادة بيانها فى هذا الموضوع .

٢ - التوكيد المعنوى:

يأتى التوكيد المعنوى لافادة معنى (هو لا غيره) و(جميعه) وهو وارد فى الأسماء والأفعال بأفهام مختلفة فأما الفعل فإنه يؤكد بمصدره لاستبعاد إرادة المجاز فإذا قلت «ضرب ضربا» فالمقصود أن الضرب كان ضربا حقيقيا لا مجازيا ولذلك لا يقال مثلا: ضرب الله مثلا ضربا ولا ضربت خمسة فى ستة ضربا ولا ضربت له موعدا ضربا وحاصل ذلك أنك قصدت بالتوكيد بالمصدر أن يكون الضرب (هو لا غيره) ولكن التقسيم النحوى إنما يقوم على صور الألفاظ وعلى القرائن اللفظية أولا ومن ثم لا يعد التوكيد بالمصدر من قبيل التوكيد المعنوى وإن اتفق معه فى عموم المعنى - وأما فى الأسماء فالأصل أن يكون التوكيد بالضمير المنفصل وأن يقال بحسب الأصل «جاء زيد هو» و«جاء الزيدان هما» و«جاء الزيدون هم» غير أن الاستعمال اللغوى عدل عن ذلك الأصل لأن هذا الضمير فى الغالب يؤذن بالعطف إذ يقال «جاء زيد هو وأخوه» ومن ثم اختصرت صورة الضمير وجيء له بعنصر آخر يكثر من حروفه فكانت الركائز التى يركز عليها ألفاظا تدل على الذات والعين والنفس مما يفيد (هو لا غيره) وقع ذلك للضمير أولا فى خارج نطاق التوكيد المعنوى نحو .

﴿لَا تُكَلِّفُ الْإِنْفُسَ﴾ (النساء ٨٤) بدلا من إلاك أو إلا إياك

﴿أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الاسراء ١٤) بدلا من كفى بك .

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ (الكهف ٦) بدلا من باخعك

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ (الكهف ٢٨) بدلا من واصبرك

﴿وِيَحْذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (آل عمران ٢٨) بدلا من يحذرکم إياه

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (آل عمران ٩٣) بدلا من حرم عليه

والبديل فى بعض ذلك يؤدى إلى اللبس كما يبدو فى الشاهدين الأخيرين (وإن بشكل خيف لبس يجتنب). ومع أن التوكيد المعنوى لا يكاد يرد بصورته النحوية فى القرآن نوشك أن نلمح ظلا خافتا من معناه حين يكون المعنى ارتداديا بأن يكون الحدث واقعا من الفاعل عليه كما فى الآيات الآتية:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة ٢٢٨) أى يراقبن أنفسهن

بأنفسهن.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر ٩) أى يهضمون أنفسهم

بأنفسهم.

﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (الفرقان ٢١) أى لقد أكبروا أنفسهم بأنفسهم.

ولقد استعمل لفظ «عين» للتوكيد على نمط غير نحوى لأنه جاء فى صورة الاضافة فى قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر ٧) أى ثم لترونها رؤية اليقين عينه ومن ثم لا

أتفق مع من يمنع عبارة «فعلت نفس الشيء» ويصر على عبارة «فعلت الشيء نفسه». دون «نفس الشيء».

من الأصول المشهورة فى الدراسات البلاغية أن «زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى» وقد ترتب على ذلك فى حدود الأفراد أن نفهم من تضعيف عين الثلاثى أو زيادة همزة فى أوله أو زيادة تاء الافتعال عليه أو نحو ذلك إضافة معنى جديد إلى مفهوم الحدث المجرد ففى التضعيف توكيد وفى زيادة الهمز تعدية وفى التاء اتخاذ أو مطاوعة أو تأكيد أو غير ذلك من معانى صيغة الافتعال. أما خارج نطاق الأفراد فأشهر تطبيق لهذا الأصل العام ما يستفاد من الحرف الزائد من معنى التأكيد. وربما كان

لفظ الحرف في بعض الحالات بحاجة إلى توسيع دلالاته ليشمل عناصر لغوية أخرى غير الحروف كالضمائر وغيرها وفي القرآن الكريم من صور زيادة الحروف ما يصعب إحصاؤه ولكنه لا ينبغي لنا في القرآن ولا في غيره من النصوص أن نعد الزيادة لغواً أو إضافة إلى ما ينبغي أن يكون عليه النص لأن مصطلح «الزيادة» مصطلح نحوي مرجعه إلى أن النحاة حددوا أركان الجملة ومكملاتها ورأوا الجملة سليمة في تركيبها إذا لم تشتمل إلا على أركانها فقط فإذا أضيف إلى أركانها شيء هو من تكوينها فمن المكملات كالمفعول وكالحال والتمييز والإضافة وما يتعلق من جار ومجرور أما إذا أضيف شيء إلى تركيب الجملة السليمة كما حددتها وجهة النظر النحوية فقد عدوه زائداً على النمط التركيبي لا على المعنى ثم لم يشغل النحاة أنفسهم بتحديد معنى الزائد حتى جاء البلاغيون فجعلوا وظيفته التأكيد كما سبق أن أشرنا فإذا قلنا «ما قام من أحد» أو «ما رأيت من أحد» فلقد يكفي لصحة الجملة في عرف النحويين أن يقال «ما قام أحد» أو «ما رأيت أحداً» ومن ثم جعلوا «من» في الحالتين حرفاً زائداً أما البلاغيون فيفترقون بين الجملة المشتملة على الحرف والحالية منه فيجعلون الأولى أوكد من الثانية بسبب اشتغالها على الحرف الذي سماه النحويون زائداً.

وفيما يلي شواهد على التأكيد بزيادة الحرف في القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (البقرة ٤) زيدت «من» قبل

الظرف.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة ٨) زيدت

الباء قبل لفظ «مؤمنين».

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ (البقرة ١٢) زيد ضمير الفصل «هم» ومن ثم لم يكن

له محل من الإعراب.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (البقرة ٢٧) زيدت «من» قبل الظرف.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة ٣٢) زيد ضمير «أنت» فلا محل له من

الإعراب.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ٨٥ وآل عمران ٩٩) زيدت الباء قبل لفظ

«غافل».

﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ﴾ (البقرة ٩٦) زيدت الباء قبل لفظ

«مزحزحه»

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ (آل عمران ٦٦) زيدت «ها» التثنية

قبل «أو لاء»

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾

(آل عمران ١٥٢) زيدت الواو قبل «تنازعتم» وزيدت «من» قبل الظرف.

﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران ١٥٩) زيدت «ما» بعد باء السببية.

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِّثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (النساء ١٥٥) زيد «ما» بعد باء

السببية.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (آل عمران ١٤٠) زيدت

الواو قبل «ليعلم».

﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا

مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة ١١٨) زيدت «ثم»

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ (يوسف ١٥)

أى فلما ذهبوا وأجمعوا أوحينا إليه بزيادة الواو.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ﴾ (الصفوات ١٠٣ - ١٠٤) أى فلما أسلما

وتله نادينا بزيادة الواو.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى ١١) أى ليس مثله شيء

﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (١٦) بَلْ عَجِبُوا﴾ (ق ١ - ٢) أى والقرآن المجيد عجبوا ويمكن

القول بنيابه «بل» عن «قد».

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (النمل ٣) أى

وهم بالآخرة يوقنون

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ

﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (فاطر ١٩ - ٢١) أى ولا الظلمات والنور ولا

الظل والحرور وما يستوى الأحياء والأموات.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة ٧٥ - ٧٦)

أى فأقسم بدليل وإنه لقسم.

٤ - التقديم:

تتضح قيمة التقديم ببعض حقائق النحو كما تتضح ببعض فلسفة البلاغة فأما فى النحو فيكفى أن سبب تقديم المبتدأ على الخبر أن المبتدأ معلوم للمتكلم والسامع لأنه الموضوع الذى يجرى الكلام عنه والمرء لا يتكلم إلا عما يعرف أما الخبر فهو مجهول للسامع وإلا ما استحق أن يساق إليه وفوق ذلك أن الفرق بين الجملتين الأسمية والفعلية فى صورتها النموذجية هو فرق تقديم وتأخير بسبب العلم والجهد فى بعض الحالات أما فى عرف البلاغيين فضع موضع العلم والجهد مصطلحا آخر هو «التقديم بسبب الاهتمام» بالمعلوم تجد النتيجة ذاتها فإذا اعترفنا بأن فى إعلان العلم بالشىء والاهتمام به إعلاء لشأنه بالنسبة إلى المجهول والمطرح أو الأقل استدعاء للاهتمام كان ذلك اعتدادا منا بأن التقديم نوع من التأكيد وفيما يلى بعض الشواهد على التأكيد بالتقديم:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة ٥)

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة ٣)

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة ٤)

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة ١٥) وفيه اختيار الجملة الاسمية دون الفعلية.

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ (البقرة ٧٣) أى على هذا النحو يكون الإحياء

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة ٨٣)

﴿لَمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ (البقرة ١٠٣) لاحظ تأكيد رتبة المبتدأ باقترانه باللام

﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ (البقرة ١٧٤) اختيار الاسمية على الفعلية

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة ٢٠٧)

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ (البقرة ٢٢٨)

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ﴾ (البقرة ٢٣٣) ولهذا الاهتمام كانت هاتان الجملتان امرأً فى

صورة الخير

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة ٢٥٥) قارن «لا إله إلا الله الحى القيوم»

بالقصر إضافة إلى تقديم لفظ الجلالة وإعادة الضمير إليه بدلا من «لا إله إلا الله الحى القيوم».

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ (البقرة ٢٦٨) تحذير فى صورة الخبر.

﴿أَتُنْفِكُوا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (الصفات ٨٦)

﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر ٦٤)

﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (آل عمران ٤٠) بدلا من «يفعل الله ما يشاء»

﴿ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران ٥٨) بدلا من «نتلو

عليك ذلك»

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (آل عمران ٨٣)

﴿يَغْشَى طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ (آل عمران ١٥٤) لاحظ تقديم

الطائفة الثانية للتنديد بها.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران ١٩٥) قارن «وعند الله حسن الثواب».

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتُوهُمْ نَصِيهِمْ﴾ (النساء ٣٣) قارن وآتوا نصيب الذين

عقدت أيمانكم.

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ (النساء ٣٤) قارن وعظوا اللاتي تخافون

نشوزهن.

٥ - القصر:

وهو تأكيد بنفى الغير وإثبات الحكم للموضوع ويكون ذلك صراحة بحرف النفي وإلا وضمنا بإنما ولقد جاء التأكيد بإنما من جهتين أولاها أن «إن» في أصلها للتأكيد وأن زيادة المبنى (بواسطة ما) تدل على زيادة المعنى والثانية أن «إن» بدون «ما» كما في قولنا: إن زيدا قائم تؤكد إسناد خبرها إلى أسمها دون إشارة إلى تفرد الاسم بالاتصاف بالخبر أما «إنما» ففيها هذه الإشارة وهي التي نسميها القصر والمقصود بها ما وليها مباشرة من اسم أو خبر. نقول: إنما زيد قائم فنقصر زيدا على القيام ونقول: إنما قائم زيد فنقصر القيام على زيد. ومعنى القصر في الحالتين إختصاص أحد العنصرين دون غيره بالآخر ومن ثم تأكيد النسبة بينه وبين الآخر وفي أسلوب القرآن ما يصعب إحصاؤه من التأكيد بالقصر وفيما يلي طائفة من الشواهد على ذلك.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ (البقرة ٩)

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ﴾ (البقرة ١١)

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة ١٤)

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة ٢٦)

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (البقرة ٣٢)

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ (البقرة ٧٨)

﴿وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (البقرة ٧٨)

﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (البقرة ٨٣)

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (البقرة ٩٩)

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ (البقرة ١٠٢)

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة ١١١)

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ

عَقْبِيهِ﴾ (البقرة ١٤٣)

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة ١٦٩)

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ (البقرة ١٧٣)

﴿أَوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ (البقرة ١٧٤)

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ

الْأَمْرُ﴾ (البقرة ٢١٠)

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة ٢٥٥)

﴿وَمَا تَفْقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقرة ٢٧٢)

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦)

٦ - النسخ:

والمقصود النسخ بيان وأن ولا النافية للجنس وبعض الحالات الأخرى، أما إن المكسورة الهمزة فلا معنى لها إلا التأكيد (دعك من معانيها اللهجية) وأما أن المفتوحة الهمزة فإنها إلى جانب التأكيد تشي بمعنى المصدر ولهذا قال العربون في نحو ظننت أن زيدا قائم: «أن وما دخلت عليه سدت مسد مفعولى ظن» أى بحسبانها مع ما دخلت عليه مصدرا مؤولا ولم يقولوا فيها إنها دخلت على مفعولى ظن وإن أصل التركيب: ظننت زيدا قائما، وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة العدد على التأكيد بيان وأن. أما لا النافية للجنس فيرجع لمح التأكيد فى معناها إلى دخولها على اسم الجنس وهو مفيد للعموم وفى نفي العموم تأكيد للنفي كما هو واضح، وفيما يلى طائفة من الشواهد على التأكيد بالنواسخ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران ٥) لاحظ ما

فى لفظ «شئ» من معنى العموم.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ (آل عمران ٩)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (آل عمران ١٠)

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران ١٣)

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا﴾ (آل عمران ١٦)

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ﴾ (آل عمران ٣٩)

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (آل عمران ٤٩)

﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٥٢)

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ

الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران ٨٦)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (آل عمران ١١٢)

﴿يَسْتَشِيرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٧١)

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة ١٨٢)

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة ١٩٧)

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة ٢٣٣)

﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٣٤)

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة ٢٥٦)

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء ٨٤)

﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الأسراء ٧٩)

٧ - التأكيد بالصيغة:

سبق عند الكلام عن التأكيد بالزيادة أن ذكرنا أن تضعيف عين الثلاثي وإلحاق همزة التعدية أو حرف آخر كتاء الافتعال تؤدي إلى إضافة عنصر جديد إلى المعنى المستفاد من الأصول الثلاثة. ونود هنا أن نضيف أن أى تصرف فى طريقة صياغة الكلمة المفردة حتى بالترخص لا بد أن يضيف إلى المعنى عنصرا جديدا وأن يؤكد بهذه الإضافة ولقد مر بنا فى الفصل الذى يدور حول القيم الصوتية أن شرحنا أثر الإيقاع بالنبر ومطالب الفاصلة والحكاية والمناسبة وحسن التأليف ثم عرفنا فى الفصل الذى يليه أن اختيار الألفاظ والعبارات مطلب لا غنى عنه من مطالب الأسلوب يكاد

يكون هو الأسلوب نفسه وأود الآن أن أشير إلى فصل من فصول علم الصرف هو معانى الصيغ فى حالتى التجرد والزيادة. حيث جعلوا للمطاوعة صيغا منها انفعل كانكسر وتفعل كتكسر وتفاعل كتباعد واستفعل كاستقام وجعلوا لمصادفة الشيء على صفة معينة أفعل كأحمد واستفعل كاستكرم وجعلوا للتعدية أفعل كأجلس وفعل ككرم وللتشارك فاعل كخاصم وافتعل كاختصم وتفاعل كتخاصم وللصيرورة فعل كقوس واستفعل كاستحجر وللاتخاذ افتعل كاختتم وتفعل كتوسد ولاختصار حكاية الشيء فعل كهلل واستفعل كاسترجع وللتدريج تفعل كتدرج وتفاعل كتزايد ولقوة العيب أفعل كاعوج واستفعل كاستهتر وللإزالة أفعل كأعجم وفعل كجرب وجعلوا لصيرورة الشيء ذا شيء أفعل كأفلس وللدخول فى الشيء كأعرق وللإستحقاق كأحصد وللتعريض كأرهن وللتمكن كأحضر وجعلوا للموالة فاعل كوالى وللتكثير فعل كغلق ولنسبة الشيء إلى أصل الفعل فعل ككفر وكذلك للتوجه إلى الشيء كشرق ولقبول الشيء كشقّ وجعلوا للاجتهاد فى الطلب افتعل كاتسب وللإظهار أيضا كاعتذر وللمبالغة فى معنى الفعل كاقترد ولقوة اللون أفعال كأحمر وللتكلف تفعل كتصبر وللتجنب أيضا كتأثم وجعلوا للتظاهر تفاعل كتناوم وللطلب استفعل كاستغفر وكذلك لاعتقاد الشيء على صفة كاستعظم.

ويهمنا هنا أن نلتفت إلى معان تحمل جرثومة التأكيد كمعنى قوة العيب أو التكثير أو الاجتهاد فى الطلب أو قوة اللون أو التكلف أو المبالغة لنرى أن الاختيار الأسلوبى لصيغة من الصيغ الدالة على هذه المعانى وتفضيلها على استعمال صيغ أخرى غيرها يبرر استعمال مصطلح «التأكيد بالصيغة» أضف إلى ذلك أن منشئ النص ربما أجرى بعض التعديل فى الصيغة كما فى قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ لَّا يَهْدِي إِلَّا أَن يَهْدَى﴾ (يونس ٣٥) يهدى = يهتدى .

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (يس ٤٩) يخصمون = يختصمون .

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ (الشمس ٦) قارن:

﴿وَالْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات ٣٠)

أو يضيف إلى المشهور من الصيغ زيادة غير مشهورة نحو:

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا﴾ (فاطر ٣٧) يصطرخون = فعل الصراخ + تاء الافتعال

تحولت إلى طاء.

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر ١) أى الكثير قال حسان بن نشبة العدوى.

أبو أن يببوحوا جارهم لعدوهم وقد ثار نفع الموت حتى تكوثر

(الحماسة ج ١ ص ١٩٩)

أو يخترع الصيغة اختراعا نحو:

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ (النبا ٢٨)

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبْرًا﴾ (نوح ٢٢)

﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (ص ٥)

٨ - التأكيد بضمير الفصل:

وعندى أن الضمير أوسع من مجرد ضمائر الأشخاص إذ يشمل الموصولات والإشارات. وكل ما فى التركيب العربى مما يسميه النحاة ربطا بالإشارة فهو صالح أن يكون من التأكيد بضمير الفصل الإشارى ولهذا النوع من التأكيد (بالمفهوم الواسع للضمير) فائدتان:

أولا- الفائدة الأولى دفع اللبس حين يعرض فى بعض الحالات كما فى قوله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة ١٠ - ١١)

لأن الصور التركيبية الممكنة لهذه الجملة القرآنية كما يلى:

أ - «والسابقون أولئك السابقون المقربون» أى يصدق اسم السابقين على المقربين

منهم فقط.

ب - «والسابقون السابقون أولئك المقربون» أى والسابقون حقاً هم المقربون.
والفرق بين الفهمين يعتمد على موضع الإشارة فى كل منهما.

ج - «والسابقون السابقون المقربون» يحتمل كلا من المعنيين السابقين دون تعيين أحدهما فالصورتان الأوليان لا لبس فيهما وإن اختلف معنى كل منهما عن الأخرى أما الصورة الثالثة ففيها لبس من قبل أنه لا يعلم ما إذا كان الخبر هو «السابقون» الثانية أو «المقربون» فلما جاء ضمير الإشارة للفصل حدد معنى كل منهما. ومثل ذلك ما نجده فى قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ (عبس ٤٢) مع الفصل بالضمير «هم» بين المبتدأ وخبره إذ يتطرق اللبس إلى التركيب لو حذف الضمير فصارت العبارة: «أولئك الكفرة الفجرة» لأن هذه الصورة التركيبية تأذن للبس أن يتطرق من خلال احتمال أحد معنيين أولهما ما نجده لتركيب الآية والثانى: «أولئك الكفرة هم الفجرة» ولا يوجد ما يعين أحد المعنيين المذكورين.

ثانياً: والفائدة الثانية التى تأتينا من الفصل بالضمير أن المعنى الحاصل من الفصل ذو رحم وقربى بما قدمنا فى الكلام عن معنى القصر لأن المعنى هنا يقترب بنا أيضاً من إفهام أن المقصود بالمؤكد أن يكون (هو لا غيره) على نحو ما كان للقصر وفيما يلى طائفة من الشواهد على الفصل بالضمائر المختلفة.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة ٤)

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة ٥)

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ١٢)

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة ٥٤)

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة ١٢١)

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة ١٢٩)

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة ٢٥٤)

ولقد سبق أن أشرنا إلى ما فى النص القرآنى من وصف للنكرة بالأسم الموصول
وقلنا إن شرط ذلك أن يسبق الموصول وصف للنكرة بنكرة أخرى كما فى قوله
تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ (الهمزة ١ - ٢)

فالموصول يجعل الموصوف هو دون غيره بخلاف ما يكون عند حذفه من تعميم
الموصوف.

وآيات أخرى أوردناها فى ذلك الموضع. والذى أحب أن أضيفه هنا أن ذلك
صالح أن يعد من قبيل الفصل بضمير الموصول وأن التركيب بدون الفصل يجرى
على النحو التالى: «ويل لكل همزة لمزة جمع مالا وعدده» ثم جاء الفصل بالموصول
للتأكيد بالتحديد. وهكذا يكون الفصل بالضمير بمختلف أنواعه (الشخصى والإشارى
والموصول) وسيلة من وسائل التأكيد.

٩ - التأكيد بالاستفتاح:

يجرى الاستفتاح فى القرآن بوسائل متعددة اعترف النحاة بواحدة منها ولم
يلحظوا غيرها. أما التى سماها النحاة أداة استفتاح فهى «ألا» وكثيرا ما يتضافر معها
على إفادة التأكيد وسيلة أخرى من وسائله كاقترانها بـ «إن» فى قوله تعالى:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ١٢) وآيات أخرى كثيرة منها.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ (هود ٥)

أو مقارنتها للتقديم نحو:

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (التوبة ٤٩)

﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ (هود ٨)

﴿لَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الاعراف ٥٤)

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (هود ٥)

وقد لا يقارن الاستفتاح شيئا من ذلك (ويكثر ذلك فى الدعاء) كما فى قوله

تعالى:

﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود ١٨)

﴿أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود ٦٠)

﴿أَلَا بَعْدًا لثَمُودَ﴾ (هود ٦٨)

﴿أَلَا بَعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتِ ثَمُودُ﴾ (هود ٩٥)

وثمة أداتان أخريان تقومان بأداء الاستفتاح فى النص القرآنى دون غيره وإن أبى النحاة عليهما أن يعدوهما من وسائل ذلك .

هاتان هما «إذ» التى لا متعلق لها و«أم» التى زعموها بمعنى «بل» فأما «إذ» فدليل الاستفتاح بها أنها لا متعلق لها وأن بينها وبين «لقد» علاقة المعاقبة غالبا أى أن كلا منهما يمكن أن تحمل محل الأخرى .

وفى النص القرآنى كثير من الشواهد على الاستفتاح بها كما فى قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ٣٠)

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ (البقرة ٣٤)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (البقرة ٨٢)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ (البقرة ٨٤)

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ (البقرة ٢٦)

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ (آل عمران ٨١)

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (آل عمران ١٢١)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة ٢٠)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ (الانعام ٧٤)

﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف ١٤١)

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ (الأعراف ١٦١)

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الأعراف ١٧٢)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ﴾ (الكهف ٦٠)

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ (يوسف ٤)

وأما الاستفتاح بأم فدليله عدم صلاحها لمصاحبة الهمزة إذ لا يراد بها تسوية ولا تعيين وإنما يراد بها مجرد التأكيد وتعاقبها «ألا إن . .» وأحياناً «قد» أو «بل» ومن شواهد ذلك في القرآن:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (البقرة ٢١٤)

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْرُمُونَ﴾ (هود ٣٥)

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف ٩)

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (الأنبياء ٢٤)

﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل ٢٠)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (العنكبوت ٤)

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (السجدة ٣) لاحظ وجود «بل» بعد «أم»

والإضراب إنما يكون بعد إثبات.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾

(الزمر ٤٣) ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الشورى ٩)

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف ٥٢)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية ٢١)

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (الأحقاف ٨)

﴿أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد ٢٤)

١٠ - تأكيد الإنكار بالاستفهام:

ويكثر في ذلك استعمال فعل الرؤية ولكنه ليس بلازم. وشواهد ذلك كثيرة في القرآن الكريم وترد في موارد التعجيب والتنديد بمواقف الكافرين من أهل الكتاب والمشركين وبمواقف التجاوز لأوامر الله من بعض المسلمين ومن ذلك ما يلي:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة ٢٨)

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة ٤٤)

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ

بَعْدِ﴾ (البقرة ٧٥)

﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ (البقرة ١٠٠)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (البقرة ٢٤٣)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُمِلُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا﴾ (البقرة ٢٤٦)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (البقرة ٢٥٨)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (آل عمران ٢٣)

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُوا عَلَيَّكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ (آل عمران ١٠١)

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا

غَلِيظًا﴾ (النساء ٢١)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا

السَّبِيلَ﴾ (النساء ٤٤)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ (النساء ٤٩)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء ٥١)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن

يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ (النساء ٦٠)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ

عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ (النساء ٧٧)

وربما جاء التأكيد في معظم ذلك من إبراز التناقض بين ضدين اشتملت عليهما الآية كحذر الألوغ من الموت ودعوى أهل الكتاب أن المشركين أهدى من المسلمين وهم أهل كتاب مثلهم الخ.

١١ - التأكيد بضمير الشأن:

مرة أخرى أحب أن أشير إلى أن الضمير عندي يشمل الضمير الشخصي والإشاري والموصول وأن الذي يستعمل ضميرا للشأن بكثرة من هذه الضمائر الثلاثة ضميران فقط هما الشخصي والإشاري ولقد استعمل هذان الضميران لهذا المعنى في القرآن مراراً كثيرة يصعب حصرها مع المحافظة على شروط الإضمار للشأن إلا أن ضمير الإشارة للمفرد قد يجاوز مخاطبة المفرد إلي مخاطبة الجمع، وفيما يلي طائفة من شواهد ضمير الشأن:

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ (البقرة ٨٥)

﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ (آل عمران ١٧٥) والتعبير عن الشأن هنا

واقع بضمير الإشارة.

﴿إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ (الأنعام ٣٣)

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ

وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام ٥٤)

﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام ١٠٢)

﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ (يونس ٣)

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ (يونس ٣٢)

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يونس ٢٣)، (القصص ٣٧)

﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف ٨٧)

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف ٩٠)

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ (الكهف ٣٨) على أحد الفهمين

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا﴾ (الكهف ١٠٦)

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (طه ٧٤)

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء ٩٧)

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ (المؤمنون ١٠٩)

﴿وَيَكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص ٨٢)

﴿ تَلِكِ الدَّارِ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾

(القصص ٨٣) على أحد احتمالين

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي

الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ (لقمان ١٦)

﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾ (سبأ ١٧) على أحد احتمالين

﴿ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (غافر ٦٢)

﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (فصلت ٢٣)

﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ ﴾ (فصلت ٢٨)

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد ١٩)

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ (النجم ٤٣ - ٤٤)

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى ﴾ (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ (النجم ٤٨ - ٤٩)

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (الحشر ٢٢، ٢٣، ٢٤)

﴿ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ ﴾ (البروج ١٣) ويجوز في «هو» أن تكون للفصل.

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الأخلاق ١)

والدليل على أن كل إشارة مما سبق تدل على الشأن أن ما بعدها يصلح جملة من مبتدأ وخبر ودليل هذه الصلاحية أنك تستطيع أن تضع «أن» الناسخة المفتوحة الهزمة بين كل إشارة وما بعدها والناسخ إنما يدخل على المبتدأ أو الخبر.

١٢ - التأكيد بالحرف:

والمقصود بالحرف هنا اللام الموطئة للقسم أو لام الابتداء ولام الجواب ولام الجحود ونون التوكيد ولن التي لتأكيد النفي وأمور أخرى. والموطئة ولام الابتداء من

قبيل واحد ولكن التسمية تختلف باختلاف ما تدخل عليه فإذا دخلت على المبتدأ سميت لام الابتداء وإذا دخلت على الشرط أو المدح والذم ونحوهما سميت موطئة للقسم، ولهذه اللام شواهد عظيمة العدد في القرآن الكريم منها ما يلي:

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ (البقرة ٦٥)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ (البقرة ٨٧)

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (البقرة ٩٦)

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ (البقرة ١٠٢)

﴿فَلَنُؤَلِّقَنَّ كَيْدَهُمْ أَصْنَافًا مِمَّا هُمْ فِيهَا مُتَضَاهَا﴾ (البقرة ١٤٤)

﴿وَلَمَّا أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ (البقرة ١٤٥)

﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (البقرة ١٥٥)

﴿وَلَا أُمَّةَ مَوْمَنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ (البقرة ٢٢١)

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ (الحشر ١٣)

وقد تزحلق اللام إذا دخلت على إن المكسورة الهمزة فتلحق بالخبر نحو:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران ٦٢)

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (آل عمران ٦٨)

أو تدخل على اسم إن المؤخر إذا كان خبرها ظرفاً أو مجروراً نحو:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ (آل عمران ٧٨)

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران ١٩٩)

وأما لام الجواب فتأتي لتأكيد الشرط الامتناعي والقسم (وهي التي تسمى موطئة

عند عدم القسم) وشواهدها هي أيضا كثيرة العدد في القرآن كما في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا

اللَّهُ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء ٦٤)

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (النساء ٦٦)

﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ (النساء ١١٢)

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَاهُمْ جَنَّاتِ

النَّعِيمِ﴾ (المائدة ٦٥)

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الرَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن

تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (المائدة ٦٦)

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا

سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الأنعام ٧)

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ (الأنعام ٩)

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف ٩٦)

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة ٤٦)

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (التوبة ٧٥)

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا﴾ (يوسف ٩١)

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزِينََنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر ٣٩)

وتحتمل الباء السببية أى بسبب أغوائك إياى والقسم أى بإغوائك لى .

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر ٩٢ - ٩٣)

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ (مريم ٦٨)

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (الأنبياء ٥٧)

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُؤْمِرَنَّكُمْ لِيُخْرِجَنَّ ﴿النور ٥٣﴾﴾

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَهُ وَأَهْلَهُ﴾ (النمل ٤٩)

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُجَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَىٰ

الْأُمَّمِ﴾ (فاطر ٤٢)

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص ٨٢)

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا

عَنْ طَبَقٍ﴾ (الأنشاق ١٦ - ١٨)

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد ١ - ٤)

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين ١ - ٤)

قد يجاب القسم بحروف أخرى غير اللام مثل ما وبل وإن المكسورة الهمزة ثقيلة أو مخففة أو يجاب بغير الحروف ويكثر التأكيد بلام الجحود أيضا في القرآن. وهذه اللام تحول المعنى من انقطاع النفي في الماضي إلى الاستمرار من الماضي إلى المستقبل إذ تحول «ما كان يفعل» إلى «ما كان ليفعل» أى ليس ذلك شأنه لا فى الماضي ولا فى المستقبل ومن شواهد ذلك فى القرآن ما يلى:

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ

الطَّيِّبِ ﴾ (آل عمران ١٧٩)

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ (آل عمران ١٧٩)

﴿ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الأنعام ١١١)

﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (الأعراف ٤٣)

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ (الأنفال ٣٣)

﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ (التوبة ٧٠)

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ﴾ (التوبة ١١٥)

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ (التوبة ١٢٢)

﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ (يوسف ٧٦)

﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ ﴾ (الحجر ٣٣)

ويتضح التأكيد بهذه اللام عند النظر إلى تراكيب توضع فيها متقدمة على مرفوع

كان وتوضع «أن» موضع اللام نحو:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران ١٤٥) إذ يأتي التأكيد من

القصر بما وإلا فقط .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلَّ ﴾ (آل عمران ١٦١) أى لا ينبغي له وكذلك المعنى فى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الأنفال ٦٧) قامت حتى

مقام «إلا أن»

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ﴾ (التوبة ١٧)

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة ١١٣)
﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ﴾ (التوبة ١٢٠)

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ (يونس ٣٧) مع تقدير اللام قبل «هذا».

﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (يوسف ٣٨)

وإذا كان المعنى مع لام الجحود يعنى «ليس من شأنه» فإن المعنى مع «أن» يعنى
«لا ينبغي له» والفرق بين هذا المعنى وذاك فرق ما بين الطبع والاختيار ولاشك أن
الطبع يلزم أكثر مما يلزم الاختيار ومن هنا يأتى التوكيد.

يأتى بعد ذلك تأكيد المعنى بواسطة نون التوكيد. والمعروف أن الماضى لا يؤكد
بهذه النون وأن الأمر يؤكد بها دون قيد ولكن الأمر المؤكد لم يرد فى القرآن على
قدر ما أعلم إذ جهدت فى البحث عنه فلم أظفر بوجوده.

أما المضارع فإن صورة تأكيده بالنون فى القرآن تتراوح ما بين اتصاله معها باللام
أو وقوعه بين النهى أو بعد الشرط بلفظ «إما» أو بعد الاستفهام بهل أو بعد لا
النافية. وفيما يلى شواهد ذلك بالترتيب:

أ - المضارع بعد اللام:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (البقرة ٩٦)

﴿لَتَوْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (آل عمران ٨١)

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ (النساء ٧٢)

﴿لَأُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (المائدة ١٢)

﴿لَئِنْ أَجْمَعْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام ٦٣)

﴿فَلَنَسْتَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿﴾ (الأعراف ٦ - ٧)

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴿﴾ (التوبة ٦٥)

﴿لَمَّا أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿﴾ (يونس ٢٢)

﴿وَلَمَّا قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿﴾ (هود ٧)

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿﴾ (يوسف ١٥)

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴿﴾ (ابراهيم ٧)

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿﴾ (الحجر ٣٩)

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴿﴾ (النحل ٤١)

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿﴾ (الإسراء ٤)

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرُهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿﴾ (مريم ٦٨)

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ﴿﴾ (طه ٥٨)

ب - النون في سياق النهي:

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿﴾ (البقرة ١٤٧)

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿﴾

﴿(آل عمران ١٦٩)

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرًا لَأَنْفُسِهِمْ ﴿﴾ (آل عمران ١٧٨)

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَيَّخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (آل عمران ١٨٠)

﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ

بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (آل عمران ١٨٨)

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ (المائدة ٢)

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام ٣٥)

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ (الأنفال ٥٩)

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّرِينَ (٩٤) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِينَ﴾ (يونس ٩٤ - ٩٥)

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يونس ١٠٥)

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ

صَالِحٍ﴾ (هود ٨٩)

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (ابراهيم ٤٢)

﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ﴾ (ابراهيم ٤٧)

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ (الحجر ٨٨)، (طه ١٣١)

﴿فَلْيَأْتِكُمْ بَرِزْقٌ مِنْهُ وَلِيَتَلَطَّفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف ١٩)

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنْني فاعِلٌ ذَلِكِ عَدَا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الكهف ٢٣ - ٢٤)

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ (طه ١٦)

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه ١١٧)

﴿فَلَا يَنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾ (الحج ٦٧)

﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (النور ٥٧)

ج - في سياق الشرط بإما:

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِذَا يَأْتَيْكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يِقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف ٣٥)

﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (الأعراف ٢٠٠)

﴿فَأِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ (الأنفال ٥٧)

﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ (الأنفال ٥٨)

﴿وَأِمَّا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ (يونس ٤٦)

﴿إِمَّا يَلِغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء ٢٣)

﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ (الإسراء ٢٨)

﴿فَأِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم ٢٦)

﴿فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكَ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه ١٢٣)

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون ٩٣ - ٩٤)

﴿فَأِمَّا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر ٧٧)

﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (فصلت ٣٦)

﴿فَأَمَّا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ (الزخرف ٤١ - ٤٢)

د - النون في سياق الاستفهام بهل:

﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ (الحج ١٥)

هـ - النون في سياق النفي بلا:

﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال ٢٥)

ويمكن ترتيب كثرة الورد وقلته بحسب ترتيب ما أوردناه هنا فأكثر ورود النون مع اللام ثم يتدرج الأمر إلى القلة حتى لا نظفر لكل من النوعين الأخيرين (د، هـ) إلا بشاهد واحد فقط أما قوله تعالى: ﴿لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ (النمل ١٨) فظاهره النهى ولكنه واقع في جواب الأمر.

وقد يقع تأكيد النفي بواسطة «لن» وقد طردها بعضهم في معنى تأكيد النفي وفي تأييده وتحولت على السنة بعضهم في أيامنا إلى «سوف لا» مما يدل على عدم الإحساس منها بمعنى التأكيد ولكن تأكيد النفي بواسطتها واقع في نص القرآن الكريم وشواهد ذلك كثيرة كما نرى فيما يلي:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة ٢٤)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة ٥٥)

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة ٨٠)

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (البقرة ٩٥)

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة ١١١)

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة ١٢٠)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (آل عمران ١٠)، (آل عمران ١١٦)

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران ٨٥)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ (آل عمران ٩٠)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ

افْتَدَى بِهِ﴾ (آل عمران ٩١)

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران ٩٢)

﴿لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذى﴾ (آل عمران ١١١)

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

مُنزَلِينَ﴾ (آل عمران ١٢٤)

﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ (آل عمران ١٤٤) ﴿وَلَا يَحْزَنكَ

الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ (آل عمران ١٧٦)

ومن الواضح أن « لن » قد أفادت تأكيد النفي في الشواهد المتقدمة أما تأكيد النفي فدونه ما في بعض الآيات من ذكر الغايات مثل: «حتى نرى الله جهرة» وأيضا: «حتى تتبع ملتهم» وربما برر القول بالتأييد أن الغايتين مستحيلتان ومن ثم لا تمثلان غايتين حقيقيتين إذ لا يمكن أن تقع رؤية الله جهرة ولا أن يتبع النبي ﷺ ملتهم وأما قوله «حتى تنفقوا مما تحبون» فإن حتى هنا أقرب إلى إفادة الاستثناء منها إلى إفادة الغاية فمثل هذه العبارة مثل: «مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الأنعام ١١١).

١٣ - تأكيد الإيجاب بسلب الضد وعكس ذلك:

ويكون ذلك بالإثبات ثم نفي الضد وبالنفي ثم إثبات الضد وبالأمْر ثم النهي عن الضد وبالنهي ثم الأمر بالضد فيكون أثر ذلك في الفهم كأثر التأكيد اللفظي تماما فإذا قلت لصاحبك: «اسكت ولا تتكلم» فذلك في قوة قولك: «اسكت اسكت» أو «لا تتكلم لا تتكلم» والنتيجة هي التأكيد في كل حالة ونظير ذلك في القرآن كثير كما يبدو في الشواهد التالية:

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ (البقرة ٤١)

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة ٥٧)

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (البقرة ٦٨)

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (البقرة ١٠٢)

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ١٤١)

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ (البقرة ١٥٠)

﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة ١٥٢) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ١٥٤)

﴿وَالِهَٰكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (البقرة ١٦٣)

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة ١٧٧)

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة ١٨٥)

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢١٦)، (البقرة ٢٣٢)

﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ (البقرة ٢٢٢)

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ (البقرة ٢٥٥)

﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ (البقرة ٢٥٦)

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٢٦٢)

﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ

تُنْفِقُونَ﴾ (البقرة ٢٦٧)

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة ٢٧٢)

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة ٢٨٣)

ثالثاً: التعليل:

والتعليل بيان العلة أيا كانت صورة البيان أى سواء كان التعليل بواسطة المفعول لأجله أو بالجر بحرف يفيد التعليل أو بنزع الخافض إذ يكون الخافض بالمعنى المذكور أو بواسطة لعل أو بأية وسيلة أخرى وسوف نعرض نماذج من كل واحدة من هذه الوسائل:

ثمة صورتان من صور المنصوبات فى التركيب العربى يمكن معهما الزعم بأن النصب على نزع الخافض إلى جانب القول بأصالة النصب هاتان الصورتان هما المفعول لأجله (وهو دائماً على معنى اللام) والمفعول فيه (وهو دائماً على معنى فى) وربما أضيف إليهما الكثير من صور التمييز التى تأتى على معنى «من».

ولقد ألقى نظرة عجل على سورة البقرة فوجدت بها تعليلاً بالمفعول لأجله صريحاً فى سبع آيات هى:

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ﴾ (البقرة ١٩)

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا﴾ (البقرة ٩٠)

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ
أَنْفُسِهِمْ﴾ (البقرة ١٠٩)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة ٢٠٧) ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ
إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (البقرة ٢١٣)
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ
بِرَبْوَةٍ﴾ (البقرة ٢٦٥)

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقرة ٢٧٢)

وإذا كان المفعول لأجله على معنى اللام كما سبق أن ذكرنا فإن اللام قد تظهر
أحياناً إما سابقة للمصدر الصريح أو للفعل المضارع مع أن الظاهرة أو المقدرة (وهو
المصدر المؤول) وذلك كما يلي:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا﴾ (البقرة ٧٩)

﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا﴾ (البقرة ١٤٣)

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة ١٥٠)

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْءُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ (البقرة ١٨٨)

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ (البقرة ٢٠٥)

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة ٢١٣)

وقد يأتي التعليل بواسطة «لعل» كما في الآيات الكريمة التالية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة ٢١) ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة ٥٢)

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة ٥٣)

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة ٥٦)

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٧٣)

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّيْ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة ١٥٠)

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٧٩)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٨٣)

﴿وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة ١٨٥)

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة ١٨٦)

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٨٧)

﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة ١٨٩)

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة ٢١٩)

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٢٤٢)

وقد يأتي التعليل عن طريق الباء كما في قوله تعالى:

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة ٥٩) أى

بسبب فسقهم

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا

وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة ٦١) أى بسبب عصيانهم

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (البقرة ١٧٦)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ (البقرة ٢٧٥)

أما التعليل بواسطة «من» فقد وجدت له في سورة البقرة شاهدا واحدا هو:

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ (البقرة ١٩)

ولكن للفاء المفيدة للتعليل والسيبية عددا من الشواهد أكثر من ذلك كما في الآيات الكرية الآتية:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ (البقرة ١٦) أى

ولهذا لم تربح تجارتهم

﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ﴾ (البقرة ٥٤)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾

(البقرة ٥٥) ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ (البقرة ٨٠)

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ (البقرة ٨٥)

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ (البقرة ٨٦)

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٨٩)

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ (البقرة ١٤٤)

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ (البقرة ١٨٧)

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ﴾ (البقرة ٢٢٣)

وللتعليل بواسطة «حتى» شاهد واحد مما وجدت وهو:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (البقرة ١٩٣)

أما نزع الخافض فقد وجدت له الشواهد الآتية:

﴿بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (البقرة ٩٠) أى لثلا ينزل أو إلقاء أن ينزل

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ

النَّاسِ﴾ (البقرة ٢٢٤)

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا

فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (البقرة ٢٨٢)

وقد يأتى التعليل بواسطة الواو كما فى الآيات التالية:

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ

يَشَاءُ﴾ (البقرة ٢٤٧) أى لأن الله يؤتى.

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٦١)

﴿وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٦٨)

وقد يكون التعليل بواسطة الاخبار بالذى والألف واللام مع الربط بالاشارة
فالتركيب عندئذ يشرب معنى الشرط فيكون الشرط علة الجواب كما يلي:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ
أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة ١٥٩) أى يلعنهم لأنهم يكتُمون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ (البقرة ١٦١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ (البقرة ١٧٤)

فالذى قبل الاشارة فى كل ما سبق علة لما بعدها فكتمان ما أنزل الله سبب للعة
وتوبة العبد وإصلاحه سبب لتوبة الله عليه والموت على الكفر سبب للعة وهكذا.
وقد يأتي التعليل من خلال الإنكار نحو:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة ٢٨) أى لا تكفروا به لأنه
أحياكم بعد موتكم.

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة ٣٠) أى لا تجعله فيها لأنه
يفسد ويسفك الدماء.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ
بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ (البقرة ٧٥) أى لا تطمعوا فى إيمانهم لكم لأنهم كانوا يسمعون
ويحرفون بعد الفهم.

وقد يأتي التعليل مع الفصل وتقدير حرف التعليل كما فى الآيات الآتية:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة ١٩٩)

أى لأنه غفور رحيم

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة ٢٠٨)

﴿ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكي لكم

وأطهر﴾ (البقرة ٢٢١)

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ

اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَدُرُّوهُنَّ﴾ (البقرة ٢٣٥)

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة ٢٥٦)

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة ٢٨٦)

وكذلك: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا﴾

وهذه الآية الأخيرة يمكن فهمها على معنى التعليل بالفاء وجعل الفاء رابطة بين جملي «أنت مولانا» و«فانصُرنا» أى انصُرنا لأنك أنت مولانا ومن شأن المولى أن ينصر مولاة.

وقد يكون التعليل بواسطة «إذ» نحو ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ

لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة ١٣٠ - ١٣١)

ونحو ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (الأحقاف ١١)

ونحو ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأَوَّلَتْكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النور ١٣)

رابعاً - الإحالة:

والإحالة أو المرجعية نوع من ظاهرة الربط فى اللغة ولقد سبق أن تكلمنا عن الربط بوصفه قرينة لفظية ولكن الإحالة قد تقع خارج نطاق القرائن النحوية وتتجه اتجاهين: أحدهما إلى ما سبق ذكره، والثانى إلى ما يلى فأما ما سبق ذكره فإن الإحالة إليه تتم بضمير الإشارة «ذا» مع اختلاف ما يصاحبه من حروف الخطاب

والتنبيه وأما ما يلي فإن الإحالة إليه تتم بالإشارة وبغير الإشارة كما يبدو واضحا في الشواهد القرآنية التي نسوقها لكل من النوعين .

أ - الإحالة إلى ما سبق يشير ضمير الاشارة فى هذه الحالة إلى مضمون ما تقدم من قول أو حدث فيكون الضمير تلخيصا لهذا القول وذلك الحدث تجنباً للإطناب بإعادة بسط القول فيه كما يبدو فيما يلي .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة ١٧٦)

الإشارة إلى كتمان البعض لما أنزل الله من الكتاب وشرائهم به ثمنا قليلا وعدم تكليم الله إياهم .

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٢٤٢) وذلك انتهاك الأحكام السابق ذكره .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ (آل عمران ٢٤) أى ذلك الانصراف عن الاحتكام إلى كتاب الله

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ (آل عمران ١٨٢) أى كتابة ما قالوا وكتابة قتل الأنبياء والأمر بدوق عذاب الحريق .

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ (النساء ١٣) أى ما سبق من أحكام الميراث
﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ (المائدة ١٠٨) الإشارة إلي ما سبق من قوله تعالى «يأيتها الذين أمنوا شهادة بينكم» الخ

﴿وَكَذَلِكَ نُنزِّلُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ﴾ (الأنعام ١٠٥) الإشارة إلى مجيء البصائر من الله

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ لِنُؤَيِّنُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ (الأنعام ١٢٩) الإشارة إلى تبادل الولاء بين المجرمين من الجن والأنس.

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الاعراف ١٧٤) الإشارة إلى نتق الجبل وأخذ الذريات من الأصلاب

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الأنفال ١٣) الإشارة إلى الإيحاء للملائكة والقاء الرعب فى قلوب الذين كفروا

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال ١٨) الإشارة إلى كون الرمى من الله يضاف إليه توهين كيد الكافرين

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ (هود ٤٩) الإشارة إلى قصة نوح والطوفان وقد سبق القول فيها.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ (يوسف ١٠٢) أى ما سبق من قصة يوسف. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ (النحل ١٠٧) أى الغضب والعذاب الواقعان على من شرح بالكفر صدرا.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ (طه ٩٩) أى كما سبق من قصص ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٦) الإشارة إلى ما سبق بدءا من قوله: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج ٣٢) الإشارة إلى ما سبق من كلام عن الحج.

ب - الإحالة إلى ما يلى: والمقصود بالذى يلى هذا يمكن أن يكون مضمون الشأن كالذى سبق من زعمنا أن ضمير الإشارة يستعمل للشأن نحو: ﴿جَزَأُوهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا﴾ (الكهف ١٠٦) وإما أن يكون الضمير إشارة إلى المنطوق والمضمون معا فمثله مثل عبارة «ما يلى» تماما وذلك شأن الإشارة والموصول ونحوهما كما يلى:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران ٤٤) والاشارة إلى ما يلي من

الكلام عن حمل مريم وميلاد المسيح

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران ٥٨) والاشارة إلى

قياس خلق عيسى على خلق آدم

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران ١٣٨) الاشارة إلى ما يلي

من تثبيت الله لقلوب المؤمنين بالعزاء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾

(المائدة ١) أى ما يتلى فى الآيات التالية

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ (يوسف ٣) أى

نحن نقص عليك القصة التالية

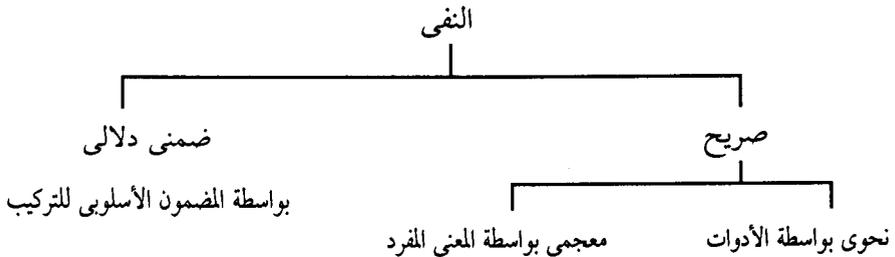
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ (الكهف ١٣) أى نقص نبأهم التالى

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (القصص ٣) أى تتلو ما

يلى من نبأ موسى وفرعون

خامسا - النفى:

النفى الأسلوبى أوسع دلالة من النفى النحوى فهو كما أراه إما صريح أو ضمنى والصريح منه إما نحوى وإما معجمى حتى إن الصورة العامة لهذا التقسيم تبدو على النحو التالى:



ولكل واحد ن هذه الأنواع الثلاثة مجال تطبيقه فى الأسلوب القرآنى ويمكن بيان ذلك على النحو التالى :

١ - النفى النحوى :

وقد تقدم أنه إنما يكون بواسطة أدوات النفى وهذه الأدوات بعضها حرفى فى أصل الاستعمال وبعضها منقول عن أقسام أخرى من الكلم كما فى قوله تعالى : ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة ٨٨) أى ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء ٤٦) فتقديم لفظ القلة نفى للكثرة بمقدار ما ينفىها حرف النفى فى آية النساء . وقد يكون حرف النفى هو «ما» الداخلة على الضمير كما فى :

﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة ٨)

﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة ١٠٢)

﴿لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران ٧٨)

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران ٧٨)

﴿وَمَا هُوَ بِمَزْحِرِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ (البقرة ٩٦)

أو الداخلة على الأسم الظاهر نحو :

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ٧٤ ، ١٤٠)

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران ١٤٤)

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقْرَبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ (سبا ٣٧)

أو الداخلة على الفعل نحو :

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ٩)

﴿فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة ١٦)

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة ٢٦)

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة ٥٧)

﴿فَذَبْحُومًا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة ٧١)

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة ١٠٢)

ومن الأدوات «لا» الداخلية على الاسم لنفى المفرد نحو:

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٣٨ ، ٦٢)

﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ﴾ (البقرة ٦٨)

﴿لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ (البقرة ٧١)

أو النافية للجنس نحو

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (البقرة ٣٢)

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة ١٥٨)

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (البقرة ٢٣٥)

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً

وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ﴾ (البقرة ٢٣٦)

أو الداخلة على الفعل المضارع نحو:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ١٢)

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ١٣)

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة ١٧)

﴿صُمُّ بَكْمٌ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة ١٨)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة ٢٦)

أو الداخلة على الماضي لا بقصد الدعاء نحو:

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ (القيامة ٣١ - ٣٢) وربما

كان منه أيضا:

﴿فَلَا افْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (البلد ١١)

ومن أدوات النفي «لم» التي تختص بالدخول على المضارع نحو:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (البقرة ٢٤)

﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة ٣٣)

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ١٠٦)

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة ١٠٧)

ومنها «لن» وهي تختص بالمضارع أيضا نحو

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (البقرة ٢٤)

﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة ٥٥)

﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ (البقرة ٦١)

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة ١١١)

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة ١٢٠)

ومنها «ليس» وهي تختص بالجملة الاسمية نحو:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (البقرة ١١٣)

﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة ١١٣)

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (البقرة ١٧٧)

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (المائدة ٦٨)

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة ٢٧٢)

نصل بعد ذلك إلى النفي المعجمى بواسطة المعنى المفرد. ولقد مر بنا فى دراسة النحو شاهد على أن هذا النوع من النفى صالح أن يستثنى منه إذ يقول الشاعر:

عاف تغير إلا النوى والوتد.

برفع ما بعد «إلا» ومن ثم جرى تأويل المعنى المفرد المفهوم من الفعل «تغير» إلى «لم يبق على حاله» ومن ثم آل المعنى إلى أنه «لم يبق على حاله إلا النوى والوتد» وهذا من قبيل الاستثناء المنفى الناقص أى المفرغ وبهنا هنا أن نفهم المقصود بأن الاستثناء من الفعل «تغير» استثناء منفى على رغم عدم حرف النفى. والذى يبدو لى أن ذلك يعود إلى ظاهرة معجمية يطلق اللغويون عليها مصطلح «الحقول المعجمية» فإذا ارتضينا تقسيم معجم أى لغة إلى حقول من المعانى فلعل هذه الحقول ذاتها مختلفة الطابع أيضا فبعضها يعود إلي العقل والبعض الآخر يعود إلى العرف والثقافة الشعبية وهكذا فإذا عادت حقول القرباب وأنواع النشاط والحرف اليدوية الخ إلى جانب العرف فإن ما يعود إلى طبيعة التكوين العقلى من تلك الحقول ربما كان أعمق وأهم فإذا حاولنا أن نقسم المفاهيم بين الإثبات والنفى فلربما وجدنا طوائف من المعانى تتفرع عن النفى وإن جرى التعبير عنها بالفعل المثبت على نحو ما مر بنا من معنى الفعل «تغير» منذ قليل. ولربما وجدنا هذه المعانى المتفرعة عن النفى تبدو فى صورة التخطيط التالى:

النفى المعجمى

بواسطة المعنى المفرد

القطع والانقسام	الكف والانحسار	المنع والامتناع	التحول	الإزالة	السلب
نبذ	كف	أمسك	ذهب	نزه	ضل
نقص	ترك	وقى	فسد	سبح	جاع
قطع	خشى	كفر	ولى	أمن	نقص
برىء	خاف	منع	حرف	أبطل	جهل
بتر	أبى	رفض	فتن	أخذ	ضعف
	كتم	عصى	زل	ظل	صم
	قبض	حرم	تغير		عمى
	عفا	حفظ			بكم
	تاب	عكف			
	حاذر	صام			
	عزف				
	صد				
	رغب عن				
	زهّد				

سادسا: التسوية:

الأصل فى التعبير عن التسوية أن يكون من خلال ذكر أحد مشتقات مادة (س و ي) إما بالإيجاب وإما بالسلب وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم فى العديد من المواضع نحو:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ (البقرة ٦، يس ١٠)

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ (آل عمران ١١٣)

﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء ٨٩)

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ (النساء ٩٥)

- ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ (المائدة ١٠٠)
- ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف ١٩٣)
- ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ (هود ٢٤، الزمر ٢٩)
- ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ (ابراهيم ٢١)
- ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ (النحل ٧١)
- ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (النحل ٧٦)
- ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (الحج ٢٥)
- ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (الشعراء ١٣٦)
- ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ (الروم ٢٨)
- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ (فاطر ١٢)
- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ (فاطر ١٩)
- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (فاطر ٢٢)
- ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ (التوبة ١٩، السجدة ١٨)
- ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ (الطور ١٦)
- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ (الحديد ١٠)
- ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ (الحشر ٢٠)
- ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (المنافقون ٦)

فنحن نجد هذه الشواهد من مشتقات المادة: سواء، ويستوى (ايجابا ونفيا)،

ويستويان، ويستوون ونجد المساواة تقتضى طرفين إما متقابلين أو متباينين حتى فى حالة الإيجاب .

لكن أسلوب التعبير عن التسوية قد يتخذ صور أخرى غير ما سبق مع المحافظة على أحد محورى التقابل أو التباين وتتعدد هذه الطرق بين الشرط وأو والواو التى بمعنى أو ومثل وما يفيد التسوية من عبارات أخرى .

أ - الشرط قال تعالى :

﴿فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (البقرة ١١٥) أى سواء وليتم قبل المشرق أم قبل المغرب .

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة ١٤٤ ، ١٥٠) أى سواء

كنتم هنا أم هناك

﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ (البقرة ١٤٨) أى سواء كنتم

قريبين أم بعيدين

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ (البقرة ٢٨٢) أى سواء كانا رجلين أم

رجلا وامرأتين .

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ (البقرة ٢٦٥) أى أصابها أحدهما سواء الوابل أم الطل .

﴿وَإِنْ تَبَدَّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة ٢٨٤) أى سواء

أبديتم أو أخفيتم .

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانَكُمْ﴾ (النساء ٢٥) أى انكحوهن سواء كن محصنات أم إماء .

﴿أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ (النساء ٧٨) أى إنكم

ميتون سواء كنتم خارج البروج أم داخلها .

ب - أو: وتختلف «أو» التى للتسوية عن «أو» التى للتخيير من جهة أن طرفى التسوية بينهما اطراد التباين أو التقابل وليس ذلك الاطراد بين طرفى التخيير لاحظ ذلك فى قوله تعالى:

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ (النساء ١٣٥) أى هو أولى بهما سواء كان غنيا أم فقيرا.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ (البقرة ١٣٥) أى الهداية لأهل الكتاب فقط سواء منهم اليهود أم النصارى.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة ١٨٤) أى الكفارة صيام أيام آخر سواء للمريض أم المسافر.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾ (البقرة ١٩٦) أى الفدية واجبة سواء على المريض أم ذى الأذى.

﴿وَلَا تَسَامُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ (البقرة ٢٨٢) أى لا تساموا سواء أكان صغيرا أم كبيرا.

﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ﴾ (آل عمران ٢٩) أى يعلم الله ما فى صدوركم سواء أخفيتموه أم أبديتموه.

﴿وَلَكِنَّ مَتًّا أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران ١٥٨) أى ستحشرون سواء متم أم قتلتم.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ (النساء ٨٣) أى إذا جاءهم أمر أذاعوا به سواء أكان من الأمن أم من الخوف.

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾

(النساء ١٣٥) أى كونوا كذلك سواء على أنفسكم أم على الوالدين والأقربين.

ج - الواو التى بمعنى أو: وينبغى هنا أيضا أن تقوم بين طرفى التسوية علاقة التباين أو علاقة التقابل فلو كان بينهما علاقة التماثل لكانت التسوية من الوضوح بحيث لا تستدعى النص عليها وشواهد التسوية بالواو كثيرة كما نرى فيما يلى:

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (البقرة ٢٠١) أى

اتنا حسنة سواء فى الدنيا أم فى الآخرة.

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة ٢٠٣) أى لا

إثم سواء مع التعجل أم التأخر.

﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة ٢٤٧) أى زاده بسطة سواء فى

العلم أم فى الجسم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران ٥) أى لا

يخفى على الله شىء سواء فى الأرض أم فى السماء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾

(آل عمران ١٠) أى لن يغنى عنهم شىء سواء أموالهم أم أولادهم.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (آل عمران ٢٢) أى حبطت

أعمالهم سواء فى الدنيا أم فى الآخرة.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران ١٩١) أى سواء

كانوا قياما أم قعودا أم على جنوبهم.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (النساء ١٢٣) أى ليس بالأمانى سواء منكم أم من أهل الكتاب.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ (الانعام ١٢٠) أى ذروا الاثم سواء أكان ظاهراً أم باطناً.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ (الانعام ١٤٨) أى لو شاء الله ما وقع شرك سواء منا أم من آبائنا.

د - عبارات أخرى تفيد التسوية نحو:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (آل عمران ٦) أى سواء على هذه الصورة أم تلك.

﴿إِنكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾ (النساء ١٤٠) أى انكم عندئذ سواء على رغم تباينكم.

هـ - إماما: وليست هذه «إماما» الدالة على التفصيل لأن بين طرفى التفصيل فى العادة علاقة عنادية بخلاف طرفى التسوية ومن شواهد «إماما» هذه:

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ (مريم ٧٥)

أى سواء أكان المرئى هو العذاب أم الساعة.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الانسان ٣)

ومعنى «إماما» هذه صنو لمعنى الشرط الذى سبق ذكره منذ قليل وواضح أن علاقة التسوية غير العلاقة العنادية لأن التسوية إيجابية والعناد سلبية.

أساليب التوجيه في النص القرآني

الأصل في الإيجاب أن يكون بالأمر والأصل في التحريم أن يكون بالنهي ولا يكون الخروج عن هذا الأصل إلا بقرينة تستفاد من خارج اللفظ^(١) ومن صور الخروج أن يستفاد من الأمر غير الفرض ومن النهي غير التحريم وأن يستفاد الفرض من غير صيغة الأمر والتحريم من غير صيغة النهي وينقل الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان في كتابه: الفكر الأصولي - دراسة تحليلية نقدية عن أحمد بن علي الرازي المعروف بالخصاص في كتابه: الوصول في الأصول^(٢) وقوله: «وقول القائل» اعمل تستعمل على سبعة أوجه.

على جهة إيجاب الفعل كقوله تعالى: «اتقوا الله» وقوله: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» ونحوها وعلى النذب كقوله تعالى: «افعلوا الخير، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».

وعلى الارشاد إلى الأوثق والأحوط لنا كقوله تعالى: «وأشهدوا إذا تبايعتم»، وقوله تعالى: «فرهان مقبوضة»، وقوله تعالى في الرجعة: «وأشهدوا إذا تبايعتم».

وعلى الإباحة كقوله تعالى: «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض» وقوله تعالى: «وإذا حللتم فاصطادوا» وعلى التقرير والتعجيز كقوله تعالى: «فأتوا بسورة مثله»، وقوله تعالى: «فأتوا بعشر سور مثله مفتريات» وقوله تعالى: «وليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين».

وعلى الوعيد والتهديد كقوله تعالى: «اعملوا ما شئتم» وقوله تعالى: «واستغفر من استطعت منهم بصوتك» والطلب ولا يكون ذلك إلا لمن فوقه (أي فوق القائل)

(١) انظر: شرح الكوكب المنير في أصول الفقه لابن النجار الحنبلي ١٩/٣، ٣٩ دار الفكر بدمشق ١٩٨٢.

(٢) لوحة ١٩ مصورة خاصة: نسخ عادى ٧٤٨هـ دار الكتب المصرية

كقولنا: «ربنا اغفر لنا وارحمنا» ونحو ذلك. والملاحظ أن هذا التقسيم منصب في الأساس على المعنى ولو أن الإيجاب والندب وهما من الأحكام الشرعية قد وردا في مقدمة ذكر المعانى التي سماها «الأوجه». كما يلاحظ أيضا أن كل واحد من هذه الأوجه يمثل موقفا context يشتمل على علاقة بين القائل (افعل) والمقول له كما يشتمل على أمور أخرى قوامها الظروف المحيطة بعملية القول وهى التى عبر عنها صاحب الكوكب المنير بقوله منذ قليل «إلا بقريئة تستفاد من خارج اللفظ» فقولك: «السلام عليكم» مثلا قد يكون على سبيل التحية وقد يكون على سبيل المغاضبة وعلان عدم الرضى بحسب ما يصاحبه من قريئة تستفاد من سياق النص كما فى قوله تعالى: «سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين» (القصص ٥٥) أو من خارج النص.

والذى يقال بالنسبة لصيغة «افعل» يقال فى صيغة «لا تفعل» إذ قد تعدد معانيها بحسب القريئة المصاحبة تحريما أو كراهية أو إرشادا أو زجرا أو تأديبا أو غير ذلك. بيد أن المقصود بهذا الفصل ليس الألفاظ المتعددة المعانى بل هو المعانى التى تعدد الصور اللفظية الدالة عليها فالذى أتناوله هنا هو التكليف بدرجاته التشريعية والكف بدرجاته بقطع النظر عن نوع الحكم الشرعى ثم إيراد الأساليب الدالة على كل من التكليف والكف. فحين يحض القرآن الكريم المسلم على أمر ما يمكن أن يأمره به أو يرشده إليه أو يوجهه أو يحسن هذا الأمر له وهلم جرا، كما أنه إذا أراد كفه عن أمر فإنه ينهيه أو ينكر عليه أو ينفره منه أو يصرفه عنه. وواسطة الأداء فى ذلك أساليب الأمر والنهى والإثبات والشرط والاستفهام والتعجب الخ كما سنرى فيما يلى:

والمقصود بالتكليف المطالبة بإحداث أمر ما سواء كان ذلك على سبيل الفرض أو الندب أو الإباحة الخ. وتكون هذه المطالبة فى الأصل باستعمال فعل الأمر «افعل» ولكنها تخرج عن هذا الأصل إلى أساليب أخرى سيأتى بيانها وشواهداها. فمن استعمال فعل الأمر:

﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة ١٥٠)

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ (البقرة ١٩٠)

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة ١٩٦)

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة ٢٣٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة ٢٦٧)

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ (النساء ٢)

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء ٤)

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء ٥٩)

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُلْفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء ٨٤)

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال ٦٠)

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ (التوبة ١٠٣)

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (النحل ٩١)

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ﴾ (النحل ١٢٥)

﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ (الإسراء ٢٦)

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الإسراء ٣٥)

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج ٧٨)

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ (المؤمنون ٩٦)

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى النَّحْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ (الفرقان ٥٨)

﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء ٢١٥)

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ (الحجرات ٢١)

﴿فَاعْرِضْ عَنَّا مَن تَوَلَّىٰ عَنَّا ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (النجم ٢٩)

﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد ٧)

﴿أَسْكُوهُمْ مِّن مَّحَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وَّجْدِكُمْ﴾ (الطلاق ٦)

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق ١)

وقد يتحقق الأمر باستعمال اللام والفعل المضارع مثل :

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ (النساء ٧٤)

﴿وَلَيْسَتَعْفَىٰ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور ٣٣)

﴿لَيْسَتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النور ٥٨)

﴿وَلَتَنْظُرَنَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر ١٨)

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ (الطلاق ٧)

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (قريش ٣)

وقد يأتي قبل فعل الأمر مبدأ عام يقوم مقام التعليل لما بعده كما في قوله تعالى :

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَاؤُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة ٢٢٣)

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿البقرة ٢٧٦ - ٢٧٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة ٩٠)

﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ (الحج ٣٦)

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت ٣٤)

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ (الجاثية ١٨)

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن ١٤)

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ (الملك ١٥)

هذا وقد سبقت الإشارة إلى أن المدلول الشرعى لفعل الأمر فى هذه الشواهد يتراوح بين الفرض والندب والإباحة والإرشاد.

ويكون الكف بواسطة النهى بواسطة الأداة والفعل كما فى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ (البقرة ١٨٨)

﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ (البقرة ٢٢١)

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ (النساء ٤٣)

﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ (المائدة ٢)

﴿لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة ٨٧)

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (النحل ٩٥)

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (الإسراء ٢٢)

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَهْرًا﴾ (الإسراء ٣٧)

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ (النور ٢٧)

﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت ٤٦)

﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ (لقمان ١٨)

ونحن نرى فى النهى بالأداة والفعل هنا ما يتراوح بين التحريم القاطع والكرهية والآداب السلوكية الشخصية والاجتماعية وإباحة الطيبات الخ. كما يكون الكف بغير صيغة النهى كالتخصيص فى قوله تعالى:

﴿لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور ١٢)

وكالأسلوب الخبرى فى الشواهد التالية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (النساء ١٠)

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ (المائدة ٣)

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ (التوبة ١٧)

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة ١١٣)

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا

يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ (التوبة ١٢٠)

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ (التوبة ١٢٢)

ويكون التكليف بالأسلوب الخبرى إثباتا كان أم نفيًا سواء كانت الجملة الخبرية فعلية أم اسمية فإذا حاولنا معرفة الفرق بين دلالة إحدى الجملتين ودلالة الجملة

الأخرى وجدنا الجملة الفعلية أكثر وشاية بالحكم الشرعى من الاسمية إذ تتم دلالة الفعلية على هذا الحكم من خلال المعنى المعجمى للفعل الذى فى سياقها نحو ما نرى من الدلالة على حكم «الفرض» فى الشواهد التالية:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ (البقرة ١٧٨)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ (البقرة ١٨٠)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (البقرة ١٨٣)

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء ١١)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء ٥٨)

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُفَّةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ (المائدة ٩٧)

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء ٢٣)

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ (لقمان ١٤)

كما يظهر التحريم من معانى الأفعال فى الشواهد التالية:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ (المائدة ٣)

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ (المائدة ١٠٣)

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة ١١٣)

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا

يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ (التوبة ١٢٠)

وتظهر الإباحة من دلالة الشواهد التالية:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (البقرة ٢٢٥)

﴿الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ (المائدة ٥)

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ (المائدة ٩٣)

﴿أَحْلَلْ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ﴾ (المائدة ٩٦)

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ﴾ (الأحزاب ٣٨)

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (المتحنة ٨)

أما الجملة الأسمية فيستفاد الحكم الشرعي من مجموع سياقها ولا ينكشف بواسطة المعنى المعجمي للفظ من ألفاظها على نحو ما نجده في الشواهد التالية:

﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ (البقرة ٢٢٦)

﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة ٢٢٨)

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ (البقرة ٢٢٩)

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة ٢٣٣)

﴿وَالْمُطَلَّقاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٤١)

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (النساء ٧)

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ (النساء ١٢)

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ

يُصَلَّبُوا﴾ (المائدة ٣٣)

﴿الرجال قوامون على النساء﴾ (النساء ٣٤)

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (التوبة ٦٠)

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب ٦)

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ (سبا ٣٧)

وفى النحو العربى باب يسمى باب الإخبار بالذى والألف واللام يأتى التعبير من خلاله على نوعين النوع الأول خبرى خالص والنوع الثانى خبرى أشرب معنى الشرط. ويتضح الفرق بين النوعين عندما يكون الخبر جملة اسمية أو طليية أو ذات فعل جامد أو مبدوءة بما أو لن أو بالسين أو سوف أو قد وهى البدايات التى يستحق جواب الشرط معها أن يقترن بالفاء. فإذا كانت جملة الإخبار بالذى والألف واللام قد قصد بها مجرد الإخبار لم يقترن خبرها بالفاء حتى لو كان واحدا من التراكيب المذكورة أما إذا أشرب معناها معنى الشرط فإن خبرها يقترن بالفاء. انظر إى الفرق بين الشاهدين التاليين:

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٢٦٢)

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ

رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٢٧٤)

نزلت الآية الأولى فى عثمان بن عفان رضى الله عنه حين تبرع بماله لجيش العسرة وأما الثانية فجاءت تحريضا على الإنفاق. فمعنى الآية الأولى: «عثمان له أجره عند ربه» ومعنى الثانية «إن انفق منفق فله أجره عند ربه» ومن هنا جاء اقتران الخبر بالفاء كما لو كان الخبر جوابا للشرط. وفيما يلى شواهد على كل من النوعين وتبدأ بشواهد الإخبار المحض:

﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة ٢٣٤)

﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ

إِخْرَاجٍ﴾ (البقرة ٢٤٠)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (النساء ١٠)

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرَّوْا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (الأنفال ٧٢)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (الأنفال ٧٣)

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ (المجادلة ٢)

أما الإخبار الذى أشرب معنى الشرط فمن شواهدة:

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ﴾ (النساء ١٥)

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّهُمَا﴾ (النساء ١٦)

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة ٣٨)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ﴾ (الأنفال ٧٥)

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ (المجادلة ٣)

ويظهر الفرق فى المعنى عند مقارنة الآيتين الوارديتين فى الاستشهاد من سورة المجادلة فالآية رقم ٢ لا تصلح لمعنى الشرط لأنها تعبر عن حقيقة لا تتغير هى أن الزوجات غير الأمهات وأما الآية رقم ٣ فإنها تجازى من يعود لما قال بالزمامه بعثت رقبة قبل استئناف المعاشرة ففى الآية معنى الجزاء المترتب على شرط ومن هنا تأتى الفاء مقترنة بالخبر كما لو كان هذا الخبر جوابا لشرط.

وقد يأتى الحض على صورة الشرط الصريح وأكثر ما يكون ذلك باستعمال «إذا» و«إن» و«من» و«ما» على الترتيب. فمن شواهد «إذا»:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ (البقرة ٢٣٢)

﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة ٢٨٢)

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ (النساء ١٠٢)

﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء ١٠٣)

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ (المائدة ٦)

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة ٥)

﴿فَإِذَا قرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل ٩٨)

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ (النور ٥٩)

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ

تَعْتَدُونَهَا فَمَعْرُوهِنَّ﴾ (الأحزاب ٤٩)

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (محمد ٤)

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾ (المجادلة ١١)

﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ (المجادلة ١٢)

﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ﴾ (المتحنة ١٠)

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا

يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ

فَبَايِعِهِنَّ﴾ (المتحنة ١٢)

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الجمعة ٩)

﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة ١٠)

﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ (الطلاق ١)

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق ٢)
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ (النصر ١ - ٣)
ومن شواهد «إن»:

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ (البقرة ٢٣٠)
﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا
أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ (البقرة ٢٣٧)
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ (البقرة ٢٨٣)
﴿فَإِذَا تَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ (الأنفال ٥٧)
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ (الأنفال ٥٨)
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال ٦١)
﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا
أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (التوبة ١٢)
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ (النحل ١٢٦)
﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ (النور ٢٨)
﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (لقمان ١٥)
﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَاءٍ فَتَمَيَّنُوا﴾ (الحجرات ٦)
﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ
مَا أَنْفَقُوا﴾ (المتحنة ١١)

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (التغابن ١٧)
ومن شواهد «من»:

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة ١٨٤)
﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (النساء ١٠٠)
﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت ٤٦)
﴿وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخِلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (محمد ٣٨)
﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ (المجادلة ٤)
ومن شواهد «ما»:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة ١٠٦)
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانَ فَاذْنِ اللَّهُ﴾ (آل عمران ١٦٦)
﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ (الأنفال ٦٠)
﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ (سبا ٤٧)
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر ٧)

وقد يكون الاستفهام وسيلة التكليف - والاستفهام كما تدل صيغة الاستفعال هو طلب الفهم ولكن أساليب الاستعمال تجعل ذلك أقل دلالات الصيغة خطراً وبخاصة في السياق القرآني لأن الله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فهو منزه عن طلب الفهم. ومن ثم يكون للاستفهام في القرآن الكريم وظائف أخرى غير ذلك. ويسمى النحاة طلب الفهم «استفهاماً على بابه» إذ يعدون طلب الفهم هو الباب أو المدخل إلى الاستفهام في أصل الاستعمال. وحين تقول «الأصل» يدل ذلك على طريقة النحاة في التأصيل والتفريع ولا يدل على حرية الإبداع الأسلوبى الذى قد يرى الالتزام بالأصل قيدياً على تصريف المعانى. من هنا يعدل الأسلوب عن

طلب الإفهام إلى الإنكار حيناً (وهو أكثر ما يدل عليه الاستفهام فى القرآن الكريم) وإلى التحضيض أو العرض أو التعجب الخ أحياناً .

١ - فمن شواهد التحضيض من خلال الاستفهام:

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ﴾ (النساء ٣٩)

﴿ مَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

وَالْوِلْدَانِ ﴾ (النساء ٧٥)

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا

اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ (الأنعام ١١٩)

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ (الشعراء ٢٥)

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء ١٠٦)

﴿ فَهَلْ مِنْ مَدْكِرٍ ﴾ (القمر ١٧ ، ٢٢)

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (الحديد ١٦)

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (الغاشية ١٧)

٢ - ومن شواهد العرض من خلال الاستفهام:

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ (البقرة ٢٤٥)

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد ١١)

والله سبحانه خالق كل شىء فلا يعجب من شىء خلقه فإذا ورد من أساليب التعجب فى القرآن شىء فالمقصود هو التعجب أى دعوة عبادة إلى العجب من أمر ما ووسيلة ذلك فى معظم الأحيان هى الاستفهام الإنكارى .

٣ - ومن شواهد التعجب بالاستفهام:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ (البقرة ٢٨)

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ

ذَلِكَ ﴾ (المائدة ٤٣)

﴿ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أٰبَتِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ (الأنعام ١١٤)

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾ (الأعراف ١٩١)

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﴾ (التوبة ٧)

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَآذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ

إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ (يونس ٥٠)

﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآلَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (يونس ٥١)

﴿ الْآلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس ٩١)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَّ إِجْرَامِي ﴾ (هود ٣٥)

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ (الرعد ٣٣)

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ (طه ٩)

﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء ٣٠)

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء ٢٢) أَى أَوْ تِلْكَ نِعْمَةٌ

﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء ١١٩)

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (ص ٢١)

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ (محمد ٢٧)

- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (الذاريات ٢٤)
- ﴿أَتَوَّصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات ٥٣)
- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ (النجم ٥٥)
- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (القمر ١٦ ، ٢١ ، ٣٠)
- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن - فى عدد كبير من الآيات)
- ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة ٨)
- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان ١)
- ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (النبا ١)
- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (النازعات ١٥)
- ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الانفطار ١٨)
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾ (المطففين ٨)
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ﴾ (المطففين ١٩)
- ﴿هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الطففين ٣٦)
- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ (البروج ١٧ ، ١٨)
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ (الطارق ٢)
- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (الغاشية ١)
- ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ (الفجر ٥)
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ (البلد ١٢)

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (القدر ٢)

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (القارعة ٣)

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ (الهمزة ٥)

والاستفهام الإنكاري من نوعين: نفي وتقرير. فإذا خلت جملة الاستفهام الإنكاري من أداة النفي فمعناها هو النفي أو النهي أما إذا دخلتها أداة النفي فالمعنى على التقرير أى أن الأمر فى الحالتين على عكس بنية الجملة. انظر مثلاً:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة ٤٤) أى لا

تأمروا الناس على هذا الوضع

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة ٨٥) أى لا تفعلوا ذلك

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة ١٠٨) أى لا

تريدوا ذلك

﴿لَمْ تَحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ (آل عمران ٦٥)

أى لا تحاجوا

﴿لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (آل عمران ٧٠) أى لا تكفروا

﴿لَمْ تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران ٧١)

أى لا تلبسوا

﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٨٠) أى لا يمكن أن يأمركم

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (آل عمران ٨٣) أى لا ينبغي لهم ذلك

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ (آل عمران ٨٦) إنه لا يهديهم

﴿لَمْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران ٩٨)

أى لا تكفروا

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء ٢١) أى لا تأخذوه

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ﴾ (النساء ١٤٧) أى لا يفعل بذلك شيئا

﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ (الأعراف ٦٣)

أى لا تعجبوا

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ (يونس ٢) أى ليس فى

ذلك عجب

﴿هَلْ مِّن شُرَكَائِكُمْ مِّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾

(يونس ٣٤) أى ليس منهم من يفعل ذلك

﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُلُونَ﴾ (الشعراء ١١١) أى لن نؤمن لك

﴿وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء ١١٢) أى لا علم لى

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ

ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ (النمل ٦٠) أى لم

يخلق ذلك إله مع الله

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزخرف ٤٠)

أى لست تستطيع ذلك

﴿أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (النجم ١٢) أى لا ينبغى لكم ذلك

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ (النجم ٥٩) أى لا تعجبوا

﴿لَمْ تُحْرَمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التحریم ۱)

أى لا تحرم ما أحله الله لك

۵ - أما إذا اشتمل الاستفهام الإنكارى على أداة النفى فالمعنى على التقرير كما فى

الشواهد التالية :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيًّا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (آل عمران ۲۳) أى لقد رأيت

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيًّا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا

السَّبِيلَ﴾ (النساء ۴۴) أى لقد رأيت

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (النساء ۴۹) أى لقد رأيت

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيًّا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء ۵۱) أى لقد رأيت

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ﴾

(الأنعام ۶) أى لقد علموا

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾

(الأعراف ۱۰۰) أى ينبغى أن يعلموا

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾

(الأعراف ۱۸۵) أى ذلك فى مجال نظرهم

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ (التوبة ۷۰) أى

لقد جاءهم

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ (التوبة ۷۸) أى إنهم يعلمون

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (التوبة ١٠٤) أى إنهم يعلمون
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم ٢٨)

لقد علمت

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ (النحل ٧٩) إنهم يرون
﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ (طه ١٢٨)

إنهم يعلمون

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا
تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج ٤٦) لقد ساروا فكانت

لهم قلوب عمياء

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحج ٧٠) أنت تعلم
﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون ٦٨)

أى لقد تدبروا

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (المؤمنون ٦٩) أى إنهم يعرفونه
﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ (الشعراء ١٨) أى لقد ربيناك فينا وليدا

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء ١٩٧) أى ذلك آية لهم

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ (الشعراء ٢٢٥) أى إنك ترى ذلك

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا﴾ (النمل ٨٦) أى إنهم يرون ذلك

﴿أَو لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت ١٥١) أى ينبغي

أن يكفيهم ذلك

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت ١٦٧) أى

إنهم يرون

﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ (الروم ٨) أى ينبغي أن يفكروا

٦ - هذا الاختلاف العكسى بين المبني والمعنى خاص بالاستفهام الإنكارى ويشمل التراكمب الدالة على نفى التشابه بين أمرين من الأمور إذ يكون هذا النفى عن طريق جملة خالية من حروف النفى كما يلى:

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ (الرعد ١٩) أى

لا يستويان

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (القصص ٦١)

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة ١٨)

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا﴾ (الصفات ١١)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

(الجمانية ٢١) أى لا يستوون

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ (محمد ١٤)

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم ٣٥)

إما إذا كان المعنى رفضا للتساوي بين أمرين بواسطة همز التسوية و«أم» فإن الجواب المقدر لا يكون بطريق النفي وإنما يكون بإقرار أحد الخيارين كما في الشواهد التالية:

١ - ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (الفرقان ١٥) أى جنة

الخلد خير.

٢ - ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل ٥٩) أى الله خير .

٣ - ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾ (الصفات ١١) أى من خلقناه أشد منهم خلقا .

٤ - ﴿أَذَلِك خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ (الصفات ٦٢) أى ذلك خير نزلا .

٥ - ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ (الزمر ٩) أى الذي هو قانت خير ممن يتمتع بكفره قليلا .

٦ - ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (الزمر ٢٢) أى

الذي شرح الله صدره للإسلام خير من القاسية قلوبهم عن ذكر الله .

٧ - ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبِعُوا﴾ (الدخان ٣٧) أى قوم تبع خير منهم .

٨ - ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ (الملك ٢٢) أى من يمشى سويا أهدى .

٩ - ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ (النازعات ٢٧) . أى السماء أشد خلقا .

٧ - وقد يكون الاستفهام من أساليب التهيب والوعيد وذلك عند اشتمال جملة الاستفهام الإنكارى على قرينة تفيد ذلك كما فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾

(آل عمران ٩٨) فكون الله شهيدا على ما يعملون قرينة على إرادة تخويفهم من عقاب الله .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ

أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾ (النساء ٦٢) فقله «فكيف إذا أصابتهم مصيبة» يجعل

«إذا» ظرفية غير شرطية فتدونا المصيبة بذلك من الوقوع والمعنى: فكيف تكون حالهم عندما تصيبهم مصيبة يستحقونها بسبب ما قدمت أيديهم . فهذه هى قرينة الوعيد .

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ﴾
(الأنعام ٦) قرينة الوعيد هنا تتمثل فى الالتفات من الغيبة فى «يروا» و«قبلهم» إلى الخطاب فى «لكم» لأن الوعيد أقوى فى حال الخطاب.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾
(الأنعام ١٥٨) دل نص الآية هنا على استنفاد كافة الوسائل لهدايتهم فلم يهتدوا ولم يبق إلا أن تأتيتهم الملائكة بالعذاب الذى حقت عليهم به الكلمة ﴿مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الحجر ٨) ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان ٢٢) وقوله «أو يأتى ربك» فيه سخرية من قولهم «أو تأتى بالله والملائكة قبىلا» أما الوعيد الحقيقى فى قوله «أو يأتى بعض آيات ربك» بقرينة قوله تعالى بعد ذلك: «يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا» ثم رد نهاية الآية إلى بدايتها بقوله: «قل انتظروا إنا منتظرون».

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٩٧) ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأعراف ٩٧، ٩٨) إذا نظرنا إلى خلوة الآية من حرف النفى علمنا أن معناها على النفى حسب ما سبق من ملاحظات على معانى الاستفهام الإنكارى فىكون المعنى: إنهم لا يأمنون وهذه هى القرينة على الوعيد.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (التوبة ٧٨) أى إنهم يعلمون ذلك وإذا كان الأمر كذلك فإن الله سيعاقبهم على ما يغضبه من السر والنجوى.

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (يونس ١٠٢) هنا جاءت «إلا» بعد هل فحولتها إلى أداة نفى وأصبح المعنى «فلا ينتظرون إلا...» وتحول الاستفهام بهذا إلى مجرد النفى.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ (الكهف ٥٧)

أى لا أحد أظلم منه وقرينة الوعيد نسبة الظلم إليه بسبب الاعراض والغفلة عن سبق المعصية.

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾ (الكهف ١٠٢) قرينة الوعيد هنا أنهم ظنوا أن عبادة غير الله لا تنتهي بهم إلى العقاب وفوق ذلك أنهم اتخذوا «عباده» أولياء أى آلهة معبودة إذ لم يقل «أن يتخذوا من دونى أولياء» فالنص على اتخاذ العباد يجعل المخالفة أولى بالعقوبة.

﴿ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ (الأنبياء ٤٢) قوله «يكلؤكم» أى يحميكم وبذلك تكون قرينة الوعيد وذلك بالإضافة إلى استعمال كلمة الرحمن دون غيرها من الأسماء الحسنى لأن معناها المهيمن «الملك يومئذ الحق للرحمن». ويؤيد هذا الوعيد قوله تعالى فى الآية التالية: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَّابُونَ﴾ (الأنبياء ٤٣) فلا يمنع من بأس الله شىء.

﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ (الشعراء ٤٩) والمعنى هنا على تقدير همزة استفهام فيكون المعنى: «آمتم» أى ما كان ينبغي لكم أن تؤمنوا قبل أن آذن لكم. وقرينة الوعيد هنا عبارة «قبل أن آذن لكم» ثم ما يأتى بعد ذلك من قوله: «لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف...».

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (الشعراء ٢٠٤) أى لا ينبغي لهم ذلك وقرينة الوعيد ما يأتى بعد ذلك من قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴾ (الشعراء ٢٠٥ - ٢٠٧) أى اعلن أننا لو أبقيناهم مؤقتا على قيد الحياة سنين عددا ثم جاءهم هذا العذاب لما حال بقاؤهم مدة هذه السنين دون نزول العذاب بهم.

﴿ آمَنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ (الملك ١٦) انظر إلى المقابلة بين السماء والأرض وهى تفيد مقابلة أخرى بين تعالى مع العزة والاستفقال مع الهوان ثم انظر إلى السؤال عن الأمن وما فيه من معنى: «لا تأمنوا» وهذا هو الوعيد.

٨ - وقد يأتى الاستفهام الإنكارى للسخرية كما فى قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ (النساء ٤٩) أى لقد رأيت غرورهم بأنفسهم

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (النساء ٥٣) أى ليس لهم

نصيب من الملك فلا حق لهم من الاغترار والبخل.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء ٥٤) «أم» هنا بمعنى «بل»

فمعناها الاضراب وإن كان مبنى الجملة على الاستفهام الإنكارى وهنا تأتى السخرية.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ

بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ (التوبة ٥٢) أى أنتم لا تستطيعون أن تصيبونا إلا

ياحدى نتيجتين كلاتهما طيبة: النصر عليكم فيعذبكم الله بأيدينا أو الشهادة فيعذبكم بعذاب من عنده.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ

الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم ٧٧ - ٧٨) المقصود هنا هو فيما يقول صاحب البحر المحيط

العاصم بن وائل تقاضاه مسلم دينا فشرط عليه أن يكفر بمحمد فقال له لا أكفر بمحمد

حتى يميتك الله ويبعثك فقال العاصم فأت يوم البعث أقض لك دينك فسيكون لى

يومئذ مال وولد. وقيل هو الوليد بن المغيرة. وموضع السخرية قوله تعالى: «أطلع

الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا» فما كان الإنسان أن يطلع الغيب أو أن يتخذ عند

الرحمن عهدا.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ

السَّمْعَ وَآكُرَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ

يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء ٢٢١ - ٢٢٦)

هذه الآيات رد على دعوى الكفار أن القرآن تنزلت به الشياطين فالشاهد الذى بين

أيدينا يقول إن الشياطين لم تنزل بالقرآن على محمد وإنما تنزل الشياطين على الشعراء الأفاكين الآثمين الذين يلقون القول الكاذب أو ينسبون إلى أنفسهم وإلى من يريدون أمجاداً لا وجود لها ويدعون لأنفسهم مغامرات عاطفية كذبا وزورا فهم يقولون مالا يفعلون ولا يهتز لقولهم إلا الغاؤون.

﴿ أَلرَّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ

شَاهِدُونَ ﴾ (الصفات ١٤٩ - ١٥٠)

هذا في قوة قولك: ألهم ميزة على الله سبحانه وتعالى فيعقب البنات ويكون لهم البنون الذكور وهل خلق الله الملائكة إناثاً أثناء حضورهم فهم يتكلمون عن خبرة وتجربة. أى أن الأمر لا يعدو أن يكون زوراً وهذراً وضلالاً موروثاً. وفي هذا إشارة إلى آية أخرى تقول: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ (الزخرف ١٩) وآية أخرى تقول: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾ (الاسراء ٤٠) وثالثة تقول: ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (الصفات ١٥٣ - ١٥٤).

﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

(الحجرات ١٦) أى أتبشرون عملاً غير معقول إنكم إن فعلتم حكمتم على أنفسكم بالجهل والغرور.

﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (القمر ٤٣) تعقد الآية مقارنة

بين كفار مكة وقوم فرعون الذين جاءتهم النذر فلما عصوا وقع عليهم العقاب ومعنى هذا أنه كان ينبغي لكفار مكة أن يتعظوا بمصائر من هم خير منهم.

﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا

بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ

شُرَكَاءُ فُلْيَأتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿ (القلم ٣٧ - ٤٧) جاءت السخرية هنا عن طريق السير والتقسيم بذكر فروض مستحيلة الوقوع ونسبتها إلى موقفهم غير العقلانى .

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مَهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (المعارج ٣٦ - ٣٨) والآية تسخر من الذين تجمعوا حول النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن بجوار الكعبة وهم يسخرون ويقولون فى أصحابه إن دخل هؤلاء الجنة فسندخلها نحن وكان ذلك مرهون برغباتهم .

٩ - والاستفهام الإنكارى وسيلة من وسائل التوبيخ ولعل العلاقة بين لفظى التوبيخ والإنكار الذى ينسب إليه هذا النوع من الاستفهام تكاد تكون علاقة الترادف فالذى يوجه التوبيخ لا بد أن يحس الإنكار لما كان سببا لهذا التوبيخ . ومن شواهد التوبيخ من خلال الاستفهام ما يلى :

﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا﴾ (آل عمران ١٦٥)

﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف ٦٣ ، ٦٩)

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ (التوبة ١٦)

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة ١٩)

﴿أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ

جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ (العنكبوت ٢٩)

﴿أَنْفُكَا إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (الصفات ٨٦)

﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ (ص ٧٥)

﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر ٦٤)

﴿أَقْلَمَ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (الجاثية ٣١)

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد ٢٢)

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (الطور ١٥)

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم ٣٦)

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار ٦)

لقد سبق منذ قليل أن العلاقة بين التوبيخ والإنكار «تكاد» تكون علاقة الترادف ومعنى هذا أن الإنكار لا يرادف التوبيخ تماما لأن بينهما عموما وخصوصا مطلقا (inclusion) من حيث يختص التوبيخ باستعمال ضمير الخطاب (كما ينضح من الشواهد السابقة) ويعم الإنكار ضميري التكلم والغيبة فأما ضمير التكلم فمثل قول الشاعر في الاعتزاز بالعلم:

أشقى به جمعا وأجنيه ذلة إذا فاتبعا الجهل قد كان أحزما

ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نُزَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ (الشعراء ١٨)

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ (يس ٦٠)

﴿أَتَدَّأ مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الصفات ١٦)

﴿أَنَا لَنَارِكُوا آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (الصفات ٣٦)

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (الصفات ٥٨ - ٥٩)

﴿أَتَّخَذْنَاَهُمْ سَخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (ص ٦٣)

﴿مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر ٤١)

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ (الزخرف ٢١)

﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ (ق ١٥)

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم ٣٥)

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ (المرسلات ١٦)

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (المرسلات ٢٥)

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخْرَةً﴾ (النازعات ١١)

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح ١)

وأما ضمير الغيبة فاستعماله في الإنكار ربما كان أكثر من ذلك وقد سبق الكثير من صور استعماله فيما ورد من الشواهد فكان يمكن أن نحيل إلى هذه الشواهد السابقة ولكن الأيسر أن نأتى هنا ببعض الشواهد على استعمال ضمير الغائب في الإنكار:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ (آل عمران ٨٣)

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ (المائدة ٥٠)

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ (الأعراف ١٩١)

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ (التوبة ٧)

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ (التوبة ١٢٦)

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ (يونس ٢)

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ (النحل ٣٣)

﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ (الأنبياء ٢١)

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ (٥٥) نَسَارِعٍ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا

يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون ٥٥ - ٥٦)

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ (النور ٥٠)

﴿أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ﴾ (الشعراء ٢٠٤)

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت ٢)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ (العنكبوت ٤)

﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ (سبا ٨)

﴿أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ﴾ (الصفات ١٧٦)

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر ٣٦)

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف ٣٢)

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ (محمد ١٨)

﴿آتَوَّصُوا بِهِ﴾ (الذاريات ٥٣)

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ (القمر ٤٤)

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (القلم ٤٧)

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (المعارج ٣٦)

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة ٣٦)

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (المطففين ٤ - ٥)

﴿فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ﴾ (الغاشية ١٧)

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (البلد ٥)

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق ١٤)

والاستفهام الإنكارى وسيلة محاجة وإقناع ويشمل ذلك نوعين من الأدلة هما الأدلة العقلية والأدلة الحسية. فالأدلة الحسية تلفت الأنظار إلى الظواهر الكونية لاستخراج العبرة منها والاستدلال على قدرة الله سبحانه وتعالى وهو الذى خلق كل شىء بقدر وصوره بحسب حكمة بالغة. فمن ذلك ما نراه فى الشواهد التالية:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ

صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ (النور ٤١)

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ

خِلَالِهِ﴾ (النور ٤٣)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء ٧)

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الروم ٨)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ

وَأَنفُسُهُمْ﴾ (السجدة ٢٧)

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سبا ٩)

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ (الأحقاف ٤)

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (الواقعة ٥٨ - ٥٩)

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة ٦٣ - ٦٤)

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ (الواقعة ٦٨ - ٦٩)

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ (الواقعة ٧١ - ٧٢)

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (المالك ١٩)

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقَتْ﴾ (الغاشية ١٧)

لاحظ الاستفهام المشتمل على ذكر حاسة البصر في كل ما سبق من الشواهد. أما الأدلة العقلية فتقوم على إنكار التقاء أمرين متعارضين بحكم البديهة إذ لا يمكن أن يحكم العقل بالتقائهما كما في الشواهد التالية:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ (البقرة ٢٨)

﴿لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ (آل عمران ٦٥)

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ (النساء ٢١)

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ (النساء ١٤٧)

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ (الأعراف ١٩١)

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ (الأنبياء ٢٤)

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء ١٩٧)

﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ

بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهُ﴾ (النمل ٦٠)

﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ

حَاجِزًا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهُ﴾ (النمل ٦١)

﴿أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ

مَعَ اللَّهُ﴾ (النمل ٦٢)

﴿أَمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهُ قُلْ

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل ٦٤)

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يس (٨١)

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات ٨٦ - ٨٧)

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا

فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (غافر ٢٨)

وقد يأتي الدليل العقلي على صورة السير والتقسيم كما في سورة الطور من

قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنْ

الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (الطور ٣٠ - ٣١)

- ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الطور ٣٢)
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) فليأتوا بحديث مثله إن كانوا
- صادقين ﴿(الطور ٣٣ - ٣٤)
- ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور ٣٥)
- ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الطور ٣٦)
- ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ (الطور ٣٧)
- ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (الطور ٣٨)
- ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ (الطور ٣٩)
- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (الطور ٤٠)
- ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (الطور ٤١)
- ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (الطور ٤٢)
- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الطور ٤٣)
- ﴿أَفْتَمَارُوهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ (النجم ١٢) (إنكار للمراء مع وقوع الرؤية)

ملاحظات على استعمال الاستفهام بفعل الرؤية

١ - قد يحذف جواب الشرط بعد «أرأيتم» فيقدر بالاستعانة بدليل الحذف الذي في آخر الجملة مثل:

أ - «قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينه من ربي ورزقني منه رزقنا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه». التقدير: أكنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه والمعنى العام: «ياترى»؟ على معنى الإنكار.

ب - «قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فأمن واستبكرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين». التقدير: «أكان الله يهدي القوم الظالمين» والمعنى العام: «ياترى»؟ على معنى الإنكار وهذا التقدير شبيه بما فى سورة يس: «وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين» أى: وما تأتيتهم من آية إلا أعرضوا عنها.

٢ - إذا كان الاستفهام بفعل الرؤية متبوعاً بجملة استفهامية كان معنى الاستفهام «ياترى» على معنى الإنكار والمستفهم عنه مضمون الجملة المتأخرة كما يتضح مما يلى:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم ٧٧ - ٧٨).

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان ٤٣).

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية ٢٣).

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ (النجم ٣٣ - ٣٥).

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق ٩ - ١٤).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأنعام ٤٠).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام ٤٧).

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴾ (الأنعام ٤٦).

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يونس ٥٠).

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (يونس ٥٩).

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْكُمْ مَوْتًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (هود ٢٨).

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ (هود ٦٣).

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ﴾ (القصص ٧١).

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ (القصص ٧٢).

﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴾ (الزمر ٣٨).

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت ٥٢).

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴾ (النجم ١٩ - ٢١).

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الواقعة ٥٨).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ

أَلِيمٍ ﴾ (الملك ٢٨).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ (الملك ٣٠).

٣ - إذا جاء فعل الرؤية وبعده جملة خبرية «مثبتة أو منفية أو مؤكدة» أو فعلها أمر كان معنى الاستفهام بالرؤية «هل تعلم» وكان هذا الاستفهام وسيلة لتأكيد الجملة الخبرية في آخر الكلام كما يلي:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا

كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ (الشعراء ٢٠٥ - ٢٠٧).

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ (الكهف ٦٣).

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ (الماعون ١ - ٢).

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِاحْتِسَابٍ ذُرِّيَّتَهُ لِأَ

قَلِيلًا ﴾ (الإسراء ٦٢).

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا

رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الشعراء ٧٥ - ٧٧).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ

لَهُمْ شَرِكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ (فاطر ٤٠).

٤ - إذا سبق فعل الرؤية بلو وتبعته إذ فالمعنى على التعجب كما في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنعام ٢٧) أى ما أسوأ حالهم حينئذ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام ٣٠).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ (الأنعام ٩٣).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا

عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال ٥٠).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (السجدة ١٢).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (سبأ ٣١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ (سبأ ٥١).

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (البقرة ١٦٥)

٥ - قد يأتي الاستفهام بفعل الرؤية وبعده أن المصدرية فيكون الاستفهام الإنكاري منصبا على مضمون المصدر المؤول ويكون معنى فعل الرؤية هو العلم كما يلي:

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء ٣٠)

«أى ألم يعلموا».

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (يس ٧٧).

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (البقرة ١٦٥)

«الاستفهام مسلط على أن دون إذ»

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ (الأعراف ١٤٨).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الرعد ٤١).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ

مِثْلَهُمْ﴾ (الإسراء ٩٩).

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ (النمل ٨٦).

﴿أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت ٦٧)

﴿أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الروم ٣٧).

﴿أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ (السجدة ٢٧).

﴿أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ (يس ٧١).

﴿أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (فصلت ١٥).

﴿أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهَا بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف ٣٣).

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ

يَذْكُرُونَ﴾ (التوبة ١٢٦).

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (طه ٨٩).

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الأنبياء ٤٤).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ (لقمان ٣١).

٦ - وقد تأتى «كم» أو «كيف» فى مكان «أن» فىكون الإنكار منصبا على الكمية أو على الكيفية نحو:

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ (الانعام ٦).

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (يس ٣١).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (الفيل ١).

﴿أَو لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (العنكبوت ١٩).

٧ - فإذا عدّى فعل الرؤية بحرف الجر «إلى» كان المعنى على الرؤية البصرية كما فى قوله تعالى :

﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ (الحشر ١١).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (النحل ٤٨).

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ (النحل ٧٩).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء ٧).

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سبأ ٩).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ (الملك ١٩).

والأمر كذلك عند إرادة تأكيد الخبر فكأنه العيان كما فى قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ ائْتِنَا مَلَكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة ٢٤٦).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (البقرة ٢٥٨).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ (البقرة ٢٤٣).

الجنس الخلقى في تعاليم القرآن الكريم

لم تكن الدعوة إلى الإسلام مقصورة على مجرد الإيمان الذي وقر في القلب وإنما كانت حريصة على أن يصدق العمل هذا الإيمان. ولم تكتف الدعوة بالعمل في مجال العبادة بل امتدت إلى حقل الأخلاق فدعت إلى حسن الخلق واستهجنت سوء السلوك. وكان مما استهجنته الدعوة ما نددت به آيات الكتاب الكريم من العناد والمكابرة والمحال والبطر والإضلال والنفاق ونقض المواثيق والكذب والمكر والمكيدة وتأخر الندم على سوء العمل إلى غير ذلك من مذموم الخصال. فأما العناد فكان مجاله الإصرار على الكفر والاستكبار والبغى وما إلى ذلك فمن ذم الإصرار على الكفر ما تعبر عنه الآيات الكريمة التالية:

- ١ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة ٦)
- ٢ - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة ٥٥)
- ٣ - ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة ٩٣)
- ٤ - ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام ٣٣)
- ٥ - ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف ١٩٣)
- ٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس ٩٦ - ٩٧)

٧ - ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس ١٠)

٨ - ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ أَنْ تُعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنِّي

قَبْلِي﴾ (الأحقاف ١٧)

٩ - ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (العاديات ٦ - ٧)

ومن الآيات التي تندد بالاستكبار قوله تعالى:

١ - ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا

تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة ٨٧)

٢ - ﴿قَالَ لَنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء ٢٩)

٣ - ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ (الشعراء ٤٩)

٤ - ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف ٣١)

فالاستكبار الأول من بنى اسرائيل والثانى والثالث من فرعون فى مواجهة موسى
أولا والسحرة الذين آمنوا ثانيا والاستكبار الأخير جاء من كفار قريش إذ رأوا محمداً
أقل قدرا من أن ينزل عليه القرآن.

أما المكابرة فهي إصرار المرء على إدعاء ما يعتقد أنه باطل فهي نوع آخر من
العناد ولكنه عناد ضد الاقتناع الشخصى أى ضد النفس. وقد جاء هذا النوع من
المكابرة من مصادر مختلفة أحدها كفار قريش والآخر يهود المدينة وما حولها من
القرى والمنافقين من سكانها العرب. فمن مكابرة المنافقين سواء من أهل مكة أم من
أهل المدينة ما نراه فى قوله تعالى:

١ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَا لَيْتَ بِنَا لَوْلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة ٨)

٢ - ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ (التوبة ٧٤)

أما كفار مكة فقد كابروا وادعوا ما ليس لهم كما تشير الآيات التالية:

٣ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة ١١)

٤ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ (البقرة ٢٠٦)

٥ - ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا

الْأَسْحَرُ مُبِينٌ﴾ (الأنعام ٧)

٦ - ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا

وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ (الأنعام ٢٥)

٧ - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (يونس ٣٩)

٨ - ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ (النحل ٣٨)

٩ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سبأ ٣١)

وتكشف الآية التالية عن مكابرة ابليس بل عن استكباره ورفضه أن يسجد لآدم:

١٠ - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٣٤)

١١ - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ (طه ١١٦)

واستكبر فرعون أيضا واستخف قومه فأطاعوه ولم يؤمن قومه إلا امرأته والرجل

المؤمن وتحده السحرة حين آمنوا برب موسى وهارون ويعلمنا القرآن الكريم أنه كذب

موسى وسخر من معجزات ربه.

١٢ - ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ (طه ٥٦)

وأنه زعم لنفسه صفة الألوهية وتوعد السحرة بعد إيمانهم برب موسى وهارون:

١٣ - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص ٣٨)

١٤ - ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ﴾ (الأعراف ١٢٤)

وأما اليهود فإنهم كابروا فى الحق:

١٥ - ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ (البقرة ٨٠)

١٦ - ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (البقرة ٨٩)

١٧ - ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقْرَبَانٍ

تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ (آل عمران ١٨٣)

١٨ - ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (المائدة ١٨)

١٩ - ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ (الأعراف ١٦٢)

والمقصود بالمِحَال الجدال والمحاجة بالباطل والاحتيال والكيد وكلها صفات اتصف بها منكرو الدعوة فى عهود النبوات المختلفة فعدها القرآن من سوء الخلق وندد بها وبمن اتصف بها كما نرى فيما يلى من آيات الله البينات:

١ - قتل أحد الاسرائيليين فى عهد موسى عليه السلام ولم يعترف قاتله بجرمه وتدارأ القوم فى هذه التهمة فأوحى الله إلى موسى أن القوم لو ذبحوا بقرة وضرب جثمان القتيل بذيلها فإن الله سيبعثه ليقول من الذى قتله وتقص الآيات (٦٧ - ٧٣) قصة المحال والمحاكة التى ارتكبتها قوم موسى قبل أن يذبحوا هذه البقرة:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا

لَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمَهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ
فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿البقرة ٦٧ - ٧٣﴾

٢ - ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿البقرة ١١١﴾

٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أبعثْ لَنَا
مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا
أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا
قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿البقرة ٢٤٦﴾

٤ - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ
بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿آل عمران ٦٥﴾

٥ - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ
مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ ﴿النساء ١٥٣﴾

٦ - ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿الأنعام ٨٠﴾

٧ - ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ﴾ ﴿الأنفال ٦﴾

٨ - ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (الحجر ١٤ - ١٥)

٩ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل ٣٥)

١٠ - ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل ٩٤)

١١ - ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْبَيِّنَاتِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ (الأنبياء ٥)

١٢ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (الفرقان ٤)

١٣ - ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (الشعراء ٢٠١)

١٤ - ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر ٢٩)

١٥ - ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (ص ٤)

قلنا إن من صور المحال المكر السيء والكبد وهما مما يندد به القرآن الكريم لأنهما من سوء الخلق. وقد نرى في بعض آيات القرآن الكريم نسبة المكر إلى الله سبحانه عن طريق المشاكلة اللفظية كالذى نراه في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى ٤٠) إذ يصير دفع السيئة بالمشاكلة اللفظية سيئة وكذلك يصير إفساد المكر بالمشاكلة مكرًا ويتضح ذلك في الآيات الكريمة التالية:

١ - ﴿وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران ٥٤)

٢ - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا
بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنعام ١٢٣)

٣ - ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
اللَّهُ﴾ (الأنفال ٣٠)

٤ - ﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن
هَادٍ﴾ (الرعد ٣٣)

٥ - ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ (الرعد ٤٢)

٦ - ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ
الْجِبَالُ﴾ (إبراهيم ٤٦)

٧ - ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَآتَى اللّهُ بُيُوتَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن
فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النحل ٢٦)

٨ - ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِن
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النحل ٤٥)

٩ - ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل ١٢٧)

١٠ - ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل ٥٠)

١١ - ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ
يُورُ﴾ (فاطر ١٠)

١٢ - ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا
بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر ٤٣)

١٣ - ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (غافر ٤٥) .

١٤ - ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (نوح ٢٢)

والكيد شعبة من شعب المكر وهو تدبير يلحق الضرر بغافل يجهل ما يدبر له ومن ثم يقع فى أشراكه فيكون ضحية له وقد ندد القرآن الكريم بالكيد والكائدين كما نرى فى الآيات التالية:

١ - ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ (آل عمران ١٢٠)

٢ - ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء ٧٦)

٣ - ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (الأعراف ١٨٣ والقلم ٤٥)

٤ - ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظَرُونَ﴾ (١٩٥) إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ

الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف ١٩٥)

٥ - ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال ١٨)

٦ - ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف ٢٨)

٧ - ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف ٥٢)

٨ - ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ﴾ (يوسف ٧٦)

٩ - ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ (طه ٦٠)

١٠ - ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا﴾ (طه ٦٤)

١١ - ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه ٦٩)

١٢ - ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء ٧٠)

١٣ - ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (الصافات ٩٨)

١٤ - ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر ٢٥)

١٥ - ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر ٣٧)

١٦ - ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (الطور ٤٢)

١٧ - ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (٣٩) ﴿وَلَّيْلٌ يَوْمَهُدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات ٣٩-٤٠)

١٨ - ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥) ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (الطارق ١٦)

١٩ - ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (الفيل ٢)

ومن سوء الخلق بطر النعمة والإساءة إلى المنعم ومجازاة الحسنة بالسيئة ولاسيما بعد أن يتضرع البطر إلى المحسن أن يحسن إليه فإذا أجابه وأحسن إليه أساء وتنكر للمحسن. ومن هذا القبيل ما نجده في الآيات الكريمة التالية:

١ - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة ٦١)

٢ - ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (يونس ١٢)

٣ - ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ (يونس ٢١)

٤ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم ٢٨)

٥ - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل ١١٢)

٦ - ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا... الخ﴾ (الكهف ٣٢)

٧ - ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ يُؤْتِ اللَّهُ آلِهَتًا مِنْ دُونِهِ﴾ (مريم ٧٧)

٨ - ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ... الخ﴾ (القصص ٧٦)

٩ - ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَا اللَّهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِذَا هُمْ يَشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت ٦٥)

١٠ - ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم ٣٣)

١١ - ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان ٣٢)

١٢ - ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر ٤٩)

١٣ - ﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعُوسُ قَنُوطٌ﴾ (٤٩) وَلَكِنْ أَدَقَّاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا

وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ (فصلت ٤٨ - ٥١)

١٤ - ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ (الزخرف ٥١)

١٥ - ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاَهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ (الطلاق ٨)

١٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ﴾ (الانفطار ٦ - ٧)

١٧ - ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْفَاحٌ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَعْتَفَىٰ﴾ (العلق ٦ - ٧)

وليس أكرم عند الله من الوفاء بالعهد والالتزام بالميثاق. وقد يكون العهد والميثاق بين العبد وربّه وقد يكون بين العبد والعبد وهو في الحالين واجب الرعاية. وقد أوصى القرآن الكريم بالمحافظة على العهد والميثاق كما في قوله تعالى يمتدح أهل الوفاء ويحضُّ عليه:

١ - ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٧٧)

٢ - ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ (المائدة ٧)

٣ - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ (النحل ٩١)

أما الذين ينقضون العهد والميثاق فإن الله سبحانه يتوعددهم بسوء الجزاء ويندد بهم ويوبخهم لأنهم لم يوفوا بما وعدوا ولأنهم نقضوا ما عقدوا ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴿ (النحل ٩٢) وتشهد
بذلك الآيات الكريمة التالية:

٤ - ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ (البقرة ٢٧)

٥ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿ (البقرة ٨٣)

٦ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴿ (البقرة ٩٣)

٧ - ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ (البقرة ١٠٠)

٨ - ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴿ (البقرة ٢٤٩)

٩ - ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ
قَائِمًا ﴿ (آل عمران ٧٥)

١٠ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿
(آل عمران ٧٧)

١١ - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴿ (المائدة ١٣)

١٢ - ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿ (الأعراف ١٠٢)

١٣ - ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِالْغَوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿ (الأعراف ١٣٥)

١٤ - ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ (الأنفال ٥٦)

١٥ - ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّٰهَ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّٰلِحِينَ﴾ (٧٥)

فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ (التوبة ٧٥ - ٧٦)

١٦ - ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (النحل ٥٤)

وواضح أن أكثر هذه النصوص يتجه إلى بنى اسرائيل كما فى أرقام ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١١، ١٢، وذلك لكثرة ما نقضوا من المواثيق والعهود.

ولعل أسوأ الأخلاق النفاق لما يسببه من اختلال التوازن فى العلاقات الإنسانية ومن الخطأ فى الحكم على الأشخاص والأحداث ومن عدم القدرة على السير فى الاتجاه الصحيح إذ يصبح الإنسان السوى ضحية لنفاق الإنسان المنافق إلا أن يلهم الله السوى منهما إلى كشف نفاق المنافق قبل وقوع الخسائر السابقة الذكر وفى القرآن الكريم تعرية لظاهرة النفاق وتنديد بالمنافقين ووعيد لهم بالعذاب كما نرى فى الآيات التالية:

١ - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ

بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٧٦)

٢ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ

أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة ٢٠٤)

٣ - ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ

وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران ٧٢)

٤ - ﴿وَإِذَا لَقُوا لَقُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا

بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران ١١٩)

٥ - ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا

تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران ١٨٨)

٦ - ﴿وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ

يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (النساء ٣٨)

٧ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ

فَتِيلًا﴾ (النساء ٤٩)

٨ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ

يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ (النساء ٦٠)

٩ - ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي

تَقُولُ﴾ (النساء ٨١)

١٠ - ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى

مِنَ الْقَوْلِ﴾ (النساء ١٠٨)

١١ - ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ

كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء ١٤١)

١٢ - ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ

حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى﴾ (التوبة ١٠٧)

١٣ - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جرمَ أَنَّ

لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ (النحل ٦٢)

١٤ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ

فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿ (الحج ١١)

١٥ ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿ (النور ٤٧)

١٦ - ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ (العنكبوت ١٠)

١٧ - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ (الحشر ١١)

١٨ - ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون ١ - ٣)

والنفاق في طبيعته كذب. والكذب من آيات النفاق كما قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائمن خان». ولقد جاء رجل يسأله أن يدلّه على ما يحول بينه وبين المعاصي فيكون سببا في دخوله الجنة فقال: «لا تكذب». ولقد جاء ذم الكذب والنهي عنه في القرآن الكريم في كثير من المواضع كما تشهد الآيات التالية:

١ - ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة ١٠)

٢ - ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران ٧٨)

٣ - ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ (الأنعام ٢١)

٤ - ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام ٢٤)

٥ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام ٩٣)

٦ - ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام ١٤٤)

٧ - ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ (الأنعام ١٥٧)

٨ - ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأعراف ٣٧ - يونس ١٧)

٩ - ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف ٧٧)

١٠ - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ (النحل ٦٢)

١١ - ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل ١٠٥)

١٢ - ﴿وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ﴾ (طه ٦١).

١٣ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ (العنكبوت ٦٨)

١٤ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الزمر ٣)

١٥ - ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ (الزمر ٣٢)

١٦ - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ (الزمر ٦٠)

١٧ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر ٢٨)

١٨ - ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد ٢١)

١٩ - ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ

الْقَوْلِ﴾ (محمد ٣٠)

٢٠ - ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ﴾ (المجادلة ١٦)

٢١ - ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي

ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك ٩)

٢٢ - ﴿نَاصِيَةٌ كَازِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾ (العلق ١٦)

وفى الكذب ضلال وإضلال لأن الكذاب ضال يضل سامعه عن الحقيقة ويسلك به طريقا بعيداً عن الحق. وقد يكون الكذب كذبا على النفس إذ يتصور الكاذب أنه صادق أو يزعم ذلك لنفسه وهو يعلم أنه كاذب وقد يكون كذبا على الغير وفى كلتا الحالتين ينتهى الكذب إلى الضلال والإضلال. ولقد ندد القرآن الكريم بالضالين المضلين فى الكثير من الآيات كما يلى:

١ - ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

ظَالِمُونَ﴾ (البقرة ٥١)

٢ - ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ

السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة ٥٩)

٣ - ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

ظَالِمُونَ﴾ (البقرة ٩٢)

٤ - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (البقرة ١٠١)

٥ - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْثِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ

أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ (البقرة ١٨٨)

٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن

تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء ٢٩)

٧ - ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا

لِشُرَكَائِنَا﴾ (الأنعام ١٣٦)

٨ - ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا

يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف ١٤٨)

٩ - ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا

عُوجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (إبراهيم ٣)

١٠ - ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُم وَإِلَهُ مُوسَىٰ

فَنَسِيَ﴾ (طه ٨٨)

١١ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ (الحج ٣)

١٢ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (الحج ٨)

١٣ - ﴿وَلَئِن أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (المؤمنون ٣١)

١٤ - ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون ٣٧)

١٥ - ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ (النمل ٤٦)

١٦ - ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا

يُصْلِحُونَ﴾ (النمل ٤٨)

١٧ - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ

السَّمَوَاتِ﴾ (غافر ٣٦)

١٨ - ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ (الزخرف ٢٠)

إن الله سبحانه وتعالى واسع المغفرة وشديد العقاب وإن التائب عن الذنب من أى نوع مما سبق قد يستحق المغفرة إذا أحسن توقيت التوبة فتاب في وقت هو مستطيع أن يستمر في اقتراف ذنوبه والتمسك بما كان له من سوء الخلق وقد يستحق العقاب إذا كانت توبته بعد نفاذ الفرصة بوقوع مصيبة الموت فأما التائب الأول الذي ندم قبل فوات الآوان فإن الله سبحانه يعده بالمغفرة بقوله تعالى:

١ - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ

رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل ١١٩)

أما الندم عند انقضاء فرصة التوبة فإن الله سبحانه لا يقبله إلا إذا شاء بل يندد به كما في الآيات التالية:

١ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ (الأنعام ٣١)

٢ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ﴾ (يونس ٩٠)

٣ - ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ (يوسف ٨٠)

٤ - ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (يوسف ٩١)

٥ - ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ (إبراهيم ٤٤)

٦ - ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ (طه ٩٦)

٧ - ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧)
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء ٨٧ - ٨٨)

٨ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ﴾ (المؤمنون ٦٤)

٩ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُعْتَبُونَ﴾ (المؤمنون ٩٩ - ١٠٠)

١٠ - ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٠٧) قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون ١٠٦ - ١٠٨)

١١ - ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان ٢٧ - ٢٩)

١٢ - ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا

فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿السجدة ١٢ - ١٣﴾

١٣ - ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ

عَرِيضٍ ﴿فصلت ٥١﴾

١٤ - ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ

فَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿الأحقاف ٣٤﴾

١٥ - ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿الفجر ٢٤﴾

الدعوة إلى محاسن الأخلاق

من المعروف أنه لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب وإذا كانت الصلاة بحكم معناها اللغوي والشرعي هي الدعاء فإن الجملة الدعائية الوحيدة في الفاتحة هي قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿الفاتحة ٦﴾ أما ما سبقها فهو الحمد وأما ما تلاها فهو وصف الصراط وذكر خصائصه. والمعروف من معنى الصراط أنه الطريق الذي يسلكه المرء فينتقل به من نقطة إلى أخرى فإذا تعرج هذا الطريق أو تحذب استغرق سلوكه زمنا أطول من الزمن الذي يستغرقه سلوكه لو استقام. فإذا كان الطريق يؤدي إلى رضوان الله فإن استقامته مطلوبة ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿الجن ١٦﴾ والمقصود بالاستقامة حسن القصد وإحسان السلوك. وقد دعا القرآن إلى حسن السلوك على المستوى الفردي والاجتماعي في حشد من الآيات الكريمة ربما كان أكثر عددا من آيات الأحكام الشرعية مما يدل على أهمية حسن الخلق في الدعوة الإسلامية. انظر إلى قوله تعالى:

١ - ﴿اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴿البقرة ٤٤﴾

٢ - ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ

حَلِيمٌ ﴿البقرة ٢٦٣﴾

٣ - ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران ١٠٣)

٤ - ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران ١٥٩)

٥ - ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (آل عمران ١٨٨)

٦ - ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء ٨)

٧ - ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء ٣٢)

٨ - ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء ٥٤)

٩ - ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ (النساء ٨٥)

١٠ - ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء ٨٦)

١١ - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (النساء ٩٤)

١٢ - ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (النساء ١٠٨)

١٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ﴾ (المائدة ١٠١)

١٤ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة ١٠٥)

- ١٥ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (الأنعام ٩٣ - الأعراف ٣٧)
- ١٦ - ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام ١٠٨)
- ١٧ - ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف ٥٦)
- ١٨ - ﴿سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَانفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف ١٧٧)
- ١٩ - ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ (الأنفال ٦)
- ٢٠ - ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال ٢٥)
- ٢١ - ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال ٤٦)
- ٢٢ - ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ (التوبة ٧٩)
- ٢٣ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ﴾ (يونس ٩٠)
- ٢٤ - ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ (هود ١٢)
- ٢٥ - ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابِ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ (هود ١١٢)
- ٢٦ - ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجَنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف ٣٥)
- ٢٧ - ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ﴾ (يوسف ٧٧)
- ٢٨ - ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل ٨٣)

- ٢٩ - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾ (النحل ١١٦)
- ٣٠ - ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء ٧)
- ٣١ - ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ (الإسراء ١٥)
- ٣٢ - ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء ٢٣)
- ٣٣ - ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء ٣٦)
- ٣٤ - ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء ٣٧)
- ٣٥ - ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف ٦)
- ٣٦ - ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف ٢٨)
- ٣٧ - ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف ٣٧)
- ٣٨ - ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (جعل نفسه غلاما وكان له غلام) (الكهف ٦٦)

٣٩ - ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف ٧٨)

٤٠ - ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ

إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (طه ٧٢)

٤١ - ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي

عِلْمًا﴾ (طه ١١٤)

٤٢ - ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ

مُبِينٌ﴾ (النور ١٢)

٤٣ - ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ

عَظِيمٌ﴾ (النور ١٦)

٤٤ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ

أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور ٢٧)

٤٥ - ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ

خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور ٣٠)

٤٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ

مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ

صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ

بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور ٥٨)

٤٧ - ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا

عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

إِخْوَانِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بِيُوتِ عَمَاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ
بِيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مِّمَّاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ
أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ (النور ٦١)

٤٨ - ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لُوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
لَّيْمٌ﴾ (النور ٦٣)

٤٩ - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان ٧٢)

٥٠ - ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى ٤٠)

٥١ - ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى ٤٣)

٥٢ - ﴿وَالَّذِي قَالَ لُوَاذِيهِ أَفِ لَكَمَا أتعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ
مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِئَانِ اللَّهَ وَيَلُوكَ آمِنَ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأحقاف ١٧)

٥٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ (الحجرات ٢)

٥٤ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحجرات ٤)

٥٥ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ
فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات ٦)

٥٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا

نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ
الاسْمُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿الحجرات ١١﴾

٥٧ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا
وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴿الحجرات ١٢﴾

٥٨ - ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿الرحمن ٦٠﴾

٥٩ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَّجَرَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ
الرَّسُولِ وَتَتَّجَرَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿المجادلة ٩﴾

٦٠ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ
لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿المجادلة ١١﴾

٦١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا
مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿الصف ٢ - ٣﴾

٦٢ - ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا
أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿المنافقون ١٠﴾

٦٣ - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿القلم ٤﴾

٦٤ - ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿عبس ١ - ٢﴾

٦٥ - ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿التكوير ٨ - ٩﴾

٦٦ - ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿الطففين ١﴾

٦٧ - ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢٠﴾ (الفجر ١٧ - ٢٠)

٦٨ - ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾ (الليل ١٨ - ٢١)

٦٩ - ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ (الضحى ٩ - ١٠)

٧٠ - ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَعْجَى ﴿٧﴾﴾ (العلق ٦ - ٧)

٧١ - ﴿أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ (التكاثر ١ - ٢)

إن الناظر في مضمون هذه الآيات الكريمة السابقة ليستطيع أن يرى اتجاهات ارشادية متعددة يمكن أن نفضلها على النحو التالي:

أولاً: آيات تحضُّ المؤمن على أن يبدأ بإصلاح نفسه كما في أرقام ١، ١٤، ٢٥.

ثانياً: آيات تبرز قدوة حسنة ينبغي للمؤمن أن يقتدى بها كما في أرقام ٤، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٦٣، ٦٩.

ثالثاً: آيات تبرز قدوة سيئة ينبغي للمؤمن أن يتجنب الاقتداء بها كما في أرقام ٥، ٨، ١٢، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٧، ٥٢، ٦٧، ٧٠، ٧١.

رابعاً: توجيهات للنبي ﷺ وللمؤمنين كما في أرقام ٢٤، ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٩، ٥٣، ٥٤، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٦٩.

خامساً: مبادئ أخلاقية عامة ينبغي للمؤمن أن يطبقها في حياته ليكون مؤمناً صالحاً كما في أرقام: ٢، ٣، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٦.

هذا ولسوف نرى عناية بهذه الأخلاق الفاضلة كل على حدة إذ يختص القرآن

الكريم هذه الأخلاق بالدعوة إلى كل منها حين يدعو إلى الصبر والعفو وحسن المعاملة والقناعة والأمانة والإتفاق في سبيل الله والعدالة وعفة اللسان والسماحة والوفاء بالعهد والتوكل على الله دون غيره والعفة وصدق الحكم كما يبيح للمسلمين الطيبات ويدعوهم إلى التوسط في السلوك والاستقامة وهلم جرا.

ليس الصبر فضيلة سلبية تتمثل في عدم المواجهة للمشكلة وإنما هو فضيلة ايجابية تتمثل في مقاومة الضغط النفسى الذى يأتى عن مؤثر خارجى من شأنه أن يدفع إلى المواجهة فما يزال الإنسان الصابر يقاوم هذا الدافع فلولا المقاومة كان ما يلحق به بسبب المواجهة أسوأ مما يحسه من ألم المقاومة. والقرآن الكريم يدعو إلى الصبر ويبشر الصابرين بنصر الله فى الدنيا ونعيمه فى الآخرة ويصف الصبر بأنه من عزم الأمور وأنه من صفات أولى العزم من الرسل. ومن شواهد ذلك قوله تعالى:

١ - ﴿وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة ١٥٥)

٢ - ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف ١٢٦)

٣ - ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف ٣٣)

٤ - ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد ٢٢)

٥ - ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل ١٢٧)

٦ - ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ (الكهف ٢٨)

٧ - ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان ١٧)

٨ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (غافر ٥٥)

٩ - ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فِيمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ (غافر ٧٧)

١٠ - ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ فَبَلَّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف ٣٥)

١١ - ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (الطور ٤٨)

١٢ - ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (القلم ٤٨)

١٣ - ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل ١٠)

١٤ - ﴿وَالْعَصْرُ ۝ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر ١ - ٣)

وفي العفو صبر على المذنب وتجاوز عن استحقاقه للعقوبة وصفح عما وقع منه وتنازل عن حق من عفا في التمسك بما من حقه أن يتمسك به. والعفو أيضا من شيم الكرام ومظهر من مظاهر التقوى ومدعاة لأن يمسك المذنب عن العودة إلى الذنب. وهو أخيرا من مكارم الأخلاق دون شك وحسبنا أن نعلم أن رسول الله ﷺ عفا عن أهل مكة يوم الفتح وكان قادرا على إلحاق العقوبة بهم أفراداً وجماعات. والقرآن الكريم يدعو إلى العفو في مواضع كثيرة كما تشهد بذلك آياته الكريمة التالية:

١ - ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (البقرة ١٠٩)

٢ - ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة ١٧٨)

٣ - ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة ٢٣٧)

٤ - ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران ١٣٤)

٥ - ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران ١٥٩)

٦ - ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا

قَدِيرًا﴾ (النساء ١٤٩)

٧ - ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة ١٣)

٨ - ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف ١٩٩)

٩ - ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ

الكَاذِبِينَ﴾ (التوبة ٤٣)

١٠ - ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى ٤٠)

١١ - ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التغابن ١٤)

والعفو من حسن المعاملة الذى يدعو إليه القرآن الكريم لأنه أعظم وسيلة من وسائل توثيق الروابط الاجتماعية وإشاعة الطمأنينة بين الناس وتوطيد ثقة الناس بعضهم ببعض. وإنما يكون حسن المعاملة بعطف القوي على الضعيف والغنى على الفقير والكبير على الصغير والبر بالوالدين وصلة الأرحام وأداء الحقوق ولين القول ثم يكون بإفشاء السلام وإعانة المكروبين ورعاية الآداب العامة بحيث لا يكون سلوك الفرد مؤذيا لمن حوله. وقد دعا الإسلام المؤمنين إلى حسن المعاملة وجاءت آيات القرآن الكريم لتحث الناس عليه كما تشهد الآيات التالية:

١ - ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران ١٥٩)

٢ - ﴿وَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ (النساء ٢)

٣ - ﴿وَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (النساء ٤)

٤ - ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِن آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء ٦)

٥ - ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (النساء ٨)

٦ - ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام ٥٢)

٧ - ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد ٢١)

٨ - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء ٢٣)

٩ - ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء ٢٤)

١٠ - ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ

كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (الإسراء ٢٦)

١١ - ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ (مريم ٤٧)

١٢ - ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه ٤٤)

١٣ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت ٨)

١٤ - ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ

اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الروم ٣٨)

١٥ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ

اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان ١٤)

١٦ - ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ﴾ (لقمان ١٥)

١٧ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ

وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف ١٥)

١٨ - ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ

فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ (الحشر ٩)

١٩ - ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى ٩ - ١٠)

والسماحة قمة من قمم حسن الخلق لأنها جماع الخصال الكريمة فهي تجمع بين الاعتدال والحكمة والموعظة الحسنة والدفع بالتي هي أحسن وخفض الجناح والجدال

بالحسنى وغفران السيئات فمن اجتمع له عناصر السماحة فهو على خلق عظيم. انظر إلى ما تدل عليه الآيات الكريمة التالية:

١ - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأعراف ٤٢)

٢ - ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل ١٢٥)

٣ - ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ (المؤمنون ٩٦)

٤ - ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء ٢١٥)

٥ - ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت ٤٦)

٦ - ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت ٣٤)

٧ - ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى ٤٣)

٨ - ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ (الجماعية ١٤)

٩ - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم ٤)

ومن أخلاق الإسلام الأمانة ونبذ الخيانة ولقد شدد الإسلام فى الدعوة إلى الأمانة التى هى من حسن المعاملة دون شك وما من مجتمع تشيع فيه الأمانة إلا ويشيع فيه الأمن والطمأنينة وحسن المعاملة واحترام النفس وإذا شاع الأمن فى بلد ولم يخف من دخله من العدوان عليه فذلك هو البلد الأمين وإذا حافظ المرء على ما أودع الناس عنده من شىء فذلك هو الأمين والمرء مسئول أن يودى الأمانات إلى أهلها سواء ما كان منها ماديا أم معنويا فعلى الحاكم أن يعدل وعلى من يكيل ألا يطفف وعلى من يبلغ رسالة أن يبلغها كما حملها. انظر الآيات التالية:

- ١ - ﴿فَإِنْ آمَنَ بِعُضُكُم بَعْضًا فليُؤدِّ الَّذِي أَوْثَمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ (البقرة ٢٨٣)
- ٢ - ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤدِّهِ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران ٧٥)
- ٣ - ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَأَيُؤدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ (آل عمران ٧٥)
- ٤ - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء ٥٨)
- ٥ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة ٨)
- ٦ - ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (الأنفال ٢٧)
- ٧ - ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف ٥١)
- ٨ - ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (أى آمن) (يوسف ٥٤)
- ٩ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون ٨ - المعارج ٣٢)
- ١٠ - ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء ١٠٧ - وغيرها)
- ١١ - ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل ٣٩)
- ١٢ - ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ (القصص ٢٦)
- ١٣ - ﴿وَيَلِّ لِلْمُطَفِّينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين ١ - ٦)
- ١٤ - ﴿وَالَّتِينَ وَالزَّيْتُونَ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (التين ١ - ٣)

والعفة فصيلة يدعو إليها القرآن الكريم ويجعلها من صفات المؤمن وسمات الإيمان سواء في ذلك عفة الفرج وعفة النظر وعفة اللسان. فأما عفة الفرج فقد تأتي الدعوة إليها في صورة مدح المستعفين كما في قوله تعالى:

١ - ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ (يوسف ٣٣)

٢ - ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (المؤمنون ٥ - ٦)

٣ - ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ (التحریم ١٢)

وقد تأتي بواسطة الأمر بالاستعفاف كما في قوله تعالى:

٤ - ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (النور ٣٣)

وأما عفة النظر فقد جاءت الدعوة إليها في صورة الأمر في قوله تعالى:

٥ - ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر ٨٨)

٦ - ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الاسراء ٣٦)

٧ - ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ ﴾ (طه ١٣١)

٨ - ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ
مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا
يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿النور ٣٠، ٣١﴾

أما عفة اللسان فقد اهتم القرآن الكري بالدعوة إليها أيما اهتمام لأن ارتكاب الإثم
بإهمالها أيسر من ارتكابه بإهمال العفة في المجالات الأخرى والإنسان أكثر تعرضا
للوقوع فيه منه للوقوع في غيره. من هنا نجد الآيات الداعية إلى عفة اللسان أكثر عددا
وتنوعا مما سبق من آيات الدعوة إلى العفة يقول الله تعالى:

٩ - ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (النساء ١٤٨)

١٠ - ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ

عِلْمٍ﴾ (الأنعام ١٠٨)

١١ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (الؤمنون ٣)

١٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ (النور ١١)

١٣ - ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور ١٢)

١٤ - ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ

عَظِيمٌ﴾ (النور ١٦)

١٥ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ﴾ (النور ١٩)

١٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ﴾ (النور ٢٣)

١٧ - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان ٧٢)

١٨ - ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (القصص ٤٦) (الآية خطأ)

١٩ - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا

وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ (الأحزاب ٥٨)

٢٠ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب ٧٠)

٢١ - ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ﴾ (فصلت ٣٤)

٢٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات ١)

٢٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات ٦)

٢٤ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾

(الحجرات ١١)

٢٥ - ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات ١٢)

٢٦ - ﴿وَكُنَّا نَحْوُ رُءُوسِ الْخَائِضِينَ﴾ (المدثر ٤٥)

قد يظن إنسان أن العفة فضيلة سلبية لأن مضمونها يقوم على مبدأ الامتناع، غير أن هذا الظن خطأ لأن هناك من الفضائل ما يمثل صراعا مع نزوع النفس إلى نزواتها ومن هذه الفضائل الصبر والعفة والقناعة وكلها يمثل انتصارا على النفس ولاشك أن الانتصار إيجابي لا سلبي.

بهذا نعلم أن القناعة من الفضائل الإيجابية. وقد دعا القرآن الكريم إليها ونهى عن الطمع والتغول والسعى إلى حيازة حطام الدنيا ونسيان ثواب الآخرة وأكل حقوق الناس وأكل الربا كما يبدو من الآيات الكريمة التالية:

١ - ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي
هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ
مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿البقرة ٦١﴾

٢ - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ ﴿البقرة ١٨٨﴾

٣ - ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلَاقٍ ﴿البقرة ٢٠٠﴾

٤ - ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ
الْمَسِّ ﴿البقرة ٢٧٥﴾

٥ - ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ ﴿آل عمران ١٤﴾

٦ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ ﴿آل عمران ٧٥﴾

٧ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴿آل عمران ١٣٠﴾

٨ - ﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿آل عمران ١٩٦ - ١٩٧﴾

٩ - ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿النساء ٣٢﴾

١٠ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴿الأنعام ١٥٢﴾

١١ - ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

نَصِيبٍ﴾ (الشورى ٢٠)

ومع الدعوة إلى القناعة دعوة أخرى إلى التوكل على الله الحى الذى لا يموت وفى ذلك توجيه للمطامع وجهة صحيحة بصرفها عن الإثم والعدوان إلى عبادة الله والرغبة فى فضله وكرمه ورضوانه لأنه سبحانه يحب المتوكلين. انظر إلى قوله تعالى:

١ - ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران ١٥٩)

٢ - ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ

يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران ١٧٣ - ١٧٤)

٣ - ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ

الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف ٨٩)

٤ - ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال ٢)

٥ - ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال ٦١)

٦ - ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة ٥١)

٧ - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (التوبة ١٢٩)

٨ - ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (يونس ٧١)

٩ - ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ (هود ٥٦)

١٠ - ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (هود ٨٨)

١١ - ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ (هود ١٢٣)

- ١٢ - ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (يوسف ٦٧)
- ١٣ - ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ (الرعد ٣٠)
- ١٤ - ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ (ابراهيم ١٢)
- ١٥ - ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل ٩٩)
- ١٦ - ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (الكهف ٢٤)
- ١٧ - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ (الفرقان ٥٨)
- ١٨ - ﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأحزاب ٤٨)
- ١٩ - ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى ١٠)
- ٢٠ - ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (المتحنة ٤)
- ٢١ - ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق ٣)
- ٢٢ - ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (الملك ٢٩)

ومن توكل على الله آمن بأن الله هو الرزاق وأنه خولنا ما بأيدينا من المال فالمال له يهبه ويخلفه ويثيب على انفاقه فى وجوه الخير ولا يريد له أن يكون دولة بين الأغنياء إذ جعل فيه حقا معلوما للسائل والمحروم وذى القربى والمسكين وابن السبيل دون أن يكون بذله مصحوبا بالمن والأذى والإكداء والاشتراط وما إلى ذلك من صور البخل. انظر إلى قوله تعالى:

- ١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة ٢٥٤)
- ٢ - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ (البقرة ٢٦١)

٣ - ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٢٦٢)

٤ - ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾ (البقرة ٢٦٣)

٥ - ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة ٢٦٥)

٦ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ (البقرة ٢٦٧)

٧ - ﴿إِن تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة ٢٧١)

٨ - ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة ٢٧٤)

٩ - ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران ٩٢)

١٠ - ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران ١٣٤)

١١ - ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ (آل عمران ١٨٠)

١٢ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون ٤)

١٣ - ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (النور ٢٢)

١٤ - ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (لقمان ٤)

١٥ - ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا

يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (محمد ٣٨)

١٦ - ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات ١٩)

١٧ - ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ

يُرَىٰ﴾ (النجم ٣٣ - ٣٥)

١٨ - ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد ٧)

١٩ - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد ١٠)

٢٠ - ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد ١١)

٢١ - ﴿وَالْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ (الحديد ١٨)

٢٢ - ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ

وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحديد ٢٣ - ٢٤)

٢٣ - ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر ٧)

٢٤ - ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (التغابن ١٧)

٢٥ - ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا

يَسْتَشْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)

فَتَادُوا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنْ اِغْدُوا عَلَيَّ حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَتَخَفْتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٤) وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ (القلم ١٧ - ٣٣)

٢٦ - ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُ عَلَيَّ طَعَامَ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة ٣٣ - ٣٧)

٢٧ - ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج ٢٤، ٢٥)

٢٨ - ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ﴾ (المدثر ٤٣ - ٤٤)

٢٩ - ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان ٨)

٣٠ - ﴿كَلَّا بَلْ لَأُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُونَ عَلَيَّ طَعَامَ الْمَسْكِينِ

وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ (الفجر ١٧ - ١٨)

٣١ - ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةٌ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا

ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (البلد ١٢ - ١٦)

٣٢ - ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (الليل ١٧ - ١٨)

٣٣ - ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا

سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿ (التكاثر ١ - ٨)

والاستقامة جماع الأخلاق الإسلامية كما يؤخذ من النص القرآني وحسب الاستقامة أن تكون ضد الإعوجاج ولا تلتقى مع أى من الزدائل التي سبق ذكرها في هذا العرض كالعناد والمكابرة والمحال والمكر السيء والبطر ونقض المواثيق والنفاق والكذب والضلال والإضلال فليس شيء من ذلك يمكن أن يلتقى مع الاستقامة. والاستقامة استقامة القصد وهذا هو معنى الحديث الشريف القائل: «إنما الأعمال بالنيات» فمن حسنت نيته فقد استقام قصده وإن جاءت النتيجة على غير ما قصد. ولقد دعا القرآن الكريم إلى الاستقامة فى الكثير من آياته الكريمة على نحو ما نرى فيما يلى:

- ١ - ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة ٦)
- ٢ - ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران ١٠١)
- ٣ - ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (النساء ٤٦)
- ٤ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء ١٣٥)
- ٥ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ (المائدة ٨)
- ٦ - ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام ١٥٣)
- ٧ - ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ (التوبة ٧)
- ٨ - ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسِكُمْ ﴾ (التوبة ٣٦)
- ٩ - ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ (هود ١١٢)

١٠ - ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾ (يونس ٨٩)

١١ - ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء ٩)

١٢ - ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ (الإسراء ٣٥)

١٣ - ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (مريم ٣٦)

١٤ - ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ (الروم ٤٣)

١٥ - ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (يس ٤)

١٦ - ﴿ يُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ (فصلت ٦)

١٧ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا

تَحْزَنُوا ﴾ (فصلت ٣٠)

١٨ - ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (الشورى ١٥)

١٩ - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴾ (الأحقاف ١٣)

٢٠ - ﴿ وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (الجن ١٦)

٢١ - ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ (التكوير ٢٨)

والعدالة أهم محور من محاور الاستقامة فعلى المرء أن يكون عادلا مع نفسه فلا يتركها لهواها ضد غيره فلا يجور فى حكمه عليه ولا فى البيع له والشراء منه ولا يبالغ فى الرد على الإساءة ولا يشهد الزور كل أولئك من مظاهر العدالة التى دعا القرآن الكريم إلى التثبيت بها والتحلّى بالتزامها كما نرى فى قوله تعالى :

١ - ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾ (النساء ١٣٥)

٢ - ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة ٨)

٣ - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام ٨٢)

٤ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس ٤٤)

٥ - ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ (النحل ١٢٦)

٦ - ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الإسراء ٣٥)

٧ - ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنَّصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ (الحج ٦٠)

٨ - ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان ٧٢)

٩ - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (فاطر ٧٢)

١٠ - ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ (ص ٢٦)

١١ - ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى ٤٠)

١٢ - ﴿وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى ٤١)

١٣ - ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ (الزخرف ٧٦)

١٤ - ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ (الجاثية ٢١)

١٥ - ﴿أَلَا تَرَى وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى﴾ (٣٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ

سَوْفَ يَرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ (النجم ٣٨ - ٤١)

١٦ - ﴿وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن ٩)

١٧ - ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ (الملك ٢٢)

١٨ - ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير ٨ - ٩)

١٩ - ﴿هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين ٣٦)

ولعل المحور الثاني من الاستقامة هو الوفاء بالعهد بدليل قوله تعالى: «فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم» إذ جعل سبحانه الوفاء بالعهد من دلائل الاستقامة فعبر عنه بلفظها ونسب نفسه سبحانه إلى الوفاء فقال: «ومن أوفى بعهده من الله» يقول تعالى:

١ - ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة ١٧٧)

٢ - ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران ٧٦)

٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة ١)

٤ - ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ (الأنعام ١٥٢)

٥ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ

أَحَدًا فَآتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ﴾ (التوبة ٤)

٦ - ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ

مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة ٦)

٧ - ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة ٧)

٨ - ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف ٢٣)

٩ - ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (الرعد ٢٠)

١٠ - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ

اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ (النحل ٩١)

١١ - ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء ٣٤)

١٢ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون ٨)

١٣ - ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح ١٠)

ومن الاستقامة التوسط وترك الغلو والتطرف ولقد دعا القرآن الكريم إلى التوسط وجعله من أحسن الأخلاق ونهى عن الغلو في الدين فقال: «يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم» وفي الحديث دعوة إلى الإيغال في الإسلام برفق وإلى أن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. وفيما يلي طائفة من الآيات الكريمة الداعية إلى فضيلة التوسط:

١ - ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا﴾ (البقرة ١٩٥)

٢ - ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة ٢٨٦)

٣ - ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ (النساء ١٢٩)

٤ - ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف ٣١)

٥ - ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ

طَائِفَةٌ﴾ (التوبة ١٢٢)

٦ - ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ

السَّيَّارَةِ﴾ (يوسف ١٠)

٧ - ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء ٢٦)

٨ - ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (الإسراء ٢٩)

٩ - ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ١١٠)

١٠ - ﴿وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (المؤمنون: ٦٢)

١١ - ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)

١٢ - ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧)

على أن للفظ «الوسط» ومشتقاته معنى آخر يرتقى بالوسطية فيمنحها معنى التفوق والفضل يشهد بذلك استعمال «الوسط» صفة مشبهة على وزن «البطل» و«الحسن» في قوله تعالى:

١٣ - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣)

أى جعلناكم أمة فضلى أو «خير أمة أخرجت للناس» وكذلك استعمال أفعال التفضيل من هذا الأصل الاشتقاقى فى قوله تعالى:

١٤ - ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ (البقرة: ٢٣٨)

أى الحسنى - وكذلك:

١٥ - ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ

تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ (المائدة: ٨٩)

١٦ - ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (القلم: ٢٨)

والمعنى فى الشاهدين الأخيرين: «من أحسن ما تطعمون» و«قال أفضلهم»

وإذا كان من الاستقامة ترك المنكرات فقد كافأ الله عباده المتقين بإباحة الطيبات فأحل لهم منها ما تحلوا به الحياة ولا يحس المؤمن معه بالحرمان. بل إن إباحة الطيبات ربما كانت مظهرًا من مظاهر التوسط بين الإباحة التامة والحرمان، وهكذا نجد القرآن الكريم يذكر فضل الله على عباده المؤمنين إذ أباح لهم الطيبات حين حرم

عليهم الخبائث . وهكذا نقرأ في كتاب الله آيات مثل :

١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى

عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة ١)

٢ - ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ

تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (المائدة ٤)

٣ - ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ

لَهُمْ﴾ (المائدة ٥)

٤ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبَّيَاتِ مَا أُحِلَّ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ (المائدة ٨٧)

٥ - ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا

اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة ٩٣)

٦ - ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام ١١٨)

٧ - ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام ١٤١)

٨ - ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ (الأنعام ١٤٢)

٩ - ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ (الأنعام ١٤٥)

١٠ - ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف ٣١)

١١ - ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل ٥)

١٢ - ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا

وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل ١٤)

١٣ - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا

خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل ٦٦)

١٤ - ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (النحل ٦٩)

١٥ - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذْبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى

اللَّهِ الْكُذْبَ﴾ (النحل ١١٦)

١٦ - ﴿وَالْبَدْنَ جَعَلْنَا مَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ (الحج ٣٦)

١٧ - ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِّلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ

لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى

الْفُلْكِ تَحْمَلُونُ﴾ (المؤمنون ١٩ - ٢٢)

١٨ - ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ

وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ

أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا

أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (النور ٦١)

١٩ - ﴿وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ
مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (فاطر ١٢)

٢٠ - ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ (يس ٣٣)

٢١ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (يس ٧١)

٢٢ - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس ٨٠)

٢٣ - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (غافر ٧٩)

٢٤ - ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا

تَرْكَبُونَ﴾ (الزخرف ١٢)

٢٥ - ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ

بِاسْقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (ق ٩ - ١١)

٢٦ - ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ

شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد ٢٥)

٢٧ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (التحریم ١)

٢٨ - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (الملك ١٥)

٢٩ - ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ

أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (النازعات ٣٠ - ٣٣)

أسلوب الدعوة في القرآن

أوضح ما نزل القرآن من أجله الدعوة والتشريع، ولقد جدد القرآن منهاج الدعوة بحدود الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن. فأما جانب الحكمة في الدعوة الإسلامية فكان بالحوار الهادئ وأما جانب الموعظة الحسنة فكان بالتذكير وضرب الأمثال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما جانب الجدل فكان بالحجاج وإيراد الأدلة الدامغة. ولقد اجتمع كل ذلك في القرآن الكريم. وسنورد إن شاء الله فيما يلي وصفا لأسلوب القرآن في كل جانب من هذه الجوانب مع الشواهد التي تشهد بصدق ما نقول:

أولا - الحوار في القرآن الكريم:

غاية الحوار القرآني رد العقل إلى التفكير المنظم الهادئ وبيان فساد موقف الخصم وقد يأتي الحوار على لسان أحد الأنبياء السابقين أو على لسان رجل صالح من غير الأنبياء أو بتوجيه قرآني إلى النبي ﷺ أن يقول قولا معيناً بنص آية من القرآن، وأكثر ما يكون ذلك للرد على قول قاله الكافرون أو على موقف غير منطقي من مواقفهم يتسم بالزيغ والضلال وفيما يلي طائفة من الشواهد على هذا الحوار والتعليق على كل شاهد منها على حدة بعد تصنيف هذه الشواهد بحسب أغراضها:

١ - التكذيب المباشر للدعوى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة ١١)

الرد: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ١٢)

ادعى هؤلاء المفسدون أنهم هم المصلحون وقصروا نفوسهم على الإصلاح فأكد

الرد نسبتهم إلى الفساد بأداة الاستفتاح و«إن» المؤكدين ثم زاد التأكيد بضمير الفصل فجمع على التوكيد ثلاث وسائل . ومثله ما فى الآية التالية من قوله تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ١٣)

٢ - قلب الدعوى :

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾

الرد: ﴿قُلْ لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات ١٧)

جاءوا يطلبون الاعتراف بفضلهم لدخولهم فى الإسلام فكان الرد عليهم أن الإسلام يتحقق بعمل ظاهر هو النطق بالشهادتين ولكن الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ولئن كنتم آمنتم وصدقتم فى دعواكم إن الفضل فى إيمانكم لله لأن تحويل القلوب بيده وليس الاعتقاد عملاً إرادياً يحمد به صاحبه .

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾

الرد: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ (التوبة ٧٤)

حلف المنافقون أنهم لم يشتموا رسول الله ﷺ فرد عليهم دعواهم وأضاف إلى ذلك أنهم كفروا بسبب قولهم وأنهم هموا بقتله فلم ينالوا منه شيئاً وسلط أداة التأكيد (لقد) على الفعل «قالوا» وعلى ما عطف عليه من أفعال .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾

الرد: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ (الأنعام ٨ ، ٩)

لم ير هؤلاء الكافرون أن البشر كفاء للنبوة أو الرسالة فقالوا: هلا أنزل الله ملكا مع هذا الرجل حتى يكون أهلا لانقيادنا لدعوته وهذا الأمر مردود عليه من جهتين .

أ - أن الله لا ينزل الملائكة إلا بالحق أى بما يحق من كلمة العذاب فلو أنزل ملكا لأهلك هؤلاء وقضى الأمر دون إبطاء .

ب - أن الملك لكونه جسما نورانيا إذا أنزله الله جعله فى صورة رجل فلو رأوه لرأوا رجلا فالتبس الأمر عليهم وظلوا يقولون لولا أنزل عليه ملك . وقد حول الله جبريل ذات مرة إلى صورة دحية الكلبي ورآه المؤمنون على هذه الصورة .

٣ - التعليق على قول الخصم :

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾

الرد: ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (النساء ١٥٣)

أراد أهل الكتاب أن يعجزوا النبي ﷺ فطلبوا إليه أن ينزل عليهم كتابا من السماء فجاء الرد عليهم بتذكيرهم بما وقع من أسلافهم ذات مرة حين طلبوا إلى موسى ما هو أكبر من مجرد كتاب ينزل من السماء فلقد طالبوه أن يريهم الله جهرة . ومعنى هذا الرد أن من عادة هؤلاء أن يطلبوا المستحيل للوصول إلى التعجيز ومن ثم يكون مطلبهم لا يستحق مجرد التفكير فى أمره .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ

فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾

الرد: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ

الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف ١١ ، ١٢)

زعم الكافرون أنهم أولى بالخير من المؤمنين وأنه لو كان القرآن وما يدعو إليه من الإسلام خيرا لما سبقهم الضعفاء والمستضعفون إليه بل إن الكافرين حين لم يهتدوا إلى الإيمان به قالوا عنه إنه «إفك قديم» وكيف يكون إفكا وهو مصدق لما فى

كتاب موسى من هدى ورحمة وقد جاء بلسان عربى مبين لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ويبشر المحسنين الذين آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله.

٤ - الإنكار على الخصم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾

الرد: ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة ١٧٠)

حين دعى هؤلاء إلى الإسلام قالوا إن التقاليد الاجتماعية والموروثات بديل عنه ونسوا أن التقاليد لا منطق لها وأنها تأتي عن التعارف لا عن التفكير المنظم فلا تعنى أن واضعيها كانوا عقلاء مهتدين. فإذا توارث هؤلاء الشرك عن آبائهم فليس معنى ذلك أن آباءهم كانوا راشدين فيما فعلوا وفيما تركوا من موروثات اجتماعية ومن ثم كان على هؤلاء ألا يضعوا التقاليد بازاء الدعوة إلى اتباع ما أنزل الله.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِي﴾

الرد: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (طه ٨٨، ٨٩)

قبض السامرى قبضة من التراب من أثر جبريل فنبذها ناشرا إياها على العجل الذهبى الذى صاغه فأخرج لقومه بذلك عجلا ضخما يخور كما تخور الثيران فقالوا أن هذا العجل إله لهم ولموسى فلم يكن المصريون يعبدون عجلا مثله فما الغرابة فى أن يكون هذا العجل إلهها أيضا؟ واغتر قومه بفعله فأمنوا بالعجل. هنا يرد عليهم القران غفلتهم وسوء تقديرهم للأمر فلقد كان عليهم أن يروا (من رأى الظنية) أن هذا العجل لا ينطق ولا يضر ولا ينفع ومن ثم لا يمكن أن يكون إلهها.

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾

الرد: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (مريم ٦٦، ٦٧)

تعود الإنسان على المعرفة عن طريق الحواس فإذا وصل بفكره إلى معلومات مجردة فإنه يبنى مقدماتها على معطيات الحواس ومن هنا كان التصديق بأمر الغيب

إيماناً بالقلب لا معرفة بالعقل لأن الغيب لا يمكن أن يبنى على مقدمات حسية. ولقد تعود الكفار على رؤية الأجساد تبلى بعد الموت ومن ثم كان الكلام عن البعث ضد ما تعلموه عن طريق الحواس لهذا تساءلوا منكرين صدق دعوى البعض. هنا يأتي الحوار القرآني بتذكيرهم بالنشأة الأولى بواسطة الإنكار أيضا وأنها كانت من لا شيء فأيهما أهون على الله الخلق من شيء أصابه البلى أم الخلق من لا شيء؟

٥ - السخرية:

﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَتِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾

الرد: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾

(الإسراء ٤٩ ، ٥٠) تشككوا في إمكان البعث بسبب بلى الأجساد فقال لهم إن الله قادر على بعثكم كيفما كنتم سواء عنده بعث العظام والرفات والحجارة والحديد والسموات والأرض والجبال أيما كنتم فالبعث ممكن وواقع.

٦ - الوعيد:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾

الرد: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا

كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة ٨١ ، ٨٢)

فرح القاعدون عن الغزو لتمكنهم من الجنوح إلى الراحة وتوقى معاناة القتال في القبيظ وتداعوا إلى عدم الخروج في الحر فرد عليهم القرآن بأنهم إنما توقوا أيسر الحرين وأن حر جهنم في انتظارهم فإذا ضحكوا الآن فإن ضحكهم قصير الأمد لكونه مؤقتا بتوقيت حياتهم الدنيا أما بعد ذلك فبكاء دائم في جهنم جزاء ما اقترفوا من إثم.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾

الرد: ﴿قُلْ لَا تَعْتَدِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة ٩٤)

عاد الرسول والمجاهدون من الغزو فجاء المخلفون ينتحلون الأعذار الملققة لتخلفهم
ففضحهم الله بأن أمر نبيه أن يرفض أعذارهم وألا يؤمن لهم أو يصدقهم وأن
يكشف لهم عن إخبار الله تعالى إياه بحقيقة أمرهم ثم أوعدهم بأن الله يعلم سرهم
ونجواهم وأن أعمالهم ستعرض عليه ويطلع عليها رسوله وسيحاسبون بها يوم
القيامة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

الرد: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ
ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٣٩) ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ
يَنْظُرُونَ﴾ (الأنبياء ٣٨ - ٤٠)

تساءل الكفار بشيء من التحدى عن وقت يوم القيامة فرد عليهم القرآن الكريم
بكيفية عذابهم يوم القيامة جاعلا الوعيد رداً على التحدى وفى حذف جواب لو من
إفادة التعميم ما يفهم منه أمران:

أ - شدة العذاب إلى درجة لا توصف.

ب - فرع المعذنين إلى درجة لا توصف.

ثم أضاف إلى ذلك ردا على السؤال عن التوقيت بجواب من جنسه وذلك قوله:
«بل تأتيتهم بغتة» وبشيء من أثر المفاجأة عليهم بقوله «فتبتهتهم فلا يستطيعون ردها»
وأكمل الوعيد بأنهم لا تأجيل لعذابهم «ولا هم ينظرون» وهذا شبيه بقوله تعالى:
﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (٥) ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٦) ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ (٧)
و﴿خَسَفَ الْقَمَرُ﴾ (٨) و﴿جُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٩) ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤْمِنُ أَيَّنَّ الْمَفْرُ﴾ (١٠) ﴿كَلَّا
لَا وَزَرَ﴾ (١١) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة ٥ - ١٢)

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾

الرد: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج ٤٧)

أراد الكفار تحدى النبي فطلبوا إليه أن يدعو ربه أن يعجل لهم العذاب فرد الله تعالى عليهم بأنه وعد بتعذيب الكافرين ولن يخلف وعده ولكن التوقيت إنما يكون بأيام الله لا بأيام الأرض فإذا طال الإمهال فذلك لا يعنى الإهمال.

٧ - الاعتذار:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾

الرد: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد ٧)

كذب الكافرون بالرسالة لأنها جاءتهم من طريق رجل نشأ بين ظهرا نبيهم فلم يروا له قدرة على الاتصال بالسماء فجعلوا شرط تصديقهم أن تنزل عليه آية من ربه فطلب الله من رسوله أن يرد عليهم بأنه ليس إلا منذرًا لهم أرسل إليهم ليهديهم شأنه وشأنهم كشأن الرسل وأقوامهم فهم جميعا بشر قد من الله عليهم بالرسالة أما الآيات فهي من عند الله إن شاء أنزلها وإن شاء لم ينزلها فهو وحده القادر على أن ينزل آية.

﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلُ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾

الرد: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ ﴾ (الرعد ٣٦)

فى كتب اليهود والنصارى نبوءة بظهور النبي العربى الذى يوحى إليه فلما ظهر محمد ﷺ كان تحقيقا لما فى كتبهم ولما نزل القرآن كان مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل وقد كان ذلك مبعث فرح لأهل الكتاب ولكن طوائف منهم ينكرون بعض ما نزل به القرآن لأنه يكشف ما صدر منهم من تحريف وتزييف لدعوة التوحيد التى دعا إليها موسى وعيسى حتى قالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وهكذا جاء الرد فى الآية على هذه الطوائف بأمر النبي ﷺ أن يقول لهم إن

دينه يأمر بعبادة الله وحده وإنكار أن يكون له شريك فإلى الله دعوته وإليه مرجعه يوم القيامة .

٨ - التنزية :

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾

الرد: ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة ١١٦)

نسبوا الولد إلى الله (سبحانه) فكان الرد عليهم تنزيه ذاته عن اتخاذ الولد لأن كل ما فى السموات والأرض إنما هو فى ملكه وطوع إرادته فما حاجته مع هيئته على العالمين جميعا إلى أن يتخذ ولدا كالذى نسبوا إليه؟

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾

الرد: ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾

(الأنبياء ٢٦ ، ٢٧)

قالوا إن الملائكة بنات الله (سبحانه) فنزه الله ذاته عن هذه الدعوى وأخبر أن الملائكة عباد من عباد الله أكرمهم الله وجعلهم من الصالحين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فلا يعضون أمرا إلا إذا أمرهم الله بامضائه .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ

نُفُورًا﴾

الرد: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾

(الفرقان ٦٠ ، ٦١)

هؤلاء الكفار طولبوا بالسجود للرحمن فتجاهلوا أنهم يعرفون المقصود بالرحمن فكان الرد عليهم أن فى عدم معرفتهم به اعتراف بالعمى وعدم الإدراك لأن من صنعه

سبحانه السماء ذات البروج والشمس والقمر فمن أنكر الشمس والقمر فقد اعترف بالعمى وعدم الإدراك.

٩ - الدعاء:

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾

الرد: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة ٩٨)

من الاعراب منافقون إذا انفقوا شيئاً في تجهيز غزوة أو في غرض إسلامي عام أحسوا مؤونة النفقة وتشكوا من الغرم وهم في الوقت نفسه يتلمسون من المسلمين عورة أو غفلة ليدخلوا إلى إيدائهم من خلالها فالله سبحانه وتعالى يدعو عليهم أن تكون نهاية الأمر عليهم سوءاً وخسرانا ويطمئن المؤمنون بأنه يسمع ما يقوله هؤلاء الاعراب ويعلم ما يبيتونه.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾

الرد: ﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ

يَشَاءُ﴾ (المائدة ٦٤)

نسب اليهود رب العزة إلى مالا يليق به من الصفات فألصقوا به الفقر تارة إذ قالوا «إن الله فقير ونحن أغنياء» (آل عمران ١٨١) ونسبوه إلى البخل تارة أخرى كما في هذه الآية وهكذا استحقوا لعنة الله وغضبه والدعاء عليهم أن تغل أيديهم وقد صدق الله العظيم إذ لا نعلم شعباً في هذا العالم أشدّ بخلاً من اليهود.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾

الرد: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة ١٢٧)

كان من دأب المنافقين العمل على التستر وراء المظهر الخادع الذي يعلن الإسلام ويسر الكفر ويتربص بالمؤمنين الدوائر وكانوا يحذرون أن تنزل بشأنهم سورة تنبئهم بما قلوبهم وهكذا كانوا دائماً على خوف أن يفتضح أمرهم فإذا ما أنزلت سورة من

القرآن اختلس بعضهم إلى بعض النظر خوف افتضاح تسللهم ثم انصرفوا عن رسول الله مصرين على ما فى قلوبهم من كراهية وبهذا استحقوا الدعاء عليهم أن يصرف الله قلوبهم عن كل خير بسبب عدم معرفتهم بمواقع الحق وهذا المعنى أوضح من جعل جملة «صرف الله قلوبهم» بدل تفسير للفعل «انصرفوا» لأن المطاوعة التى فى «انصرفوا» تعنى أن مفعول «الصرف» قادر على مقاومة وقوع الحدث فتجعل ما يدخر لهم من العذاب مستحقا لهم أما الإبدال والتفسير فيجعل الصرف قدرا من عند الله لا انصرافاً بقرار من عندهم يلامون عليه .

١٠ - تعدد أنواع الرد:

* ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾

الردود:

قلب الدعوى: ﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا

مِنْكُمْ﴾

وعيد: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة ٦١)

* ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾

الردود:

تكذيب: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

وعيد: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا

يَفْتَرُونَ﴾ (العنكبوت ١٢، ١٣)

* ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا

(١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ

يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾

الردود:

تكذيب: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾

تعليق: ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ (الاحزاب ١٢ - ١٤)

* ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾

الردود:

تعليق: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾

تعجيز: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ١١١)

* ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾

الردود:

تعجيز: ﴿قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

تعليق: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (يونس ٣٨ ، ٣٩)

* ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾

الردود:

تعليق: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾

وعيد: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة ٤٩)

* ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَّ اللَّهُ﴾

الردود:

تكذيب: ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

إنكار: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

توبيخ: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

سخرية: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾

تعجيز: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الصافات ١٥١ - ١٥٧)

* ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا﴾

الردود:

سخرية: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾

وعيد: ﴿سُكَّتْ بِشَهَادَتِهِمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ (الزخرف ١٩)

* ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾

الردود:

إنكار: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾

تعليق: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

(الزخرف ٣١، ٣٢)

ثانيا: التذكير وضرب المثل والأمر بالمعروف:

١- التذكير:

التذكير تنشيط الذاكرة وربط الانتباه بمذكور أو معهود معين. ووسيلة التذكير هنا

هى القرآن الكريم والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدٌ﴾

(ق ٤٥) ذلك بأن القرآن هو ديوان الدعوة الإسلامية (إن صح هذا التعبير) ففيه كل

الوسائل الموصلة إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن:
ولقد جاء التذكير بذات الله سبحانه وتعالى دون قيد نحو:

﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب ٢١)

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى ١٥)

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران ٤١)

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ (الأعراف ٢٠٥)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال ٢)

وقد يتطلب ذكره تقييداً بمناسبة خاصة نحو:

﴿وَأَنعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ (الأنعام ١٣٨)

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف ٢٤)

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا

هَدَاكُمْ﴾ (البقرة ١٩٨)

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة ٢٠٠)

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة ٢٠٣)

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٣٩)

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ (النساء ١٠٣)

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (المائدة ٤)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأنفال ٤٥)

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا

صَوَافٍ﴾ (الحج ٣٦)

وقد يكون المطلوب ذكره نعمة أنعمها الله على عباده مجملة تحت اسم النعمة أو مفصلة ببيانها نحو:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (مريم ٦٧)

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ (المائدة ١١٠)

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَىٰ

الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة ١٢٢)

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (البقرة ٢٣١)

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ (آل عمران ١٠٣)

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ (المائدة ٧)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ

فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ (المائدة ١١)

﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ (المائدة ٢٠)

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (الأعراف ٦٩)

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾ (الأعراف ٧٤)

﴿فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف ٧٤)

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾ (الأعراف ٨٦)

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ

فَأَوَّكِمُ﴾ (الأنفال ٢٦)

وقد أمر النبي ﷺ أن يذكر بالقرآن وذلك في قوله تعالى:

﴿وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الأنعام ٧٠)

﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات ٥٥)

﴿فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (الطور ٢٩)

﴿فَذَكَرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الأعلى ٩)

﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (الغاشية ٢١)

ب - ضرب المثل :

يعد ضرب المثل في أيامنا هذه من أنجح وسائل التربية وضرب المثل قد يكون عملياً بالقدوة الصالحة وقد يكون قولياً. فأما القدوة فقد أدب الله نبيه فأحسن تأديبه ووجهه الخلق العظيم والرافة بالمؤمنين ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران ١٥٩) ولقد أصبحت أعماله وسلوكه الخاص سنة عملية مأثورة يطلب إلى المسلمين أن يقتدوا بها وهكذا كان محمد ﷺ المثل الأعلى للمؤمنين وهو مثل عملي ساقه الله لعباده لمن شاء منهم أن يستقيم.

أما الأمثال القولية فقد تعددت طرق التعبير عنها في القرآن الكريم كالتشبيه العادى الذى أداته الكاف وكلفظ «مثل» مقترنا بالكاف (كمثل) أو بدونها أو بعبارة تفيد ضرب المثل كعبارة «ضرب الله مثلاً» أو «ضرب مثل» بالبناء للمجهول أو مثل كذا ككذا أو كمثل كذا أو استعمال مشتقات مادة (ش ب ه) الخ. والقرآن ثرى بظاهرة ضرب الأمثال يتخذها وسيلة للدعوة والتهذيب والزراية بأعمال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين. وهكذا يبدو التمثيل في القرآن في صور شتى على النحو التالى:

الصورة الأولى: ضرب الله مثلاً كذا وكذا هل يستويان؟ أو نحو ذلك.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ

يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل ٧٥)

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ
أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل ٧٦)

الصورة الثانية: ضرب الله مثلا لكذا كذا:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ
مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحریم ١٠)

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي
الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ
الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا
الْقَانِتِينَ ﴾ (التحریم ١١ ، ١٢)

الصورة الثالثة: مثل كذا كمثل كذا:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي
ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ
ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ
بِالْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة ١٧ - ١٩)

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ
مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٦١)

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢٦٤)

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة ٢٦٥)

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (آل عمران ٥٩)

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمَا وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (آل عمران ١١٧)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت ٤١)

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة ٥)

الصورة الرابعة: مثل كذا ككذا:

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (هود ٢٤)

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (ابراهيم ٢٤ ، ٢٥)

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثْبِتُ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ ﴾ (ابراهيم ٢٦)

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ (الكهف ٤٥)

الصورة الخامسة مثل كذا ككذا = أمثل كذا ككذا:

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرِ
طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾
(محمد ١٥) أى أمثل المتقين فى هذه الجنة كمن هو خالد فى النار؟

الصورة السادسة: كذا كمثل كذا:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فُتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا
وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ
الْعُرُورِ ﴾ (الحديد ٢٠)

﴿ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ
أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ
نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ
بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿الحشر ١١ - ١٧﴾

الصورة السابعة - مثل كذا = صفة كذا:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد ٣٥)

ج - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لعل أوضح ما يمثل اعتماد الدعوة على الأمر بالمعروف قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف ١٩٩) وقد حف بالعرف في هذه الآية العفو والإعراض عن الجاهلين حتى لكأنهما شرح المقصود بالعرف الذي كلف النبي ﷺ أن يأمر به. ويقال للعرف «المعروف» والمعروف ما تعارف الناس على حسنه وهو ضد المنكر الذي تعارفوا على إنكاره وقد وصف القرآن رسول الله ﷺ بقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف ١٥٧) فجعل بين المعروف والمنكر والطيبات والخبائث لفاو نشرا مرتبا فعلم من ذلك أن الطيبات للمعروف والخبائث للمنكر. ولقد أنشأ كتاب الله العزيز مقابلة بين المنافقين والمنافقات من جانب والمؤمنين والمؤمنات من جانب آخر فقال: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة ٦٧) وقال بعد ذلك: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ

سَيَرَّحْمَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ (التوبة ٧١) وأمر الله عباده بأن يأمرُوا بالمعروف وينهوا عن المنكر وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (آل عمران ١٠٤) وجعل شرط تفوق الأمة الإسلامية على غيرها أن تمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ يقول: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران ١١٠) فلقد جاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى سياق جملة حالية فإذا كانت الحال معناها الملايسة للحدث الذى عبرت عنه الجملة الكبرى فمعنى هذا أن الخيرية مشروطة بملايسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا فقد الشرط لم يتحقق المشروط.

ولقد أمرنا الله سبحانه أن نجعل المعروف قرينا للكثير من تصنيفنا للعلاقات الاجتماعية حتى لكأن العرف هو قانون التعامل الإسلامى حين لا يكون هناك تشريع . انظر مثلا إلى دخول المعروف فى العلاقات بين الأفراد فى الآيات الآتية:

﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ١٧٨)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ١٨٠)

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٢٨)

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمِاسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة ٢٢٩)

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (البقرة ٢٣١)

﴿فَلَا تَعْضَلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٣٢)

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٣٣)

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٣٣)

- ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٣٤)
- ﴿وَمَتَّعُونَا عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٣٦)
- ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٤١)
- ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾ (البقرة ٢٦٣)
- ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء ٦)
- ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء ١٩)
- ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء ٢٥)
- ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء ١١٤)
- ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجِلْنَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق ٢)
- ﴿وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق ٦)
- ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (البقرة ٢٣٥)
- ﴿وَارزُقُوهُنَّ فِيهَا وَاكْسُوهُنَّ وَقُولُوا لَهُنَّ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (النساء ٥)
- ﴿فَلَا تَطْعَمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان ١٥)
- ﴿وَقُلْنَا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب ٣٢)

وهكذا يصبح عنصر الموعدة الحسنة في الدعوة الإسلامية من أوضح عناصرها لتعدد عناصره كما رأينا ولأنه يقف موقف القول الشارح من قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة ٢٥٦) لأن عنصر الإكراه إذا انتفى لم يبق من بديل له إلا الاختيار فإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن تتجه الدعوة الإسلامية إلي رجل يملك

حرية الاختيار إلا أن تكون بالوعظة الحسنة وما فيها من التذكير وضرب الأمثال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقد نسب بعض الحاقدين على الإسلام إلى الإسلام أنه انتشر بحد السيف، فهل يمكن تصديق هذه الفرية مع وجود كل هذه الصفحات المشرقة بآيات الله سبحانه إلى جانب ما يرويه التاريخ من دخول الإسلام في أراض كثيرة لم تطأها قدم جندي مسلم كغرب أفريقيا وشرق آسيا وشمال أوروبا والأمريكتين؟

ثالثاً: الحجاج في القرآن الكريم:

إذا كان الحوار طريقاً من طرق الدعوة كما رأينا فإنه قد يثول في بعض صورته إلى الاعتماد على الحجّة والدليل. فأما الدليل فقد يساق من خلال المطالبة بالنظر في الظواهر الكونية التي لا يمكن أن توجد نفسها ولا أن توجد بنفسها، ففي وجودها دليل على موجودها وعلى نعمه التي أنعم بها على الإنسان بتسخيرها له. وأما الحجّة فلها شأن آخر إذ تتراوح المحاجة بين الدليل المنطقي والدليل الخطابي، ويأتى الفرق بينهما من أن الدليل المنطقي صوري يعتمد على مقدمات تأتي عنها نتائج ويأتى على صورة معينة، فمثله كمثل إجراء مسألة في الحساب ترتب الأرقام فيها على صورة معينة توضع الأحاد فيها تحت الأحاد والعشرات تحت العشرات وتبنى النتيجة بوضع الأرقام أفراداً، فإذا بقي بعد الرقم المفرد شيء ارتفعنا به إلى المنزلة التالية فأضفناه إليها، وهكذا وكما أن صور الحساب الأولى أربع نجد أشكال القياس الصوري أربعة - والنص القرآني لا يخضع لهذا النوع من التقييد الصوري، لأن الصورة أسلوب ذو قاعدة والقرآن لا يحتكم إلي أسلوب واحد بعينه، وإنما هو حدائق ذات بهجة من الأساليب التي لا تنتهى أعجايها. أما الدليل الخطابي فهو غير صوري فلا أسلوب له إلا ما يناسب المقام فللمستدل أن يعبر عنه بالاستفهام أو بالخبر أو بالشرط أو بأى نمط تركيبى شاء. وحين أمر الله سبحانه أن تكون الدعوة بالوعظة الحسنة شاء أن يكون الجدل بالتي هي أحسن. ولفظ أحسن هنا كما أفهمه لا يدل على معنى الصفة المشبهة، كما يدل «أشقر» و«أبلج» و«أسمر» ورغمما يدل على المقارنة بحسن الموعظة بتفضيل حسن على حسن ليكون أفضلهما هو الأحسن. مما يبقى الجدل من أن يكون منبراً للعداوة أو الشحناء ومقاومة الدعوة.

دعنا أولاً لنلق نظرة على النوع الأول من الأدلة، وهو المطالبة بتأمل الظواهر الكونية التي لا يمكن أن توجد نفسها ولا أن توجد بنفسها. ولاشك أن هذا النوع من التأمل لابد أن يؤدي إلى إدراك أن هناك خالقا مبدعا لهذا الكون الذي يمثل هيكلا بنائيا ذا علاقات داخلية محكمة توحى بأن خلقه قد تم جملة وبارادة واحدة الخالق واحد ﴿وَوَخَّلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان ٢) فجعل علاقات الجاذبية بين النجوم والكواكب مضبوطة المقادير لا تختل «ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه» ولو اختلت الجاذبية لتناطحت الأجرام وانتهى كل شيء في لحظة «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا»، وكذلك جعلها مجموعة ونظم فيها الضوء والحرارة وأوجد الحياة في الأرض معتمدة على ضوء الشمس وحرارتها وجعل للبيئة في كل إقليم من أقاليمها توازنا دقيقا لو تدخل الإنسان فيه لأفسده وقد عبر القرآن عن هذا التوازن بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر ٤٩) وهكذا كان مجرد التأمل في ذلك مدعاة إلى الاعتراف بوجود خالق لهذا الكون وأن هذا الخالق ذو علم وإرادة وتدبير وأن الدهريين والقائلين بأن الطبيعة أوجدت نفسها يتكبرون لأبسط مسلما التفكير العقلي الإنساني الذي يدعو إليه الإسلام بالدعوة إلى التأمل في الكون.

شواهد الدعوة إلى التأمل:

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢١ - ٢٢)

﴿وَاللَّهُمُّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ

الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿البقرة ١٦٣- ١٦٤﴾
 ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾
 وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ وَمَا تَأْتِيهِمْ
 مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿الأنعام ٢ - ٣﴾

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ
 إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ
 الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ
 مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفِظَةً
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ
 الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿الأنعام ٥٩ - ٦٢﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثَقَالًا سُفِّتَهُ
 لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ
 تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا
 كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿الأعراف ٥٧ - ٥٨﴾

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ
 أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿الأعراف ١٨٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْسُطُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا
 أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ
 الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿الأعراف ١٩٤ - ١٩٦﴾

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)
إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴾ (٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥)
إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَّقُونَ ﴾ (يونس ٣ - ٦)

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١)
فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (يونس ٣١ - ٣٢)
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس ٦٧)

﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس ١٠١)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ
(١٠٩) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا
يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يوسف ١٠٩ - ١١٠)

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ
 (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا
 زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ
 مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ (الرعد ٢ - ٤)

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
 رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ
 لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ
 وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (ابراهيم ٣٢ - ٣٤)

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
 رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مِنْ اسْتَرْقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
 رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ
 بَرَازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر ١٦ - ٢١)

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ
 فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)
 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا
 بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا
 وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
 أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠)
 يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿النحل ٣، ١٩﴾

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿النحل ٦٦ - ٦٩﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ

ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحرّ وسراويل تقيكم
بأسكم كذلك يتيّم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴿ (النحل ٧٧ - ٨١)

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً
من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴿ (الإسراء ١٢)

﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات
لأولي النهي ﴿ (طه ١٢٨)

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم
من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل
مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل
العمر لكلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت وأنتبت من كل زوج بهيج ﴿ (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه
على كل شيء قدير ﴿ (الحج ٥ - ٦)

﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا
تعى الأبصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور ﴿ (الحج ٤٦)

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير
﴿٦٣﴾ له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد ﴿٦٤﴾ ألم تر أن الله
سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على
الأرض إلا بذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴿ (الحج ٦٣ - ٦٥)

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴿١٢﴾ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴿١٣﴾ ثم
خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم

أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ
إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿المؤمنون ١٢ - ١٦﴾

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ
مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ
طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِغَ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم
مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ
تُحْمَلُونَ ﴿المؤمنون ١٧ - ٢٢﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ
يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً
لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿النور ٤٣ - ٤٦﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا
وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿الفرقان ٤٥ - ٥٠﴾

﴿هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ
قَدِيرًا ﴿﴾ (الفرقان ٥٣ - ٥٤)

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي
جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿﴾ (الفرقان ٦١ - ٦٢)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿﴾ (الشعراء ٧ - ٩)

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا
كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا
وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ
الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ
يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبًا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿﴾ (النمل ٥٩ - ٦٤)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿﴾ (العنكبوت ١٩ - ٢٠)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ

لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿الرُّومُ ٢٠ - ٢٧﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَسْطُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿الرُّومُ ٤٨ - ٥٠﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿الرُّومُ ٥٤﴾

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٥﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿لَقْمَانَ ١٠ - ١١﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

كُلُّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿لَقمان ٢٩ - ٣١﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿السجدة ٤ - ٩﴾

﴿أَو لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿السجدة ٢٦ - ٢٧﴾

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِن خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿فاطر ٢ - ٣﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ

لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا
 مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾
 ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ
 الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
 وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
 غَفُورٌ ﴿٢٧ - ٢٨﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي
 جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا
 فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
 غَفُورًا ﴿٣٨ - ٤١﴾

﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا
 جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ
 أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٣ - ٣٥﴾

﴿وَأَيُّهُمُ اللَّيْلُ نَسَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ
 لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ

(٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ
 (٤٠) وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿ (يس ٣٧ - ٤٢)

﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١)
 وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا
 يَشْكُرُونَ ﴿ (يس ٧١ - ٧٣)

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٥) خَلَقَكُمْ مِنْ
 نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ
 أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا
 تُصْرَفُونَ ﴿ (الزمر ٥ - ٦)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا
 مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَرَّاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي
 الْأَلْبَابِ ﴿ (الزمر ٢١)

﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا
 هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
 مِنْ وَّاقٍ ﴿ (غافر ٢١)

﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿ (غافر ٥٧ - ٥٨)

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّبِعُوهُ تَتَّقُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿غافر ٦١ - ٦٤﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلَتَبْلُغُوا أَجْلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿غافر ٦٧ - ٦٨﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿غافر ٧٩ - ٨٢﴾

﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿فصلت ٩ - ١٢﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا

لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ (فصلت ٣٧)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي

أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ (فصلت ٣٩)

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

﴿١٠﴾ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ

فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ (الشورى ١٠ - ١٢)

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ

قَدِيرٌ ﴿٢٨﴾ (الشورى ٢٨ - ٢٩)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ

عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِعُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن

كَثِيرٍ ﴿٣٢﴾ (الشورى ٣٢ - ٣٤)

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ

الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٤٩﴾

(الشورى ٤٩ - ٥٠)

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي

جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تَخْرُجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ

لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَتَسْتَوْا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿الرزخرف ٩ - ١٤﴾

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاختِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تَلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿الجاثية ٣ - ٦﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِي الْفُلْكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَتَلْتَبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿الجاثية ١٢ - ١٣﴾

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اثْنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿الأحقاف ٣ - ٤﴾

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ (الأحقاف ٣٣)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿محمد ١٠﴾

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ

لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾
وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ
الْخُرُوجُ ﴿ق ٦ - ١١﴾

﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي
السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُرْبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ
تَنْطِقُونَ ﴾ (الذاريات ٢٠ - ٢٣)

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ
مُبِينٌ ﴾ (الذاريات ٤٧ - ٥٠)

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا
﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ
الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴾ (النجم ٤٢ - ٤٩)

﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا
تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ
﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ
مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾
فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾
فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ
تَكْذِبَانِ ﴾ (الرحمن ١ - ٢٢)

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَذِيرًا لِلْمُقِيمِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿ (الواقعة ٥٧ - ٧٤)

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الحديد ١ - ٦)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ (المجادلة ٧) ﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ (٢)

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيْرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِيَدَاتِ
الصُّدُورِ ﴿ (التغابن ٢ - ٤)

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى
فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿ (الملك ١ - ٤)

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا
فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمْنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمْنَ
يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي
أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي
ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ (الملك ١٩ - ٢٤)

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا
وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا
وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ﴿ (نوح ١٥ - ٢٠)

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾
فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلْ يَوْمئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ
وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيًّا شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَّاءً فُرَاتًا ﴿ (المرسلات ٢٠ - ٢٧)

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا
نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا
شَدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ
حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا ﴿النبا ٦ - ١٦﴾

﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا
وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
وَالْجِبَالَ أُرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿(النازعات ٢٧ - ٣٣)﴾

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبًّا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً
وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿(عبس ٢٤ - ٣٢)﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿(الانفطار ٦ - ٨)﴾

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ
وَالْتَرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا
نَاصِرٍ ﴿(الطارق ١٧ - ٢١)﴾

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ
مُذَكَّرٌ ﴿(الغاشية ١٧ - ٢١)﴾

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ
مَالًا لُبْدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾
وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿(البلد ٤ - ١١)﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (الفيل ١ - ٥)

شواهد المحاجة:

ذكرنا أن الدليل العقلي لا يعد منطقياً بالمعنى الدقيق إلا أن يكون صورياً وأن تراعى فيه أصول الاستدلال المنطقي فإذا لم يتحقق له شيء من ذلك ولكنه ظل يخاطب العقل فإنه عندئذ يقع في عداد الأدلة الخطابية وليس الدليل الخطابي أقل شأنًا من الدليل الصوري فلكل منهما مجال استعمال لأن الاستدلال الصوري إنما يرمى إلى مراقبة صحة التفكير بعد وقوعه أما الدليل الخطابي فإنه هو التفكير نفسه يخاطب العقل حيناً ويخاطب العاطفة حيناً آخر. والأدلة القرآنية جميعاً تخاطب العقل لأنها وإن لم تكن صورية فهي تقوم على أساس من المسلمات العقلية. وفيما يلي طائفة من الأدلة القرآنية المذكورة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة ٢٥٨)

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ٦٥ - ٦٨)

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ

يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ
وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ ﴿الانعام ٨٠ - ٨٢﴾

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ
الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا
وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا
كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكٌ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿الانعام ٩١﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْزَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿الانعام ١٠٠ - ١٠١﴾

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ
مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿الاعراف ١٨٨﴾

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ
حَلِيمٌ ﴿التوبة ١١٣ - ١١٤﴾

كانت الآية الثانية ردا على سؤال وارد يقول فلماذا استغفر إبراهيم لأبيه وهو
كافر؟ الجواب أنه وعده بقوله: (ساستغفر لك ربي).

﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس ١٥ - ١٦)

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود ٤٩)

﴿قَالَ هِيَ رَأودتني عن نَفْسِي وشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (يوسف ٢٦ - ٢٧)

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يوسف ١٠٢ - ١٠٣)

﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهْمُ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل ١٠٣)

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء ٤٢ - ٤٣)

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء ٩٤ - ٩٥)

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ (مريم ٦٦ - ٦٧)

﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء ٢١ - ٢٢)

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (الأنبياء ٣٤ - ٣٥)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (الحج ٧٣)

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (المؤمنون ٩١)

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت ٥٠ - ٥١)

﴿وَضُرِبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (٨٠) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (يس ٧٨ - ٨١)

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الزمر ٣ - ٤)

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ (غافر ٢٨ - ٢٩)

﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (الزخرف ٣٩)

﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الاحقاف ٣٣)

﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحجرات ١٦)

﴿ أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (ق ١٥)

﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَّبِصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الطور ٢٩ - ٤٣)

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ (النجم ١١ - ١٢)

﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ (الملك ١٣ - ١٤)

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عُلْقَةً فَخَلَقَ

فَسَوًى﴾ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ

الْمَوْتَى﴾ (القيامة ٣٦ - ٤٠)

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٥) أَلَمْ يَجِدَكَ

يَتِيمًا فَآوَى﴾ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (الضحى ٤ - ٨)

النص القرآني يفنر الكروية (القرآنيون)

كما توارثناه من أقوال السلف عبارة يصدقها علم اللسانيات الحديث، وبخاصة ما يسمى من فروع «علم النص»، تلك العبارة هي قولهم: «القرآن يفسر بعضه بعضاً». فالباحثون المحدثون على علم النص يصرون على قيام التكافل بين أجزاء النص الواحد وعلى إمكان التضافر بين نص ونص بحيث يوضح أحدهما مقاصد الآخر، ويسمون ذلك مبدأ التناص *intertextuality* فالنص الواحد بهذا يفسر بعضه بعضاً كما يمكن لنص أن يفسر نصاً آخر بما يليق عليه من ضوء كاشف يحدد مقاصده بعد خفائها. ولقد انتفع مفسرو القرآن الكريم بهذا المبدأ بتطبيقه في الأغلب الأعم من المواضع ففسروا بعض آية ببعضها الآخر كما فسروا آية بما اشتملت عليه آية أخرى من إشارة أو عبارة. وفيما يلي نقدم شاهداً على كل من الأمرين:

١ - من قواعد النحو العربي أن العطف من وسائل الربط بين السابق واللاحق. وأكثر ما يؤدي العطف وظيفة الربط قوة حين يتوالى المتعاطفان بلا فاصل يفصل أحدهما عن الآخر والمفسرون والقراء يعتدون بقواعد العربية ويجعلون موافقتها ولو بوجه شرطاً من شروط صحة القراءة. وفي قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران ١٨) فصلت واو العطف بين الضمير «هو» وبين «الملائكة» فلو أننا اعتمدنا على قرب اللفظين من الآخر لوقعنا في المحذور بأن نجعل الملائكة معطوفين على الضمير وبذلك يكونون آلهة مع الله (سبحانه وتعالى عن الشريك). وإذا كنا نعلم بالاعتقاد الجازم أنهم ليسوا آلهة أصبح علينا أن نبحت في نطاق هذه الآية نفسها عما يحول دون هذا الخطأ في تفسير المقصود بالآية. وسنجد ضاللتنا في قوله تعالى في آخر الآية: «لا إله إلا هو العزيز الحكيم» ومن ثم نبحت عن اللفظ الذي عطف عليه لفظ

الملائكة وسنعلم عندئذ أن الملائكة معطوفون على فاعل شهد أى «شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو» وهكذا تكون الآية قد اشتملت على تفسير لموضع من مواضعها لم تكن القواعد النحوية كافية لبيان مقاصده. وأصبح بين الموضعين «تناص» فى نطاق الآية الواحدة.

٢ - ومن قواعد العربية أيضا أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور. وقد رأى النحاة أن هذه القاعدة مطلقة ولم يربطوا بينها وبين خوف اللبس بمعنى أنه إذا أمن اللبس جاز للضمير أن يعود إلى أبعد مذكور كما فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف ٦ - ٧) إذ يعود الضمير فى «قالوا» على أبعد الاحتمالين وهو الإخوة لا على أقربهما منه أى السائلين كما أن الضمير قد يعود إلى غير مذكور عند أمن اللبس. إذ يكون الضمير مصحوبا بما يدل على المرجع الذى لم يذكر كما فى قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الحاقة ٣٨ - ٥٢)

بعد هذه المقدمة نلقى نظرة على الشاهد الذى يكشف عن قيام التناص بين آية وآية أخرى ليست من السورة التى هى منها. يقول الله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ (الأعراف ١٠٠) موضع الشاهد هنا هو الضمير فى قوله: «بذنوبهم» فهل يعود الضمير على «أهلها» وهو أقرب

مذكور أو على الذين يرثون الأرض وهو الأبعد. لو أعدنا الضمير في ذنوبهم على لفظ أهلها لتعارض ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام ١٦٤) ومن هنا تلزم إعادة الضمير على الذين يرثون الأرض وإن كانوا أبعد اللفظين عن موضعه. وهكذا تفسر آية من سورة الأعراف في ضوء آية أخرى من سورة الأنعام. وهذه صورة أخرى من صور التناص غير التي سبقت في الشاهد الأول.

قلنا إن المفسرين رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة راعوا أن القرآن يفسر بعضه بعضا في الأغلب الأعم من المواضع وذكرنا شاهدين على صنيعهم هذا. ولكنهم في بعض المواضع لم يلتزموا بذلك لسبب ما كالوقوع في شبك الاسرائيليات أو قلة الحذق في قواعد العربية أو عدم إدراك الترابط بين الموضوعات المشتركة في آيتين أو أكثر مما يضيق المقام عن تفصيل القول فيه وإن كان من الضروري أن نأتى بالقليل من الشواهد:

١ - قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي

تَقُولُ﴾ (النساء ٨١) أعاد بعضهم الضمير المستتر في «تقول» إلى النبي ﷺ ولم ينسب إليه قول قبل ذلك ولكن القول نسب إليهم هم وفي إعادة الضمير إليهم بيان لإرادة نسبة النفاق إليهم وهذا هو المقصود لأنهم ه الذين قالوا: «طاعة» وبيتوا المعصية.

٢ - فسروا قوله تعالى في سورة يوسف «إن كان قميصه قد من قبل... الخ» بأن الله أنطق طفلا في المهد بهذه العبارة على الرغم من اشتغال الآيات في النص على ما يفيد أن القائل هو الزوج بدليل قوله تعالى: «وألفيا سيدها لدى الباب». فالزوج هو القادر على هذا السبر والتقسيم الذي يتمثل في عبارة: إن كان كذا فكذا وإن كان كذا فكذا. إن مفاجأة الزوج لهما وشهوده لتدارثهما في الاتهام ومطالبتة ليوسف بالكتمان وعبارة «وشهد شاهد من أهلها» وقوله لامرأته: «واستغفري لذنبك» يدل كله على أن فكرة: «إن كان قميصه قد من قبل» كان مما دار في ذهن الزوج وإن لم يصرح به بدليل قوله تعالى: «وشهد شاهد من أهلها» ولم يقل: «وقال قائل».

٣ - وقال المفسرون فى تفسير نهى يعقوب لأبنائه عن الدخول من باب واحد: إنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا أحد عشر رجلا لرجل واحد. ودون ذلك ملاحظتان:

أ - أن أهل المدينة لم يكونوا يعرفون أن هؤلاء لرجل واحد.

ب - وأن هؤلاء كانوا جماعة من البدو الذين تظهر عليهم سمة الحاجة والتقشف فلا ترقبهم عيون الحساد ولا يمكن أن يكونوا موضع حسد.

أما دلالة النص فتعطى السبب الحقيقى لهذا النهى فى قول الأب: «لتأتنى به إلا أن يحاط بكم» فالخوف من أن يحاط بهم فىؤخذوا هو الذى جعل الأب ينهاهم عن الدخول من باب واحد لأنهم إذا أخذوا وقد دخلوا من باب واحد أخذوا جميعا، أما مع الدخول من أبواب متفرقة فإنه إذا أخذ البعض نجا البعض الآخر.

٤ - قالوا فى تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾

(يس ١٤) إن عيسى عليه السلام أرسل رجلين إلى أهل أنطاكية فكذبوهما فعززهما برسول ثالث. والواضح أن المقصود أهل مصر الذين أرسل الله إليهم موسى وهارون ثم عززهما بالرجل المؤمن من آل فرعون كما تشهد سورتا القصص وغافر إذ ينصح هذا الرجل موسى بالهرب بعد مقتل المصرى فى القصص ويقف للدفاع عنه فى سورة غافر. ثم انظر إلى قول هذا المصرى: «ويا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار... الخ» مما يدل على أن الرجل كان متدينا تبعا لدعوة يوسف الصديق الذى دعا إلى دين ابراهيم إذ يقول الرجل: «ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا» والمعنى: فهذا رسول قد جاءكم على غير توقع منكم. وهكذا كان الرجل المؤمن تعززا لرسالة موسى وهارون.

ومن المواضع التى لم يصل المفسرون فيها إلى دلالة النص ولم يفتنوا إلى قيمة التناص ما نراه من انسياقهم وراء المكيدة التى دبرها أعداء الإسلام منذ العصر الأول باختراعهم قصة الغرائق إذ راح المفسرون يروون هذه القصة ويترددون بين قبولها

والشك في صحتها والاعتذار لها دون أن يتفحصوا دلالات النص وما له من عطاء يتكشف به معنى آخر لا صلة له بهذه الأكذوبة الفجة التي اخترعها خيال مريض . لقد اختلف موقف أفراد المفسرين كما ذكرنا إزاء هذه الفرية وسنورد فيما يلي موقف كل من المشهورين منهم بعد أن نورد نص الأكذوبة كما عرضها أبو الحسن الواحدى في كتابه «أسباب نزول القرآن» عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج ٥٢) وتلك هي القصة كما يرويها الواحدى: قوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى . . الآية، قال المفسرون^(١): لما رأى رسول الله ﷺ تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من تجافيهم عما جاءهم به تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرصه على إيمانهم . فجلس ذات يوم فى ناد من أندية قريش كثير أهله، وأحب يومئذ ألا يأتيه من الله شيء ينفرون عنه وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى: «والنجم إذا هوى» فقرأها رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه^(٢): تلك هي الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى . فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، ومضى رسول الله ﷺ فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من بالمسجد من المشركين^(٣) فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعاهما إلى جبهتيهما وسجدا عليها .

ويقول ابن كثير: ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائق . . . ولكنها من

(١) ذكر محقق الكتاب منهم الطبرى وصاحب الدر المنثور والبعثى والحازن والقرطبي والفخر الرازى وابن كثير وابن العربى وأبا جعفر النحاس وابن سعد والقاضى عياض والقارى والشهاب الخفاجى وصاحب مجمع الزوائد وفتح البارى والبيهدادى وابن المبارك والشيخ محمد عبده فى بحث له ملحق بتفسيره لسورة الفاتحة

(٢) فسر التمنى بمعناه المقصود

(٣) كما لو كان سجود التلاوة بعض عقيدة المشركين وطقوسهم .!

طرق كلها مرسله ولم أرها مسنده من وجه صحيح. ثم يورد الروايات التي تتضمن أن النبي ﷺ قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى «أفرايتم اللات والعزى...» ألقى الشيطان على لسانه: تلك هي الغرائق العلى وإن شفاعتهن ترتجى - ثم سجد وسجد معه المشركون، فأنزل الله عز وجل: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيه فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم». ثم يروى ابن كثير عن البغوى أجوبة حكاها عن الناس من ألفتها (فى نظره) أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ.

أما القرطبى فيقول فى تفسير هذه الآية: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «تمنى» أى قرأ وتلا*. و«ألقى الشيطان فى أمنيه» أى قراءته وتلاوته. وقد تقدم فى البقرة يقصد عند قوله تعالى: «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى».

الثانية: قال العلماء: إن هذه الآية مشكلة من جهتين: إحداهما أن قوما يرون أن الأنبياء صلوات الله عليهم فيهم مرسلون وغير مرسلين، وغيرهم يذهب إلى أنه لا يجوز أن يقال نبى حتى يكون مرسلًا. والدليل على صحة هذا القول قوله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى» فأوجب للنبي ﷺ الرسالة...»

الثالثة: الأحاديث المروية فى نزول هذه الآية وليس منها شىء يصح^(١). وكان مما تموه به الكفار على عوامهم قولهم: حق الأنبياء ألا يعجزوا عن شىء، فلم لا يأتينا محمد بالعذاب وقد بالغنا فى عداوته... روى الليث عن يونس عن الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام قال: «قرأ رسول الله ﷺ: «والنجم إذا هوى» فلما بلغ «أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» سها^(٢) فقال: «إن شفاعتهن ترتجى»... الخ ثم يروى عن ابن عطية قوله: «وهذا الحديث الذى فيه الغرائق العلى وقع فى كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخارى ولا مسلم ولا ذكره فى علمى مصنف مشهور^(٣)».

(١) إذا فقد الحديث صفة الصحة استحق الرفض فلا يعتد به ولا يعتمد عليه.

(٢) لم يقل ألقى الشيطان كالذين سبقوه. * فسر التمنى بالتلاوة.

(٣) هذا فى قوة رفض القصة من أساسها.

ويشير النسفى إلى مضمون القصة ثم يقول: «وهذا القول غير مرضى لأنه لا يخلو إما أن يتكلم النبى ﷺ بها عمدا وإنه لا يجوز لأنه كفر، ولأنه بعث طاعنا للأصنام لا مادحا لها أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبى ﷺ جبرا بحيث لا يقدر على الامتناع عنه، وهو ممتنع^(١) لأن الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره لقوله تعالى: «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان» ففى حقه أولى أو جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة وهو مردود أيضا لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه فى حالة تبليغ الوحي. فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكن عند قوله: «ومائة الثالثة الزخري» فتكلم الشيطان بهذه الكلمات^(٢)... فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذى تكلم بها.

وفى معانى القرآن لابن النحاس قوله: روى الليث عن يونس عن الزهري قال: أخبرنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن النبى ﷺ قرأ بمكة: «والنجم إذا هوى...» فلما بلغ إلى قوله تعالى: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» سها فقال: فإن شفاعتهم تترجى. فلقبه المشركون والذين فى قلوبهم مرض فسلموا عليه فقال: إن ذلك من الشيطان^(٣) فأنزل الله عز وجل: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته... إلى آخر الآية».

ويقول أبو حيان فى البحر المحيط: «وذكر الله لرسوله مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء، وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه وأنه ما منهم أحد إلا وكان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك إليهم وإلقائه^(٤) فى نفوسهم. كما أنه ﷺ كان من أحرص الناس على هدى قومه. وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحارث يلقون لقومه وللوفادين عليه شباها يشبطون بها عن الإسلام ثم يقول فى تفسير: «ثم يحكم الله آياته»: «أى معجزاته يظهرها محكمة لا لبس فيها ليجعل ما يلقى الشيطان من تلك الشبه وزخارف القول

(١) إن عبادى ليس لك عليهم سلطان

(٢) قويت حجة النسقى فى نفس القصة ولكنه سمح فى النهاية باحتمال غير معقول.

(٣) انظر رد النسفى السابق على رواية مشابهة.

(٤) لاحظ فهم أبى حيان لمعنى «ألقى» و«الشيطان»

فتنة لمريض القلب ولقاسيه وليعلم من أوتى العلم أن ما تمنى الرسول والنبي من هداية قومه وإيمانهم هو الحق. وهذه الآية ليس فيها إسناد شيء إلى رسول الله ﷺ، إنما تضمنت حال من كان قبله من الرسل والأنبياء إذا تمنوا^(١) ثم يقول: «والعجب من نقل هذا وهم يتلون في كتاب الله تعالى: «والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى». وقال الله تعالى آمراً لنبيه: «قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى». وقال تعالى: «ولو تقول علينا بعض الأقاويل... الآية*» وقال تعالى: «ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم...» فالثبوت واقع والمقاربة منفية (يقصد أن لو لا حرف امتناع لوجود وأن المعنى لقد ثبتناك فلم تكد تركن» وقال تعالى: «سنقرتك فلا تنسى». وهذه نصوص تشهد بعصمته».



إذا نظرنا إلى مواقف المفسرين السابقين من هذه القصة وجدنا ما يلي:

- ١ - منهم من رواها ولم يعقب على مضمونها فكأنه يسلم بوقوعها كما رواها وهذا موقف الواحدى وابن النحاس والقرطبى فى المسألة الأولى من تفسيره للآية إذ فر التمنى بالتلاوة.
- ٢ - ومنهم من يطعن فى القصة إما من حيث صحة الوجه الذى رويت به كابن كثير وإما من حيث منافاتها لكافة الاحتمالات كالنسفى ولكن الرجلين ينتهيان عند قبول أن يكون الشيطان هو الذى نطق بمدح الغرائق.
- ٣ - ومنهم من رفض الأخبار المروية فى هذا الصدد كالقرطبى فى المسألة الثالثة مما ذكره من المسائل مشيراً إلى ما لاحظته ابن عطية من أن هذا الخبر وقع فى كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخارى ولا مسلم ولا ذكره فى علمه مصنف مشهور.
- ٤ - ومنهم من رفض القصة كلها مستعينا بنص الآية: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى...» بقوله: وهذه الآية ليس فيها إسناد شيء إلى رسول الله ﷺ من الرسل والأنبياء إذا تمنوا، وهذا هو أبو حيان.

(١) يرد على هذا بقوله تعالى: «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان.

* قال تعالى: وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره» «الإسراء ٧٣»

فما وجه الصواب في كل ذلك؟ وكيف يمكن الاستدلال بالنص القرآني نفسه على أن هذه القصة كلها إفك وافتراء أريد به الكيد للإسلام من طريق الإيحاء بأن القرآن نص إنساني خاضع لهوى محمد وللظروف العارضة التي ظهر بعضها وغاب البعض الآخر لعدم وجود الرواية التي تسجله؟

سبق أن ذكرنا أن القرآن نص مترابط تتوثق العرى بين آياته حتى ليفسر بعضه بعضا وإذا كان نقاد النصوص يمتدحون نصا ما إذا قامت الوحدة العضوية بين أجزائه فما أوضح هذه الوحدة العضوية في القرآن الكريم. فإذا علمنا ذلك وأيقنا صدقه انفتح أمامنا اتجاهان يؤديان إلى دلالة النص القرآني على بطلان هذه الأكذوبة: أولهما الاتجاه إلى التأمل في ظواهر معجمية ونحوية في ألفاظ آيتي سورتي الحج والنجم، وثانيهما الاتجاه إلى دلالة النص في هاتين السورتين اللتين لجأ المؤتفكون إلى تحريف المعنى فيهما.

وللتمهيد لبيان الاتجاه الأول لابد من النظر في دلالة لفظ «تمنى» وذلك لبيان أن النبي ﷺ كان يتوق إلى هداية قومه وأنه كان يألم أشد الألم لإعراضهم عن دعوته إياهم إلى الإيمان. والمعروف كما تشهد المعاجم جميعا أن لكل لفظ مفرد عددا من المعاني ولا يقتصر لفظ منها على معنى واحد ومن ثم كانت علاقة اللفظ المفرد بكل من معانيه المختلفة في حال إفراده علاقة احتمال وكانت نسبة اللفظ إلى واحد بعينه دون غيره من المعاني متوقفة على وضع هذا اللفظ في سياق لغوي مفيد؛ ومن ثم كان التزام أصحاب المعاجم بوضع اللفظ في جملة ما قبل تحديد معناه كما كان عليهم أن يستشهدوا بالفصح من القول على صحة نسبة هذا المعنى إلى اللفظ. وفيما يلي نموذج يدل على ذلك:

(حَصَرَ) فلان - حَصَرَ: ضاق صدره، و - بخل، ويقال حصر على فلان: قطع معروفه عنه، و - مُنِعَ من شيء عجزاً أو حياءً. ويقال: حصر القارئ: عى في منطقته ولم يقدر على الكلام و - بالسر كتبه، و - عن الشيء: امتنع عنه عجزاً فهو حصور و - الناقة صارت حصوراً. وهذه المعاني جميعا معان أصلية تنتمي إلى عرف المجتمع لا إلى الأسلوب المجازي الذي ينتمي إلى الاختيار الفردي فلا يقبله المجتمع إلا بتحقيق علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي وقيام قرينة مانعة من إرادة المعنى

الأصلى. وهذه العلاقة قد تكون فنية كالمشابهة أو عقلية كالسببية والزمانية والكانية والكلية والجزئية الخ.

ولقد تعود أصحاب المعاجم أن يوردوا معانى اللفظ المفرد مرتبة بحسب شهرتها فأشهرها أولها ثم الذى يليه وهكذا. فإذا نظرنا إلى النموذج الذى أوردناه سابقا مأخوذا عن المعجم الوسيط علمنا أن أشهر معانى الحصر ضيق الصدر. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يِقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ (النساء ٩٠) ولا تكون هذه المعانى المتعددة سواء فى الشهرة إلا فى المشترك اللفظى.

دعنا إذا نلق نظرة على المعانى المنسوبة إلى لفظ «تمنى» لنعلم أشهر هذه المعانى وأولاها بالاعتبار عند عدم الدليل على إرادة غيره: يقول الفيروزى فى القاموس المحيط: «وتمناه أَرَادَهُ، ومناه إياه وبه تَمَنِيَةٌ وهى المَنِيَّةُ بالضم والكسر، والأمنية بالضم وتمنى كذب والكتاب قرأه والحديث اخترعه وافتعله، والمنية بالضم ويكسر... الخ».

ويقول الجوهري فى الصحاح: «والأمنية واحدة الأمانى، تقول منه: تمنيت الشيء ومنيت غيرى تمنيه وتمنيت الكتاب قرأته، قال تعالى: «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى» ويقال: هذا شيء رويته أم تمنيته، وفلان يتمنى الأحاديث أى يفتعلها وهو مقلوب من المين وهو الكذب...» فالقاموس يجعل أول معانى «تمنى» ومن ثم أشهرها «أراد» والصحاح يقول: «والأمنية واحدة الأمانى» فكلاهما يجعل الطمع فى حدوث أمر ما صعب المنال هو المعنى الأشهر فى العرف بحيث لا يعدل عنه إلى غيره إلا لسبب وجيه كالذى نراه فى الآية التى استشهد بها الجوهري: «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى» لأن قرينة إرادة التلاوة فى هذه الآية فى رأيه هى ذكر الأمية والكتاب وربما كان الكتاب هنا بمعنى الكتابة فيما يبدو. أما إذا لم توجد قرينة كهذه فالمقصود هو أشهر المعانى على نحو ما رأينا فى كلام القاموس والصحاح منذ قليل.

والذى نلاحظه فى آية الحج: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته» أنه لا توجد قرينة للدلالة على غير المعنى الأشهر وهو الإرادة والطمع فى حدوث أمر صعب المنال. ويعضد هذا المعنى أن النبى ﷺ كان

يتمنى فعلا أن يستجيب له قومه وكانت هذه الأمنية تعتمل في نفسه حتى تسبب له الكثير من الضيق بدليل الآيات الكريمة التالية:

- ١ - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص ٥٦).
- ٢ - ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة ٢٧٢).
- ٣ - ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة ٢٥٦).
- ٤ - ﴿أَفَأَنْتُ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس ٩٩).
- ٥ - ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل ١٢٧).
- ٦ - ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسْفًا﴾ (الكهف ٦).

٧ - ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (هود ١٢).

ومعنى هذا أن النبي ﷺ كان «يتمنى» أن تلاقى دعوته قبولا في نفوس قومه وأن هذه الأمنية من قبيل الرغبة في حدوث هذا القبول، وليست بمعنى التلاوة كما تكلف ذلك المؤتفكون. وانظر أيضا إلى معنى التمنى أى الرغبة فى آيات أخرى غير آية الحج منها:

- ١ - «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم».
 - ٢ - «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به».
 - ٣ - «وتربصتم وارتيبتم وعزتكم الأماني حتى جاء أمر الله وعزكم بالله الغرور».
- والأمر الآخر الذى نحب أن نلفت النظر إليه فى نطاق الاتجاه الأول هو حذف المفعول به بعد الفعل «ألقى» فى قوله تعالى: «ألقى الشيطان فى أمنيته». فالمعروف أن المفعول به إنما يحذف إذا دل عليه الفعل فكان فى ذكره إطناب لا مبرر له. انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ

دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴿٢٤﴾ (القصص ٢٣ - ٢٤) فالأفعال في كل صور

الحذف السابقة تشير إلى أن المفعول به المحذوف هو الأغنام، لأنها هي التي تسقى وتذاد عن الحوض وتصدر بعد السقى. فإذا كان الأمر كذلك فبنا أن ننظر إلى حذف المفعول بعد الفعل «ألقى» في آية الحج. فماذا عسى أن يلقى الشيطان إلا الفتنة فينشرها في اتجاهات مختلفة المرامي إذ يوجهها إلى المشركين فينجح وإلى المؤمنين فيفشل لأنه ليس له عليهم سلطان. فأما توجيهه الفتنة إلى المشركين فحسبنا أن نقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيَجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أُطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام ١٢١) فالشيطان ألقى إلى أوليائه أن يقولوا إن القرآن شعر حين رأوا ما فيه من روائع التصوير للجنة والنار وما فيه من لغة معجزة ثم غرهم فيه أن لآياته فواصل فخلطوا بينها وبين القوافي غافلين عن أن القرآن لا يلتزم بجرس الفاصلة كما يلتزم الشعراء بجرس القافية. وألقى إلى أوليائه أن يقولوا إن القرآن سحر حين رأوا أن الإيمان قد يفرق بين المؤمن ومن بقى على الشرك من أفراد أسرته كما رأوا أن رسلهم إلى النبي لم حاجته أو مساومته كانوا يعودون من عنده بوجه غير الذي ذهبوا به.

وإما إلقاءه الفتنة إلى المؤمنين وطمعه أن يفتن النبي نفسه ثم فشله في ذلك فحسبنا أن نقرأ قوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذِقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْزِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سَنَةٌ مِّن قَدٍ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِّن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

(الإسراء ٧٢ - ٧٧) فمما عرضه على النبي ﷺ أن يسودوه عليهم ويملكوه زمامهم إذا تنازل عما يدعو إليه كما عرضوا أن يعبدوا إلهه حينما في نظير أن يعبد آلهتهم

حيناً آخر. وذلك بعض مما ألقاه الشيطان إلى أوليائه ووجههم به إلى النبي ﷺ. وهذا هو المقصود بآيات الإسراء السابقة فلولا أن الله ثبته لركن إليهم شيئاً قليلاً.

أما من حيث الاتجاه الثاني فذلك ما نجد في آيات سورتي الحج والنجم. وعطاء النص في تلك الآيات يوضح طبيعة فرية الغرائق. دعنا أولاً نتناول ما يدل عليه النص في سورة الحج ورحم الله أبا حيان، فلقد كان الوحيد بين من ذكرنا من المفسرين في الفطنة إلى الحكم النحوي عند اجتماع النفي والجر على النكرة وما يفيد من إرادة العموم. ويعضد رأى أبي حيان في اختيار هذا الفهم ما سبق منذ قليل في آيات سورة الإسراء من قوله تعالى: سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا» فالشيطان ألقى الفتنة لتكون عقبة في سبيل أمانى جميع الأنبياء السابقين. ومن هنا يكون محمد ﷺ ليس بدعا من الرسل ولم يسند إليه بخصوصه شيء كما يقول أبو حيان وفي نص آية الحج ما يقوى مبدأ التناص بينها وبين ما يسبقها وما يتبعها من الآيات. فالآيات تتصافر جميعاً لتكشف عن المعنى المقصود. وهذا التصافر جانب لم يشر إليه أبو حيان رحمه الله وإنما ركز همه على الحكم النحوي في الآية مع قطع صلتها بما يحيط بها ونود أن نكشف عن هذا التناص هنا في هذه العجالة.

لقد استخرج أبو حيان قوله بإلقاء الشيطان فتنته في تمنى جميع الأنبياء من إرادة العموم بواسطة إدخال النفي والجر على النكرة. ولكنه غفل عن آية أخرى سبقتها منذ قليل تفسر ما ذهب إليه أبو حيان وتدل على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً وأن فهم معنى العموم لا ينبغي أن يكون قاصراً على النحاة وإنما يجب أن يفهمه كل من يتصدي لقراءة النص. تلك هي الآية الأولى في النص التالي:

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنَ مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ
(٤٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ
يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿ (الحج ٤٢ - ٥٥)

هذه هي بيئة الآية في النص، وهي تشير إلى المقاصد الآتية:

- ١ - لا تأس على تكذيب قومك للدعوة فهذه سنة من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا منذ رسالة نوح إلى رسالة موسى.
- ٢ - فما أكثر القرى التى كذبت أنبياءها فأهلكها الله بظلمها فهى الآن حاوية على عروشها. وما أكثر الآبار المعطلة والقصور المشيدة التى أصابها الخراب.
- ٣ - ما لهؤلاء القوم لا يؤمنون بدعوتك! أفلم يسيروا فى الأرض فيتعظوا بمصائر من سبقهم من الأمم؟ لا عجب! فليس العمى عمى الأبصار، ولكنه عمى القلوب التى فى الصدور.
- ٤ - إنهم يستعجلونك بالعذاب الذى حذرته من، بل إنهم يطلبونه لأنفسهم فيقولون: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» والله سبحانه سيحقق مطلبهم ولكنه يهل ولا يهمل، وأيام الله أطول من أيام البشر.

٥ - ما عليك إلا أن تقول لهم إنك نذير لهم بوقوع العذاب على الذين يسعون في آياتنا معاجزين دون أن تأسى عليهم أو تهادهم.

٦ - فإننا ما أرسلنا من قبلك من أحد من رسلنا إلا كان عرضه لما تعرضت له فلم يلب للفتنة لأن الله تعالى يعصم أنبياءه من هذه الفتنة فينسخ كيد الشيطان ويحكم الآيات والمعجزات المؤيدة لرسالتهم.

٧ - وهو تعالى يجعل كيد الشيطان موجها إلى الذين في قلوبهم مرض وإلى أهل العناد فيظلوا رغم الدعوة في شقاق بعيد.

٨ - فأما الذين أوتوا العلم فلا يضلهم الشقاق لأنهم يعلمون من الآيات والمعجزات ما يدل على أنه الحق من ربهم فتخت له قلوبهم ويهديهم الله صراطا مستقيما.

٩ - وأما الذين كفروا فلا يزالون بالشقاق في مرية من الحق حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم.

هذا هو عطاء النص لمن يخلص النية للفهم. أما فهم المؤتفكين ففيه بتر للآية من محيطها بترًا ييسر الفتنة والكيد للإسلام والافتتات على القرآن. ولقد كان يمكن لمفسرينا لو أنهم تنبهوا لتطبيق مبدئهم القائل: «القرآن يفسر بعضه بعضا» أن يربطوا الآية بمحيطها ويثبتها وأن يصلوا بذلك إلى المقاصد الحقيقية للنص. ولكنهم رحمهم الله ورثوا طريقة الشرح التي تقطع النص إلى مفردات يشرح كل منها بمعزل عما سواه، إذ يقول الشارح: «قوله كذا أى كذا وكذا» فيربط المعنى باللفظ المفرد دون تعويل على دلالة النص في عمومه ولا على تضافر أجزائه. ولقد كان من نتيجة ذلك أن تسرب سوء الفهم إلى الكثير من نصوص التراث على نحو ما رأينا من أمثلة في أول هذه العجالة وفي آية الحج هذه.

والأمر أشد عجبا بالنسبة لآية سورة النجم: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» ذلك أن الأمر هنا يتعلق بنص أقصر وأكثر دلالة على إرادة الكيد للإسلام مما رأينا في سورة الحج فسياق آية النجم وما بعدها يأبى إباء تاما أن يتسق مع هذه القصة المفتراة. «يقول الله تعالى في سورة النجم: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتوهما أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى

الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى». كيف تستقيم الدعوى الكاذبة مع هذا النص وكيف يفهم الكلام؟ بل كيف ترجى شفاعتھن وهن مجرد أسماء سموھا هم وآبائهم ما أنزل الله بها من سلطان؟ ألا يمكن أن نرى التناقض الصارخ الذى من شأنه أن يثير السامعين دون أن يغريهم بالسجود؟ لقد رأينا كيف زلت قدم بعض المفسرين فرضخوا لهذه الأكذوبة وصدقوها وحاولوا إما التصالح معها وإما الاعتذار عن مضمونها إلا أبا حيان رحمه الله تعالى فإنه أنكرها وردھا فى ضوء الدلالة النحوية لعموم النفى فى «وما أرسلنا من قبلك من رسول» وإن لم ينكرها بمبدأ تفسير بعض القرآن لبعضه الآخر.

وفى القصة تناقض آخر لا يقل غرابة عما سبق إذ يروون أن النبى ﷺ حين فرغ من القراءة سجد وسجد معه من قريش من كان حاضراً أثناء التلاوة. فهل كان من طقوس الشرك أن يسجدوا للتلاوة؟ ثم تبالغ الرواية فى الدقة والتمحيص فتتص على أن شيخين من شيوخ قريش لم يستطيعا السجود لسنهما فأخذا حفنة من البطحاء سجدا عليها، ذانكم هما الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص. فلماذا سجد هؤلاء وأولئك لسماع عبارة متناقضة وسماعهم الاتهام بأنهم ما يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس؟ ثم كيف يكون الوليد بين الساجدين وفى السورة آيات تصفه بالبخل إذ يقول الله تعالى: «أفأريت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى». أليس مما هو أشبه بعنجهية الوليد وكبريائه عند سماع ذلك أن يغلظ القول للنبى ﷺ إذ إنه لا بد قد علم أن هذا الكلام قد سبق له هو دون غيره.

التناقض إذا يحيط بالفرية من جميع جوانبها ويكشف المكيدة وسوء التدبير وإرادة الكيد للإسلام ولنبيه ﷺ.

تأملات في سورتي الرحمن والواقعة

في فصل من فصول هذا الكتاب عنوانه: «فروق لغوية في القرآن الكريم» حاولت إيضاح الفرق في المعنى بين لفظي: «الرحمن» و«الرحيم» من خلال مواقع كل منهما في النص القرآني وما يصاحب كلا منهما من ملاسبات الاستعمال، وانتهيت من هذه المحاولة إلى أن هناك فرقا بين اللفظين على الرغم من اشتراكهما في أصل الاشتقاق واشتمال كل منهما على معنى الرحمة. وأحب أن أضيف هنا أن الفرق بينهما يرتبط من ناحية أخرى بالفرق بين الألوهية والربوبية من حيث إن الإله معبود والرب مستعان. ونحن نقرأ في فاتحة الكتاب ما قد يشتمل على الإشارة إلى هذا الفرق على النحو التالي:

الحمد لله

١ - رب العالمين

٢ - الرحمن الرحيم

٣ - مالك يوم الدين

٤ - إياك نعبد وإياك نستعين

٥ - اهدنا الصراط المستقيم . . . الخ

أما لفظ الجلالة «الله» فلا ندخله في هذه المقارنة بين صورتى ملاسبات الاستعمال، ثم تبدأ في رصد فروق المعنى ابتداء من صفة الربوبية «رب العالمين» فنورد تحتها ما يناسبها من رحمة «الرحيم» ومن الاستعانة بالرب وطلب الهداية منه. أما تحت «الرحمن» فنجد ماله من «ملك» وما يستحقه من «عبادة» وهكذا يمكن أن نقول إن لفظ «الرحمن» يحمل دلالة على الألوهية وإن لفظ «الرحيم» يحمل دلالة على الربوبية.

فالرحمن معبود

والرب مأمول

والناس عباد الرحمن

وعيال الرب

والرحمن ذو عدل

والرب ذو فضل

نداء الإله تسييح

ونداء الرب طلب للعون

وكلما استعان الأنبياء فى النص القرآنى بالله نادوه: «رب» أو «ربنا» أو «يارب» ولم ينادوه: «يا إلهى».

وإذا نظرنا إلى أسماء الله الحسنى وجدناها تقع فى طائفتين تتناسب إحداهما مع الرحمن وتتناسب الأخرى مع الرحيم. فالرحمن هو الملك القدوس السلام المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور القهار العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل الخبير العظيم العلى الكبير الحفيظ الجليل الرقيب الحكيم المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيى المميت الحى القيوم الواحد الماجد الأحد الصمد القادر مقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعال المنتقم مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور.

والرحيم هو المؤمن (الذى يمنح الأمان) الغفار الوهاب الرزاق الفتاح اللطيف الحليم الغفور الشكور المقيت (مانح القوت) الحسيب (الكفيل) الكريم الواسع (ذو القدرة والوسع) البر التواب العفو الرؤوف. فكل ما يتفق مع الرحيم من الأسماء يدل على العطاء والفضل وكل ما يناسب الرحمن منها يدل على القوامة والعدل.

وإذا كان الله تعالى هو العالم فهو أيضا المعلم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾

(البقرة ٢٨٢)

ومن هنا تقول الآية الأولى من سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

(الرحمن ١) وهو ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (العلق ٤) إذ ألهم الإنسان أن يكتشف الكتابة ليسجل بها تجاربه فيرجع إليها عند الحاجة ليستعين بها فى فهم ظروفه المستجدة التى

لولا انتفاعه بما سجله من تجارب الماضي لاستحال عليه الفهم. وهكذا ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق ٥) ولعل المقصود بالقرآن فى آية الرحمن هو القراءة والله أعلم. فإذا كان الأمر كذلك فإن الله علم الإنسان ما لم يعلم بواسطة الكتابة وعلمه البيان بواسطة القراءة لأن القراءة هى الممارسة الحقيقية لاستعمال اللغة ومن ثم كان تأثيرها فى تنمية ملكة الإبانة اللغوية أبلغ من أثر الخط والكتابة.

والرحمن خلق الإنسان من طين لأنه سبحانه هو الخالق البارئ المصور. وكان خلق الإنسان متأخرا جدا بالنسبة لإيجاد المخلوقات الأخرى من الجراثيم والأميبا وغيرها من المخلوقات وحيدة الخلية ثم الحشرات والزواحف وغيرها ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان ١) ولا ينبغى أن نفهم التركيب النحوى لهذه الآية بوصفه سؤالاً فالله لا يسأل عباده عما يجهلون وإنما هو جملة تعجبية معناها: ما أطول ما اتقضى من الدهر ولم يكن الإنسان فيه قد خلق ومثلها فى الدلالة على التعجب: «هل فى ذلك قسم لذي حجر». والمعروف أن أدوات الاستفهام تنقل إلى معنى التعجب مثل: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (الحج ٤٤) أو ﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١) ما الْحَاقَّةُ ﴿ (الحاقة ١ - ٢) أى ما أعظم الحاقة ويعزز هذا الفهم ما يأتى من التعجب بعد ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (الحاقة ٣) أى وما أعظم درايتك بالحاقة، وكذلك: «القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة».

وكان خلق الإنسان وتعليمه البيان نعمتين من نعم الرحمن سبحانه وتعالى تستحقان الحمد فلو أن الإنسان قارن قدرته على استعمال اللغة والتفاهم بها بعجز المخلوقات الأخرى عن الإبانة وحصر قدرتها على التواصل فى مجرد وسائل فطرية وحيدة النمط لا تخضع للإبداع الفردى كالصيحات والحركات لأدرك الإنسان أن الله تعالى كرمه بإعطائه هذه الملكة التى يستطيع من خلالها أن يظهر أفكاره حيناً عند المصارحة وأن يخفيها حيناً آخر عند المخاتلة والمخادعة وأن يجيد استعمال اللغة فى الحالتين. ثم لينظر الإنسان إلى ما غرسه الله تعالى فيه من ملكة تجعله قادراً على اكتساب اللغة فى الطفولة من خلال السماع والمشاركة فلا يكاد يصل إلى الثالثة من

عمره حتى يكون قادرا على التفاهم دون أن يعتمد على المعلم أو على التعليم المنظم قاله سبحانه وتعالى علمه البيان من خلال الممارسة التي هي صورة أخرى من النشاط الاستعمالي شأنها شأن القراءة (التي سماها الله تعالى القرآن) تلك واحدة من آلاء الرحمن التي كرم بها الإنسان .

ومن آلائه سبحانه أنه نظم الكون وجعل حركات الأجرام فيه بحسبان كما يبدو من حركات الشمس والقمر . فالمعلوم أن الأجرام الفلكية لكل منها مجاله المغناطيسى وجاذبيته وأن هذه المجالات والجاذبيات تختلف قوة وضعفا من جرم إلى جرم آخر . ولو أن هذه المجالات والجاذبيات كانت بلا حساب ولا نظام يحكمها لتناطحت الأجرام وتفتتت وانتهى أمرها إلى فساد الكون الذي نعرفه . ولولا هذه الجاذبية بالنسبة لاستقرار الإنسان فى الأرض لما كان للإنسان قرار بها ولكن الله سبحانه أسكنه الأرض وجعله خليفة فيها . انظر إلى حال الإنسان فى سفينة الفضاء إذ يخرج من نطاق جاذبية الأرض فلا يحفظ له مكانه إلا جدران السفينة التى تمنعه أن يضل فى الفضاء . ثم إن الشمس والقمر بحسبان بالنسبة لدوران الأرض حول نفسها ودوران القمر حولها وانتقال الشمس فى بروجها مما ينظم حركة الليل والنهار وفصول السنة وما لهذا التنظيم من أثر على بيئة الأرض فى أحوالها وأقواتها الخ مما يخضع الحشائش الصغيرة والأشجار الكبيرة جميعا لسنن الله تعالى فىكون خضوعهما دليلا على قدرته سبحانه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء ٤٤) فالنجم أو الحشائش الناجمة من الأرض والشجر بطاعتها لسنن الله التى نظم بها الكون يسجدان للرحمن ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (الرحمن ٦) أى يخضعان لحكمه .

والرحمن سبحانه رفع السماء فى نطاق الحسبان المذكور بما فيها من نجوم تضىء بذاتها ومن كواكب تنير بانعكاس الضوء عليها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس ٥) وجعل النجوم والكواكب دلائل يهتدى بها الإنسان فى ظلمات البر والبحر فكان رفع السماء من آلاء الرحمن التى تستحق الحمد من عباده ونعمة من

نعم الرحيم تستوجب الشكر للرب المعطي (اللهم لك الحمد بما تعاليت ولك الشكر بما أوليت).

وإذا كان الله سبحانه يسمى الرافع فمن أسمائه كذلك الخافض وقد جاء التعبير عن هذا المعنى باستعمال الفعل «وضع» في مكانين أولهما قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن ٧) والثاني قوله جل شأنه ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (الرحمن ١٠) ويستفاد من الشراكة بين الميزان والأرض في الاقتران بهذا الفعل «والله أعلم» أن المقصود بالميزان هو التوازن الذي أنشأه سبحانه بين مخلوقاته في الكم والكيف بحيث لا يكون بعض المخلوقات سببا في إفساد الحياة. فنحن نقرأ قوله تعالى:

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (المرسلات ٢٣)

﴿وَبَارِكْ فِيهَا وَقَدِّرْ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ (فصلت ١٠)

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (الأعلى ٣)

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان ٢)

﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (عبس ١٩)

﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (الزمل ٢٠)

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق ٣)

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (الأنعام ٩٦)

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (يس ٣٨)

﴿وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت ١٢)

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد ٨)

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر ٢١)

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ (المؤمنون ١٨)

﴿وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورى ٢٧)

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر ٤٩)

﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد ١٧)

هذا «القدر» وذلك «التقدير» و«المقدار» هو «الميزان» الذى نحن بصدده فيما أرى فإذا كان الرحمن قد وضع الميزان ووضع الأرض فالميزان مرتبط بالإنسان الذى يسكن الأرض ويتخذها بيئة يتبوؤها. وهنا يرد على الخاطر ما نعرفه باسم «توازن البيئة» ولو اختل توازن البيئة لفسدت الأرض. تصور مثلا أن الأرض ليس فيها أسود وثور وحيوانات أخرى مفترسة تقتات على الغزلان والأيتال والفرائس الأخرى. فلو كان الأمر كذلك لعدت هذه الفرائس لكثرتها على زروع الإنسان ومراعيه فلم يجد الإنسان ولا أنواعه طعاما وبذا تصبح الحياة الإنسانية فى خطر. وحسبنا أن نتذكر ما يجرى الآن فى أستراليا من مطاردة ملايين الأرانب بعد السماح لها بالتكاثر وتحولها إلى خطر يتهدد الاقتصاد القومى. ولنا أيضا أن نتذكر ما يحدث من انقراض بعض الطيور أو ندرتها بسبب ما شاع من استعمال الأسمدة الكيماوية السامة وكذلك ما حدث من ثقب لطبقة الأوزون فى الغلاف الجوى بسبب المبالغة فى استعمال بعض الغازات. من هنا ينبهنا الله تعالى بقوله: ﴿أَلَا تَطْفَعُوا فِي الْمِيزَانِ﴾ (الرحمن ٨) وأما قوله جل شأنه بعد ذلك مباشرة: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن ٩) فيفهم على قصد المشاكلة شأنه فى ذلك شأن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم ٥٥) إذ اتفق اللفظ واختلف المعنى. ومعنى كل ذلك أن الإنسان مطالب بالمحافظة على توازن البيئة لئلا تفسد حياته على الأرض ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد ١١) فلا شك إذا أن توازن البيئة من آلاء الرحمن.

والله سبحانه وتعالى وضع الأرض لتكون بيئة للأنام ولذا دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها وأنبت فيها من كل فاكهة زوجين كما أنبت النخل ذات الأكمم والحب ذا العصف والريحان فكانت نعم الله على أهلها لا تحصى. ثم إنه تعالى جعل فيها سبلا وفجاجا وأنهارا ومياها سلكها ينابيع فى الأرض فأسقى بذلك الأحياء فى الأرض وأولها الإنسان. والإنسان فى الأرض محمول برا وبحرا. ففى البر خلق الله له الخيل والبغال والحمير ومالا يعلم الإنسان من أصناف الركائب الأخرى وفى البحر حملة على الفلك صياداً وتاجرا ومسافرا من مكان إلى مكان حتى فى الجو سخر له الطائرات إذ هداه إلى اختراعها. ويسر له أمور الحياة على هذا الكوكب وجعله سيداً لكافة ما فيه من مخلوقات. ومن هنا كان على الإنسان أن يكون شاكراً لربه غير كافر بنعمته ولا مكذب بألآئه ولكن الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (النحل ٤)

وكذب الثقلان بهذه النعم إلا قليلا ممن أنجاه الله منهم ولا شك أن هذا التكذيب كفران بالنعم يستجلب غضب الله سبحانه على منكرى آلائه - فإذا قرأنا قوله تعالى: «فبأى آلاء ربكما تكذبان» وهو قول يتكرر فى السورة إحدى وثلاثين مرة وجدنا فيه مناطين للقول: المناط الأول لفظ «آلاء» والمناط الثانى لفظ «تكذبان» وبين المناطين علاقة سلبية هى علاقة التنافى بمعنى أن «الآلاء» تستحق الحمد وتتنافى مع الكفران والتكذيب. وفى سورة الرحمن ذكر لأمر أنعم الله بها على الإنسان فى حياته الدنيا من أول السورة إلى قوله تعالى: «سنفرغ لكم أيها الثقلان» ويبدأ بهذه الآية وما بعدها انكار على موقف الإنسان من آلاء ربه من حيث كذب بها ووقف موقف النكران الذى يستحق معه العذاب ومن هنا يكون النبر على «آلاء» ويظل هذا الإنكار إلى قوله تعالى: «ولمن خاف مقام ربه جنتان إذ يعد الله عباده بالآلاء فى نعيم الآخرة هذه مراحل ثلاث فى نص سورة الرحمن، التذكير بنعم الدنيا فالإنكار للتكذيب بها ثم الوعد بنعم الآخرة.

ومن شأن التراكيب اللغوية أن تتشابه ويختلف معناها. فلو أخذنا مثلا تركيبا مثل «ماهذا» وجدنا معناها يتعدد بحسب القرائن المحيطة باستعماله فى الكلام فيمكن أن يدل على أحد المعانى التالية:

١ - الاستفهام الطلبى (لطلب المعرفة): ما هذا؟

٢ - الاستفهام الإنكارى (للتعجب): ما هذا!

٣ - للإعجاب بأمر ما (للتعجب): ما هذا!!

وهذا الاستعمال الأخير (التعجب) الذى تستعمل فيه «ما» معروف فى الأسلوب القرآنى فى تعظيم أمر «الحاقة» و«القارعة» بدليل تعزيه بعبارة تعجبية قياسية بعده هى: «ما أدراك» أى وما أعظم درايتك.

وليست «ما» وحيدة من بين أدوات الاستفهام من حيث نقلها إلى التعجب. إذ يمكن التعجب باستعمال «هل» كما فى قوله تعالى: ﴿هَلْ تُؤَبِّبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين ٣٦) وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان ١) فالمعنى الأول ما أشد ما ثوب الكفار والمعنى الثانى ما أطول ما مر بالإنسان من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وليس الأمر مقصورا على هذه الأدوات السابقة دون غيرها من أدوات الاستفهام. فهناك أيضا «أى» التى ترد كثيرا بمعنى التعجب فى نحو قولك: (فلان فارس أى فارس) أى ما أعظمه من فارس. وقد وردت بمعنى التعجب فى القرآن الكريم فى عدد من الأماكن كما يتضح فى الآيات التالية:

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ (المرسلات ١٢) أى ليوم ما أعظمه من

يوم!

﴿مِنَ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (عبس ١٨) أى خلقه من شىء

ما أحقره!

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار ٨) أى فى صورة ما أكملها من صورة!

فالمعنى فى الآيات الثلاث على التعجب من رهبة اليوم وتفاهة الشىء الذى خلق منه الإنسان وهو النطفة وكمال الصورة التى صاغ الله الإنسان بها.

فإذا كانت «أى» من الأدوات التى تنقل إلى معنى التعجب كما رأينا فلا عجب أن تفهم معنى قوله تعالى: «قبأى آلاء ربكما تكذبان» على هذا المعنى فى المرحلتين الأولى والأخيرة من سورة الرحمن (الأولى من أول السورة إلى قوله تعالى: «سفرغ لكم أيها الثقلان» والأخيرة من قوله تعالى: «ولمن خاف مقام ربه جنتان حتى آخر السورة. والمرحلة الوسطى بين هاتين المرحلتين). فالمعنى فى المرحلتين الأولى والأخيرة: ما أعظم الآلاء التى تكذبان بها. والآلاء المذكورة تتمثل فى قوله تعالى: علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان إلى قوله تعالى: وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام. وتتمثل فى المرحلة الأخيرة فى قوله تعالى: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» ثم وصف الجنتين وقوله بعد ذلك: «ومن دونهما جنتان» ووصفهما أيضا أما بالنسبة للمرحلة الوسطى فالمعنى على الاستفهام الإنكارى الذى ينسجم مع الوعيد بأن الله تعالى سيفرغ للثقلين ليحاسبهما على التكذيب ويذكرهما بعجزهما عن الفكاك من أقطار السموات والأرض للنجاة من الحساب فالمعنى: كيف تكذبان! والنبر هنا على «تكذبان».

ومن آلاء الرحمن أيها الثقلان أن أكرمكما بما تتمتعان به من كمال نسبي فى الحلقة على الرغم من دونية أصل الحلقة لأن الله ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿ (الرحمن ١٤ - ١٥) وليس لأى من هذين الأصلين قيمة كبرى. وعلى رغم ذلك منحكما قدرة نسبية على الاختيار ولم يجعلكما عبيد الضرورة ولا حَكَمَ فيكما مطالب الفطرة كما حكمها فى غيركما من المخلوقات فما أعظم الآلاء التى تكذبان بها والله تعالى يقول: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ (الواقعة ٥٧) أما وقد عرفنا المقصود بقوله جل شأنه: «قبأى آلاء ربكما تكذبان» إما تعجبا وإما إنكاراً فإننا ندعو القارىء إلى الاحتفاظ فى ذهنه بهذا المعنى ويكفى فى كل مرة ترد فيها هذه الآية أن نعيدها بنصها.

والرحمن سبحانه ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن ١٧) وفى رأى

(والله أعلم) أن في الأمر تغليبا لأحد لفظين على الآخر كما نقول: العمران ونقصد أبا بكر وعمر. فهنا المشرق والمغرب للشس والمطلع والمغيب للقمر فقصده بالمشرقين شروق الشمس وطلوع القمر وبالغربين مغرب الشمس وغياب القمر وذلك لسبق قوله تعالى: «الشمس والقمر بحسبان» ففي اعتقاد المعنى على هذه الصفة إبقاء على جو النص لأن الإشراق والغروب أيضا بحسبان من حيث يخضع توقيتهما لفصول السنة. فبأى آلاء ربكما تكذبان!!

ومن آلاء الرحمن على عباده أن يجمع بين البحرين (أى البحر والنهر على سبيل التغليب) فيلتقيان إذ يكون البحر هو المصب للنهر ويكون منبع النهر فى شرف من الأرض فإذا وصل ماؤه إلى نقطة الالتقاء اندفع ماء النهر فشق له طريقا فى الماء المالح وتوغل فيه فكان العذب مع التوغل عذبا وظل المالح مالحا دون أن يختلط أحد المائين بالآخر وكان الأمر كذلك لمسافة معينة من الشاطئ فمن التمس ماء النهر وهو يسبح فى البحر لم يعسر عليه أن يجده عذبا كما هو ثم بعد هذه المسافة المذكورة يختلط المائان وتتغلب ملوحة البحر على عذوبة ماء النهر وفى أثناء تميز أحد المائين عن الآخر يكون الفاصل بينهما (أى البرزخ) محسوسا لمن يميزه. ويقول الله تعالى فى سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (الفرقان ٥٣) وتحت المائين على الصورة التى سبقت تجد ما يلتمسه الصيادون من اللؤلؤ والمرجان اللذين هما من ثمرات البحر لم يذهب بهما تدفق الماء العذب حين يشق فى طريقه ماء البحر فبأى آلاء ربكما تكذبان!! وإذا قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال ١٧) وكان الرمى لله لا لرسوله فإنه سبحانه يقول: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (الرحمن ٢٤) فهو الذى خلق البحر ووضع فى الماء من الخواص ما جعله صالحا لحمل السفن فلا تغرق فى مائة ثم إنه سبحانه الذى علم الإنسان مالم يعلم فهدها إلى صناعة السفن التى تمخر الماء محملة بالأنقال يوجهها الإنسان إلى حيث يشاء ليبتنى من فضل الله أو ليصطاد بها من البحر لحما طريا ويستخرج منه حلية يلبسها. فبأى آلاء ربكما تكذبان!!

كل من على الأرض مصيره إلى الفناء فالموت نهاية كل حى فلا خلود لإنس ولا لجن ولا لغيرهما من المخلوقات والرحمن وحده هو الباقي وهو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وهو موضع الرجاء من كل عباده فى السموات والأرض الذين يسألونه ويطمعونه فيما عنده إذ يعرض كل منهم شأنه الذى يشغله على ربه طالبا منه الاستجابة فكل يوم هو فى شأن من شئون عباده المتجددة يحكم فيه بالعدل أو بالفضل . فبأى آلاء ريكما تكذبان!!

كل ما سبق من آلاء هو من نعم الله على عباده فى حياتهم الدنيا إذ يشتمل النص على تعجب من عظمة الآلاء التى يكذب بها الثقلان دون أن تروعهما هذه العظمة . فإذا انتهى ذكر هذه الآلاء الدنيوية التى كذب بها الثقلان فكان هذا التكذيب كفرانا بنعم الله عليهما بدأ نص السورة يكشف عن موقف جديد يختلف عن التذكير بالنعم والإعجاب بها إلى الإنذار والوعيد وإنكار التكذيب فيحل مضمون: كيف تكذبان! محل مضمون: ما أعظم الآلاء!! وهكذا نجد قوله تعالى: ﴿سَنُفِرِّغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ (الرحمن ٣١) أى وعندما نفرغ لكم سيلقى كل مكذب بآلاء الله حسابه وجزاءه الذى يستحقه ولا يمكنه أن يهرب منه لأن الله تعالى سيسد عليه أقطار السموات والأرض فلا يستطيع الهرب إلا أن يشاء الله فإن شاء له ذلك هيا له سلطانا يعينه على النجاة من الحساب العسير أما إذا كانت مشيئة الله غير ذلك فدون الهرب لسان اللهب والدخان الخائق اللذان يحبطان أى جهد للنفذ والهرب من سوء الحساب .

فعندما تقوم الساعة وذلك هو الوقت المقصود بقوله: «سنفرغ لكم» وإذا تنشق السماء ويتحول لونها إلى الاحمرار يومئذ يعرف المجرمون بسيماهم فلا حاجة عندئذ إلى السؤال عن الذنب لأن السمة دلت على الإجرام . ففي هذا اليوم تبيض وجوه وتسود وجوه وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد سرايلهم من قطران إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وجلودهم بما كانوا يعملون فلا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فيؤخذ عندئذ بالنواصي والأقدام . وهكذا يوجهون إلى جهنم التى يكذب

بها هؤلاء المجرمون فيترددون بينها وبين ماء يغلى فلا يقل عنها حرارة: «فبأى آلاء ربكما تكذبان»!!

أما المقربون الذين يخافون مقام ربهم فلهم جنتان لكل من الثقلين جنته. ولأصحاب اليمين جنتان دون هاتين فى تمام العطاء. فللمقربين جنتان ذواتا أفنان وأغصان ملتفه ذات ظلال فيهما عينان تجريان تحت الأشجار المحملة بالثمرات وفيهما من كل فاكهة صنفان ينعم المقربون بهما وقد اتكأوا على فرش بطائنها من استبرق وودنت منهم ثمرات الجنة حتى أصبحت فى تناول اليد لا يتطلب الحصول عليها أى جهد. وفى هاتين الجنتين أزواج من الحور العين قاصرات الطرف لا ينظرن إلى غير أزواجهن وقد أنشأهن الله أبكارا لم يقربهن من قبل إنس ولا جان وهن فى حسنهن كالياقوت والمرجان. لقد أحسن المقربون طاعتهم لله سبحانه فأحسن الله إليهم بهذا النعيم فى الجنة. هل جزاء الإحسان إلا الإحسان. فبأى آلاء ربكما تكذبان!! وفى الآية هنا عودة إلى التعجب من عظمة الآلاء.

ولأصحاب اليمين جنتان دون ذلك لأنهما أقرب إلى الدهمة. فيهما عينان يندفع منهما الماء إلى أعلى وفيهما فاكهة ونخل ورمان. ثم بعد هذا وذاك فيهما خيرات هى حسان حور مقصورات فى الخيام لم يقربهن من قبل إنس ولا جان. أما أهل هاتين الجنتين فهم متكئون على رفرف خضر وعبرى حسان. تبارك اسم ربك ذى الجلال والعدل والإكرام والفضل. كل أولئك آلاء ما أعظمها وإن كذب بها المكذبون.

هذا ما أعده الله سبحانه من النعيم للسابقين ولأصحاب اليمين. ويتبين من قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن ٦٢) أن الله فضل السابقين على أصحاب اليمين فجعل جزاء أصحاب اليمين دون جزاء السابقين، ويؤخذ ذلك من نص سورة الواقعة أيضا ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١١ ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ١٢﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى ١٣ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ١٥ ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ١٧ ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ١٨﴾ لَا يَصُدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ١٩ ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢١

وَحُورٌ عَيْنٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلِّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ (الواقعة ١٠ - ٤٠) وإذا كانت الموازنة واضحة في سورة الواقعة

إذ نرى الولدان والهور يطوفون بالسابقين المقربين ولكن أصحاب اليمين لهم الحور فقط وللسابقين فاكهة مما يتخيرون من الأصناف ولأصحاب اليمين فاكهة كثيرة ثم إن السابقين لهم لحم طير مما يشتهون ولم يذكر ذلك مع أصحاب اليمين وكذلك نرى السابقين دون أصحاب اليمين هم الذين لا يسمعون فيها لغوا ولا تأتيا إلا قيلا سلامًا سلاما والفريقان بعد كل أولئك من أصحاب الجنات لهم فيها ا يشاءون كذلك يجزى الله المتقين ورضوان من الله أكبر.

أما في سورة الرحمن فالموازنة تظل أقل وضوحا حتى يوضع كل نوع من الجزاء لأحد الفريقين بإزاء ما أعد من الجزاء للفريق الآخر، فإذا تحقق ذلك ظهر أن الله سبحانه يفضل بعض الناس على بعض في الرزق ولا راد لمشيئته ولا اعتراض على أمره وفيما يلي ترتيب المقابلة بين عناصر الجزاء لكل من الفريقين:

السابقون	أصحاب اليين
ولمن خاف مقاربه جنتان	ومن دونهما جنتان
ذواتا أفنان	مدهامتان
فيهما عينان تجريان	فيهما عينان نضاختان
فيهما من كل فاكهة زوجان	فيهما فاكهة ونخل ورمان
متكئين على فرش بطائنها من استبرق	متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان
وجنى الجنتين دان	

فيهن قاصرات الطرف حور مقصورات فى الخيام
لم يطمهن إنس قبلهم ولا جان لم يطمهن إنس قبلهم ولا جان
كأنهن الياقوت والمرجان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان
وتبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرا ويبدو من هذه المقابلات ما يلى:

- ١ - أن جنتى أصحاب اليمين دون جنتى السابقين فى التنعم.
 - ٢ - أن فى جنتى السابقين أفنانا ولكن جنتى أصحاب اليمين ذات ميل إلى الدهمة.
 - ٣ - أن العينين عند الأولين تجريان وعند الآخرين نضاختان دون ذكر للجري.
 - ٤ - للسابقين من كل فاكهة صنفان وفاكهة أصحاب اليمين مجهولة الكم دون تصنيف ومعها نخل ورمان.
 - ٥ - يتكىء السابقون على فرش بطائنها من الحرير ويتكىء أصحاب اليمين على رفر فخر وعبرى حسان
 - ٦ - ذكر جنى الجنتين مع السابقين وصف بالدنو ولم يذكر مع أصحاب اليمين.
 - ٧ - الحور لدى السابقين قاصرات الطرف ولدى أصحاب اليمين مقصورات فى الخيام (لاحظ الفرق بين القاصرات والمقصورات).
 - ٨ - وهن لدى السابقين يشبهن الياقوت والمرجان ولم يذكر لهما ذلك مع أصحاب اليمين.
 - ٩ - جاءت خاتمة القول مع السابقين بالتذكير باحسانهم وجاءت الخاتمة مع أصحاب اليمين بتسبيح الله جل شأنه.
- وفى هذا ما يدل على فضل السابقين على أصحاب اليمين وكلا وعد الله الحسنى.

قصة يوسف عليه السلام كما تعرضها السورة

الغاية التي نسعى إلى بلوغها من تناول هذه القصة بالتحليل أن نكشف عن جانب بعينه من جوانب الأسلوب القرآني هو جانب القصص. وفي القرآن قصص كثير يدور بعضه حول الأنبياء ويدور بعضه الآخر حول غيرهم كأهل الكهف مثلا، وكأصحاب الجنة الذين أقسموا ليصر منها صبحين وكجنتي سبأ وكذي القرنين وهلم جرا. ويمتاز قصص الأنبياء في القرآن بأهمية خاصة لتكرار ورود القصة الواحدة منه في أكثر من سورة واحدة مع اختلاف مغزى القصة من سورة إلى أخرى بحسب ما يناسب السياق ويتم ذلك بواسطة اختلاف الزاوية التي يجرى إبرازها من القصة. ومن هناك لا يمكن أن نأخذ القصة كاملة بالاعتماد على سورة واحدة من القرآن إلا قصة يوسف عليه السلام إذ جاءت في سورة خاصة لم تتكرر بورودها في غيرها، وقد جاءت تامة كاملة حتى ليتمكن أن نلقى عليها نظرة من خلال ما نعرفه عن منهج القصص الأدبي لنرى أوجه الشبه بين منهجي القصص: القرآني والأدبي.

ذلك بأن القرآن ليس كتاب قصص وإنما هو كتاب دعوة وتشريع فإذا جاء بالقصة فإنما يأتي بها في إطار الدعوة إلى الإيمان بالله وللإشارة إلى وحدة الدعوة على رغم تعدد الأنبياء واختلاف الأزمنة والأمكنة والأقوام وعلى رغم تطور التكليف من دعوة إلى أخرى حتى اكتملت بالدعوة الإسلامية التي بلغها نبينا وحبينا محمد ﷺ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة ٣) وهكذا ينبغي أن يكون النظر إلى القصة القرآنية مختلفا عن النظر إلى القصة الأدبية فهي ليست للمتعة ولا للتذوق الأدبي المجرد ولا لفرض منهج نقدي عليها أيا كان هذا المنهج لأن القصة القرآنية فريدة في طابعها وغايتها وتكوينها، وبهذا الفهم نبدأ النظر في قصة يوسف عليه السلام، بحيث نتناول ما يبدو لنا أنه

الحق من حيث الزمان والمكان والأشخاص والبناء والسرد والحبكة والغاية وأخيرا دلالات النص .

أمَّا الزمان فالذى يبدو أنه عهد الهكسوس وهم غزاة استولوا على مصر حوالى عام ١٧٠٠ ق.م. بين الدولتين المتوسطة والحديثة، وقد جاءوا من الشرق الأدنى. وكونهم رعاة فى الأصل ربما أشار إلى أنهم جاءوا من الصحراء السورية، أو من إقليم صحراوى آخر قريب منها فهم فى الأغلب ساميون، ولهذا كان استيلاؤهم على مصر مشجعا للساميين الآخرين على الوفاة إليها وفى إطار ذلك نفهم وفادة إبراهيم عليه السلام إلى مصر كما نفهم نشاط القوافل التجارية التى كان منها القافلة التى حملت يوسف بعد انتشاله من الجب، وتشير دائرة المعارف البريطانية (مادة EGYPT) صراحة إلى أن يوسف قد جاء إلى مصر فى عهد الهكسوس. ولكن الدلالة القرآنية قد تكون أولى بأن يعتمد عليها فى هذا المقام. فالقرآن يشير إلى ملك مصر فى عهد موسى بلقب فرعون، وفى ذلك دلالة على أنه ملك مصرى أصيل يستحق هذا اللقب الذى عرف به كل ملك مصرى الأصل، أما فى عهد يوسف فإن الإشارة لم تكن إلى فرعون وإنما كانت إلى الملك أضف إلى ذلك أن الهكسوس حكموا مصر فى أسرتين هما الخامسة عشرة والسادسة عشرة، ثم انقضى حكمهم بقيام الدولة الحديثة التى استخلصت البلاد من قبضتهم، والتى منها الأسرة الثامنة عشرة التى يرى معظم الدارسين أن موسى عليه السلام ظهر فى عهدها، فإذا فرضنا أن يوسف ظهر فى عهد الأسرة الخامسة عشرة وأن بينه وبين موسى أسرتان ملكيتان هما السادسة عشرة والسابعة عشرة، فلربما رأينا الزمن بين هذين النبيين كافيا لنشوء جالية اسرائيلية محدودة العدد مجتمعة فى إقليم واحد، بحيث يمكن أن يقودها إلى الخلاص شخص واحد وأن يمشى أفرادها معا إلى مهجرهم فى زحف واحد.

وربما كان من الأدلة على أن يوسف كان فى عهد الهكسوس بلوغه مرتبة التمكين فى الأرض والسيطرة على خزائنها لأن ذلك ما كان يمكن أن يصل إليه أجنبى وافد إلى مصر فى عهد أى من الفراعين الأصلاء، أما الهكسوس الغرباء فليس غريبا عليهم أن يختاروا مشرقيا من طبيعتهم لهذا المنصب الخطير ولاسيما إذا كان صاحب رسالة ودعوة إلى عبادة إله واحد دون اعتراف بالآلهة المتعددة المحلية ﴿يَا صَاحِبِي

السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَّفِرِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴿٤٠﴾ (يوسف ٣٩ - ٤٠) ولنا أن نظن أن هذه الدعوة لم تكن قاصرة على فتيين كانا معه في السجن وإنما كانت علنية خارج السجن أيضا ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْيَنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ (غافر ٣٤) فلو أن هذه الدعوة أعلنت في عهد أحد الفراعنة الذين كانوا يرون أنفسهم آلهة من نسل الآلهة لقرأنا عن تعذيب يوسف لا عن تنصيبه أمينا على خزائن الأرض.

وأما المكان فهو بالطبع عاصمة ملك الهكسوس وكان تسمى «بوسطة» في إقليم الشرقية (أقرب أقاليم مصر إلى سيناء) وموضعها الآن بلدة «صالحجر» (والنسبة إليها: الصاوى) وليس عجيبا أن يتخذ الهكسوس عاصمة لهم في هذا الإقليم القريب إلى منشئهم الجغرافى بل إلى الصحراء التى تعد مهربا عند الهزيمة يعز التوغل فيه على جيش أمة زراعية كمصر. بل إن هذا الموقع قد يسر للقافلة أن تبيع الغلام يوسف لأحد كبار المسئولين فى الدولة (وهو العزيز أو رئيس الشرطة) ولو لم تكن العاصمة قريبة فلربما كان امتلاك الغلام من نصيب أحد الأثرياء الذين لا يرقى بهم الثراء إلى المشاركة فى تصريف الدولة وهذه حكمة أرادها الله تعالى الذى يقول ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ (يوسف ٢١) إذ لو أنه وقع فى قبضة ثرى لا خطر له لضاع فى ربة القيد وغمار الأحداث وما كان له من خطر ولا ذكر يروى.

وأشخاص القصة هم:

- ١ - يوسف عليه السلام.
- ٢ - يعقوب عليه السلام.
- ٣ - الإخوة الكبار (إخوته لأبيه).
- ٤ - الأخ الأصغر (الشقيق).
- ٥ - أفراد القافلة السيارة.
- ٦ - العزيز.

- ٧ - امرأة العزيز .
 ٨ - نسوة فى المدينة .
 ٩ - الفتيان (رفيقتا السجن) .
 ١٠ - الملك .
 ١١ - فتيان يوسف وخدمه .

فأما يوسف وأخوه فقد كانا أصغر الأبناء ولداً ليعقوب على تقدم من سنة وفترة من قوته، وفى النفس الإنسانية رقة لأصغر الأبناء ظنا أن الأب الشيخ لن يبقى لهم على قيد الحياة حتى يشبوا عن الطوق ويبلغوا أشدهم ليستغنوا عنه، وأنه إن تركهم فلن يأمن جور الوصى ولا غائلة الأيام، وهكذا يزداد للصغير رقة على رقة وهذا ما كان من يعقوب ليوسف وأخيه، مما أثار غير الإخوة الكبار وحقدهم حتى بلغ بهم الحقد مبلغ الكيد والمؤامرة. ولو أن يوسف وأخاه كانا شقيقين لكبار الإخوة، فلربما وسعهما حلم الإخوة وصبرهم، أما وهما من أم أخرى غير أهمهم فلطالما أفسدت أحقاد الضرائر قلوب أبناء الضرائر حتى ليرى أحد الأخوين الآخر فى عداد الأعداء فيكيد له ويبالغ فى الكيد حتى إنه ليستبيح لنفسه التفكير فى قتل أخيه. وكان من بين الإخوة أخ هو أكبرهم وأقلهم تأثراً بالبغضاء، فهو الذى قال لهم بعد عقدهم النية على قتله ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ (يوسف ١٠) وهو الذى قال للإخوة حين خلصوا نجياً ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ (يوسف ٨٠) ولم يكن إخوة يوسف قتلة محترفين يقتلون لشهوة القتل، وإنما كانوا يريدون التخلص من يوسف أولاً وأخيراً، ومن ثم لم يكن كيدهم ليوسف قاصراً على إرادة القتل خياراً وحيداً وإنما كان ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف ٩) وفى هذه العبارة الأخيرة «وتكونوا من بعده قوما صالحين» إعلان للتوبة قبل الوقوع فى الذنب وهو دليل على أن هذا الوقوع فى الذنب ليس من طبعهم، وإنما دفعت إليه

الظروف، وهذا ما خشيه يعقوب عند تحذيره ليوسف أن يطلع إخوته على رؤياه: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يوسف ٥) وإشارته إلى اتهام الشيطان وليس اتهام الإخوة لأن هؤلاء الإخوة وقد نشأوا في حجر نبي ما كانوا ليسلكوا سلوك المجرمين، إلا أن يرغبوا على ذلك بفعل الدوافع الطبيعية المركبة في كل إنسان.

نصل بعد ذلك إلى موقف أصحاب القافلة. إنهم خرجوا للتجارة والربح ولا شيء غير ذلك. ومن عادة القوافل أن تسلك دروبا مطروقة معروفة المعالم ومن معالمها الآبار التي يحصل المسافرون منها على الماء. وأرسلت القافلة أحد أفرادها ليرد الماء فأدلى دلوه وهو لا يدرى أن في الجب غلاما فأمسك الغلام بالدلو أو بالرشاء فأحس الوارد به فأخرجه ولشد ما كان فرحه أن يجد غلاما مهملا ملقى في الجب فصاح: ﴿يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾ (يوسف ١٩) فلماذا كان وجود الغلام بشرى ألم يكن موقفا نبيلاً منه أن يسأله عن أهله فيعيده إليهم، ولكن هذا الوارد لم يسافر طلباً للعمل الصالح، وإنما جاء وراء الربح والتجارة فلماذا لا يجعل الغلام سلعة للبيع؟ هكذا تشاور أفراد القافلة ﴿وَأَسْرُوهُ بِيْضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) وشرّوه بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾ (يوسف ١٩ - ٢٠) إذ لو لم يبيعوا هذا الغلام الصغير لكان عليهم أن يعولوه وينفقوا عليه من مالهم فيبوءوا بالخسارة دون الربح.

أما الذي اشتراه فهو العزيز، ويبدو أنه اكتهل دون أن يعقب ولدا فقال لامرأته الشابة ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف ٢١) وكان هذا الرجل مخلصاً فيما انتوى فلقد أسلم إلى امرأته غلاما دون البلوغ، وربما قرب يوسف إلى قلبه ما لمح من صباحة وجهه وقلة حيلته واستسلامه لمصيبة الرق التي يعلم الرجل ما تنطوي عليه من ضعة وقسوة وهكذا هس الرجل ليوسف وطالب امرأته أن تعامله برفق وترعاه رعاية الأم لابنها. ولعل امرأة العزيز حققت ما أوصاها به زوجها في

بادىء الأمر ولعلها حين أحضر زوجها يوسف إلى بيتها وهو غلام صغير كانت فى شرح شبابها وفتنتها، فرما بلغت العشرين أو جاوزتها بقليل ومضت السنون ما بين العشر إلى الخمس عشرة، فأصبح يوسف شابا مكتمل الشباب أما هى فلم تتخط مرحلة الشباب إلى الكهولة ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (يوسف ٢٢) ومنحه الله ما يمنح أنبياءه من التسامى فوق الشهوات والعصمة دون الوقوع فيها حتى إن حدث منه النزوع إليها فلما وقعت المراودة هيا لله لنيه يوسف من الظروف ما يحول بينه وبين الخطيئة، وذلك أنه ذكر إحسان العزيز إليه إذ أحس قدومه ﴿ وَأَنْفِيًّا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾ (يوسف ٢٥) ولا بد أن الخبر قد ذاع وانتشر فتلقته السنة النسوة فى المدينة ولقد كان لدى النساء دائما من الفراغ والتزاور مع الجارات والصديقات ما يحملها على شغل وقتها بالخوض فى سيرة غيرها ولاسيما إذا وجدت من الموضوعات ما يصلح للتناول وممارسة الغيبة. فلا عجب إذا أن يجد هؤلاء النسوة لذة فى الكلام عن فضيحة امرأة العزيز ومرادوتها لغلالمها الذى يصغرها سنا وافتنانها بحسن تكوينه وصباحة وجهه مع تهيؤ الظروف للخلو به نظراً لغياب زوجها شبه الدائم فى رعاية شئون عمله فى شرطة المدينة.

لقد كان ما آتاه الله ليوسف من الحكم والعلم تكليفا بإبلاغ رسالة التوحيد إلى الناس وكان ما علمه الله إياه من تأويل الأحاديث وسيلة من وسائل التمكين له فى الأرض ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ (يوسف ٢١) فلما زج به فى السجن استعان بما وهبه الله من ذلك من خلال صلته بصاحبى السجن، أما إبلاغه الرسالة فقد كان هذان الصاحبان أول من يسمعها، وأما تأويل الأحاديث فقد كانا أول من ينتفع به ثم نجد أحد هذين الرفيقين فى مستقبل أيام يوسف واسطة اللقاء بين يوسف والملك ذلك اللقاء الذى كان سببا فى تبرئة يوسف مما نسب إليه وفى فتح فرص المستقبل العظيم أمامه وهو المقصود بالتمكين فى الأرض.

نصل بعد ذلك إلى شخص الملك فإذا تأملنا هذا الشخص وجدناه لا يسعى على

أرض الواقع، وإنما يعتمد في تصرفاته على الرؤيا في وسط قوم لا يعتقدون صدقها ولا يؤمنون بها، بل يرونها أضغاث أحلام، ثم هو رجل غير طاغية ولا متسلط إذ يقبل من أحد سجنائه أن يمتنع عن المثول بين يديه حتى يسمع ما يقوله فيه النسوة اللاتي قطعن أيديهن، وهو كذلك ملك عادل لأنه يبنى حكمه على شهادة هؤلاء النسوة فيرد إلى يوسف حسن سمعته، وهو كريم إذ يمنح رجلا غريبا كان رقيقا حبيسا في سجنه فرصة إدارة اقتصاد بلاده ويوليه من الثقة ما يطلق يده في هذه الإدارة. كل أولئك من جوانب شخصية الملك الهكسوسى الذى كان له حظ المشاركة فى قصة يوسف وكلها جوانب توحى بالضعف أكثر مما توحى بالقوة.

أما فتیان يوسف الذين وضعوا بضاعة إخوته فى رحالهم لعلمهم يعرفونها فلا يستحقون فى الواقع أن يعدوا بين شخصيات القصة شأنهم فى ذلك شأن صاحبى السجن، لأن هؤلاء جميعا إنما كانوا فى القصة عوناً على تطوير شخصية يوسف فى القصة فهم أداة فى يده يصل بها إما إلى الاتصال بالملك أو لتنفيذ كيد الله له ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُوسُفَ﴾ (يوسف ٧٦) فهؤلاء الفتية وأولئك من قبيل ما يعرف فى وقتنا الحاضر باسم «النكرات المسرحية» الذين لا يظهرون أثناء أحداث القصة إلا فى لحظات قصيرة.

فإذا أمعنا النظر فى بناء القصة وجدنا ما يلى: تنبنى القصة فى جملتها حول شخصية مركزية وكل ما عداها فهو فى خدمة تطويرها وإبرازها. فالشخصية المركزية فى هذه القصة هى يوسف عليه السلام، فهو الذى رأى فى منامه الكواكب والشمس والقمر وهو الذى أمر ألا يقص رؤياه على إخوته وهو الذى حيكت ضده المكيدة فألقى فى الجب والتقط وبيع للعزیز وروود عن نفسه وسجن وفسر رؤيا الملك وتولى الإشراف على خزائن الأرض وطلب إحضار أخيه الشقيق ودبر الكيد لإخوته وكشف لهم عن حقيقة أمره ودعا أبويه إلى مصر وغفر لإخوته خطيئتهم. وكل شخصية عدا شخصية يوسف فهى عون فى نطاق القصة على نسبة الأحداث إليه، ومن ثم على تطور هذه الأحداث لتصبح قصة مترابطة. وهذا الترابط هو نظام الحبكة فى القصة فليست أحداثها منعزلة فأول القصة خطيئة وآخرها مغفرة لهذه الخطيئة وفيما بين هذه

الخطيئة، وتلك المغفرة نجد صراع الشهوة والفضيلة، كما نجد مقابلة الرق بالسيادة والحمول بالتفوق والفشل بالنجاح واليأس بالفرح والمرض بالشفاء وبين كل قطب من أقطاب التقابل وصاحبه إضافة منطقية عضوية إلى نسيج القصة لا يستغنى تركيبها عنها لأن كل زوج تقابلي مما سبق له دور حيوي هام في بناء القصة. أما سرد القصة فله منهجه الخاص الذي ينفرد به الأسلوب القرآني، وهو يمتاز بالأمور الآتية:

١ - الترتيب الزمني: يتدرج سرد القصة من طفولة يوسف إلى بلوغه أشده إلى رجولته تدرجا زمنيا طبيعيا لا تسبق مرحلة متأخرة منه مرحلة متقدمة في الترتيب الزمني ويتبع ذلك أن الأحداث الفرعية ذاتها تتدرج منطقيا مع نمو يوسف من الرعى إلى حمله رقيقا إلى بلوغه أشده إلى افتتاح امرأة العزيز به إلى دخول السجن حتى ينتهى به الأمر إلى ولاية خزائن الأرض واستقدام أبويه إلى مصر. والترتيب الزمني أيضا سمة من سمات تركيب الأحداث الفرعية، فلقد كان يمكن لمرحلة سابقة بعينها أن تكون في السرد علة تقال بعد معلولها فيقال مثلا: ألقوه في الجب لغيرتهم، أو أنه سجن لأن امرأة العزيز أرادت له لنفسها فاستعصم إلخ. ولكن الأحداث تجري بترتيبها الزمني الطبيعي فيكون ذلك سمة من سمات السرد.

٢ - عدم ذكر غير الضروري من الأحداث: عند تحويل أية قصة إلى مسرحية نجد المسرحية تحول القصة إلي عنصرين هامين: مناظر وحوار، فأما المناظر (السيناريو) فإننا نجد لها في صورة وصف لما يجرى من حركات، ولما هو قائم (ديكور)، وأما الحوار فهو ما يدور بين الممثلين من تبادل الكلام.

والسورة حافلة بحذف ما يقتضيه السياق من هذا النوع من الحركات العضوية والنفسية هلى حد سواء انظر مثلا إلى الشواهد الآتية وستعثر دون شك على ما حذف من أحداث هذا النوع والمقدّر المحذوف من ذلك هو ما بين قوسين:

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (١٠) (فأطاعوه ودبروا كيدهم فذهبوا إلى أبيهم) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴿ (يوسف ١٠ - ١١).

﴿ قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ (١٤) (فأمَنهم على أخيهم وأرسله معهم) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴿

(يوسف ١٤ - ١٥)

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (فألقوه في غيابة الجب) وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ قَالَ (لم يأكله الذئب) بل سولت لكم أنفسكم أمراً (يوسف ١٥ - ١٧).

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (فلم يصدقهم أبوهم) قَالَ (لم يأكله الذئب) بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿ (يوسف ١٨)

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ (فأحسوا بالحاجة إلى الماء) فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ (فتعلق يوسف بالدلو فأخرجه الرجل من البئر فلما رآه) قَالَ يَا بَشْرِي هَذَا هَذَا غُلَامٌ (وعرضه على رفاقه فتشاوروا في أمره فقررُوا حمله معهم) وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿ (يوسف ١٩)

﴿ (ثم واصلوا السير حتى وصلوا إلى مصر) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف ٢٠)

والسورة حافلة بهذا النوع من الحذف ومعظمه من قبيل الحركات العضوية أو النفسية. وإنما حسن الحذف هنا لأن المحذوف مما يقتضيه سياق النص ولقد نعلم جميعاً أن إيضاح الواضح إطالة غير مستحبة.

٣ - الاقتصار على الضروري من وصف المناظر: ولهذا لا نكاد نجد في السورة من

هذا النوع إلا عبارات قصيرة قليلة مثل:

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ

سَكِينًا وَقَالَتْ أَخْرَجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴿ (يوسف ٣١)

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (يوسف ٥٨)

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ﴾ (يوسف ٧٠)

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ (يوسف ٧٦)

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَدَ بَصِيرًا﴾ (يوسف ٩٦)

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ (يوسف ١٠٠)

وليس فى السورة من هذا النوع من الوصف إلا ما ذكرناه فى هذه الشواهد والملاحظ أن هذه الشواهد تخلو جميعا من فعل القول إلا ما نجد فى «وقالت أخرج عليهن».

٤ - ربط الأحداث المفردة بالغايات والآيات: بدءا بافتتاح القصة إذ يقول الله

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف ٦) إلى

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُسَائِلِينَ﴾ (يوسف ٧) إلى قوله ﴿وَأَوْحَيْنَا

إِلَيْهِ لَتُبَيِّنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف ١٥) إلى قوله ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا

لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف ٢١) إلى قوله ﴿كَذَلِكَ

لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ (يوسف ٢٤) إلى قوله ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾

(يوسف ٣٤) إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾

(يوسف ٥٦) إلى قوله ﴿كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ﴾ (يوسف ٧٦) إلى ما قاله يوسف آخر

الأمر: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف

١٠١) وهكذا حافظ النص على ربط الأحداث بإرادة الله أن يمكن ليوسف إذ يجتبيه

ويعلمه ويتولاه حتى يضيف إلى ما بينها من عوامل الربط ويجعلها بنية قصصية محكمة.

وهكذا نصل إلى الحكمة وهي جملة الحدث المروى. وليس سير الأحداث في هذه القصة لمجرد القصص وليست أحداثها منعزلا بعضها عن بعض وإنما تدور الأحداث حول أبناء الضرائر وتفاوت أنصباء الأبناء من محبة الأب وحقد بعض الإخوة على بعض وكيدهم لهم، ثم تدور الأحداث حول الرؤيا وتفسير الرؤيا وحول الشهوة والفضيلة والعقوبة والبراءة، كما تدور حول إنصاف الضعفاء والتمكين لهم حتى يتحقق لهم الانتصار على من ظلموهم، ثم يظنون بعد انتصارهم على تمسك بالفضيلة، وعلى تقوى من الله ورضوان، فلقد فطن كبار الإخوة من أبناء يعقوب إلى أن أباهم يمنح يوسف وأخاه من حبه وهما أثنان فقط أكثر مما يمنح بقية الإخوة وهم عصابة أكثر عددا ﴿لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْبَانًا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف ٨) ولو أن الجميع كانوا من أم واحدة لربما هان الأمر على كبار الإخوة ولكن أبناء الضرائر مجبولون دائما على التنافس حتى فى أصاغر الأمور ولعل الأب لاحظ منهم تربصا بيوسف، ومن ثم نصح يوسف بكتمان خبر الرؤيا ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ٤﴾ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ﴿ (يوسف ٤ - ٥) ويؤخذ من ذلك أن يعقوب كان عليما بتأويل الرؤيا وأنه فسر الكواكب الأحد عشر بأنهم إخوة يوسف فقد كان هذا عددهم وفسر الشمس والقمر بالأبوين وفسر سجودهم ليوسف بما سيصيبه يوسف من القوة والسلطان. وتحققت مخاوف الأب فكاد الإخوة الكبار لأخيهم الصغير لا لأنهم علموا بأمر الرؤيا بل لما لاحظوه من ميل أبيهم إلى يوسف ﴿إِذْ قَالُوا لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْبَانًا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨﴾ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ٩﴾ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة

الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٨ - ١٠﴾ ويبدو أن هذا القائل هو كبيرهم وأنه قال ذلك مغلوبا على أمره بدليل قوله «إن كنتم فاعلين» أى إن كان لابد أن تفعلوا واتهامه للكيد هنا كاتهامه لموقف الإخوة فى آخر السورة إذ ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ (يوسف ٨٠).

وألقى الإخوة يوسف فى غيابة الجب وذهبوا إلى أبيهم ليكون ويكذبون ويعرضون عليه قميصا مخضبا بدم كذب فلم يصدقهم الأب ولم يستطع أن يكشف لهم أمر كيدهم ولكنه كان يعلم من تفسير رؤيا يوسف أن يوسف سيبلغ مبلغ الرجال ويكون ذا شأن يستحق معه أن يخضع له الناس وأن يسجد له أحد عشر كوكبا والشمس والقمر، ومن ثم لا يمكن أن يكون الذئب قد أكله، ولذلك يقول الأب فى لحظة الحزن: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف ٨٦) أى أنه يعلم أن يوسف حى يرزق.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ (يوسف ١٩) وما كان لهم إلا أن يفعلوا ذلك فى مثل هذه الظروف لأنهم لم يعلموا من أين جاء بل إنهم لو علموا ما تخلوا عنه فهم تجار مسافرون والمكان خال فمن عسى أن يدل ذويه عليهم أو على اتجاه سيرهم ومنذا عسى أن يرفض فرصة للكسب سحت له دون أن يجهد نفسه للوصول إليها.

فلما بلغوا مصر ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ (يوسف ٢٠) كان السبب أن الذى يشتري الرقيق إنما يشتريه للمنفعة لا للتربية وكان يوسف وقت بيعه للعزير صغيرا غير قادر على تحمل مشقة الخدمة، ومن هنا كان أصحاب القافلة أنفسهم غير حريصين على استبقائه معهم ولا على المغالاة فى ثمنه المطلوب ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف ٢٠).

وبدا ذلك واضحا حتى من توجيه العزيز لامرأته بقوله: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف ٢١) فلم يكن النفع فى نظره أمرا واقعا وإنما كان مرجوا للمستقبل، وهكذا استقر يوسف فى بيت العزيز ترعاه امرأة فى شرخ الشباب وتحنو عليه، وقد مكن الله له وعلمه تأويل الرؤيا فضلا من عنده سبحانه فهو ولى الذين آمنوا وناصر الضعفاء من عباده، ثم بلغ أشده فزاده الله من فضله وآتاه حكما وعلما وحمله عبء الدعوة إليه، كما سيتضح أثناء إقامته فى السجن.

كانت المرأة شابة ولعل الفارق فى السن بينها وبين يوسف لم يكن يتجاوز السنوات العشر إلا قليلا فلما بلغ أشده واستوى كانت المرأة ماتزال فى شبابها فأحست فى نفسها ميلا إليه ﴿وَرَأودتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبوابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ (يوسف ٢٢) وهنا جاء دور الفضيلة فى خلق يوسف ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثَوايَ﴾ (يوسف ٢٣) وما كان لرجل آتاه الله حكما وعلما أن ينكر دور رجل أكرم مثواه وأمنه على بيته وماله، فهل يكون جزاء ربه الذى أحسن مثواه أن يفسق هو بأمرأته ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف ٢٣) وتعرضت المرأة له فكان بين شباب يغرى وفضيلة تنهى حتى لقد كاد يستجيب لها لولا أن أحس أمارات مقدم سيده (ربه) فتنبه إلى المزلق وصرف الله عنه السوء والفحشاء ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَولا أَن رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا المُخْلِصِينَ﴾ (يوسف ٢٤) وحين تنبه يوسف انطلق يجرى إلى الباب يريد الخروج ولحقت هى به فامسكت بظهر قميصه تشده إليها حتى مزقت القميص وحين فتح الباب كان الزوج أمامها ماثلا يفاعا بهذا المنظر الغريب ﴿وَاسْتَبَقَا البابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا البابِ﴾ (يوسف ٢٥) حاولت المرأة بمكرها أن تعكس دلالة الحدث وأن تستثير حمية زوجها بغية الانتقام من هذا الذى أذلك أنوثتها. لم تقل إن يوسف أراد السوء بشخصها لتجعل زوجها فى موقف القاضى،

وإنما قالت إنه أراد السوء بأهلك فصورت يوسف يتعدى على شيء هو له ليكون
 الزوج في موقع الخصومة ليوسف ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ
 أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (يوسف ٢٥) حاول يوسف أن يتبرأ من هذا الاتهام وشهد شاهد
 من أهلها (لعله الزوج نفسه) شهادة مبنية على المنطق فرأى أن تمزيق القميص من
 الخلف يدل على الملاحقة وأن يوسف أراد الهرب فلاحقته، فلما رأى مكان التمزيق
 أدان المرأة وقال ليوسف: لا تنزعج لهذا الأمر واكتمه ولا تذكره لأحد وقال لها:
 أنت صاحبة الكيد والخطيئة ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ
 كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ
 فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ
 كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿
 (يوسف ٢٦ - ٢٩) وهكذا أراد الرجل سترا للفضيحة أن يتم الأمر بالعمو عنهما،
 ولكن الأمور لم تجر كما أراد فقد انكشفت الأمور وشاع الخبر في المدينة وتناقلته
 الألسنة ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا
 لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف ٣٠) والناس يخطئون في الخلوة ويبررون في الجلوة
 ومن ثم لم تطق امرأة العزيز أن يتناول الناس سيرتها ولا يلتمسوا لها العذر أو
 يبحثوا عن مبررات سلوكها ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً
 وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ (يوسف ٣١) أرادت بذلك أن
 تريهن فتاه عيانا وأن تعرف رأيهن فيه وموقفهن منه فدعتهن لزيارتها وأعدت لهن
 مجلسا وأتت لهن بالفاكهة وأعطت كل واحدة منهن سكيناً لتقشير الفاكهة فانشغلن
 بالتقشير وبالأكل بين خرج عليهن يوسف إذ أرسلته هي بمزيد من القرى وهن
 مشتغلات بالتقشير ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ
 هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف ٣١) فلما رأت أيديهن مجرحة بالسكاكين وعيونهن

شاخصة إلى يوسف علمت أنها قد بلغت من لدنهن عذرا ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ (يوسف ٣٢) يقولون إن المرأة لا تستحي من المرأة كما يستحي الرجل من الرجل فقد تكشف المرأة للمرأة من نفسها مالا يكشفه الرجل للرجل. وإن صح ذلك فلا غرابة أن تعلن امرأة عن إصرارها على ملاحقة يوسف وتقول للنسوة ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُسَجَّنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف ٣٢) ودأبت على ملاحقته وتهديده بالسجن إن لم يستجب لرغبتها حتى ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف ٣٣) هل في الجملة الشرطية الأخيرة من هذه الآية ما يدل على أن يوسف كاد يستجيب لامرأة العزيز قبل حادثة القميص، لو لا أن ساق الله سيده إلى الباب؟ أنا أفهم القضية على النحو.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف ٣٤) ولكن لما شاع خبر الفضيحة في المدينة بدا للزوج حتى بعد أن رأى آيات براءة يوسف أن يدخله السجن في محاولة إظهاره بمظهر المعتدى، ومن ثم تبرئة زوجته وإظهار نفسه مظهر الغيور على عرضه ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف ٣٥) دخل يوسف السجن مزودا بفضل الله عليه من تأويل الأحاديث إلى الحكم والعلم وقد ظهرت آثار ذلك الفضل الإلهي فيما تلا من أيامه في السجن ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ (يوسف ٣٦) وقد رأى كل منهما رؤيا قصها على يوسف ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِينَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف ٣٦) لم يكن يوسف محترفا تأويل الرؤيا ولو كان كذلك ما قدم دعوة الفتيتين إلى عبادة الله على

* أكدت «ليسجنن» بالنون الثقيلة لأنها كانت تصر على إغراء زوجها بإدخاله السجن وأكدت «ليكونا» بالنون الخفيفة لأنها تعلم أنه لن يبالي بالسجن طالبا للفرار من الإثم ولأن السجن أحب إليه من الخطيئة.

تفسير الرؤيا ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ أَتَمَّرْتُمْ قَوْمًا خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف ٣٧ - ٤٠) وهكذا بدأ يوسف يبلغ رسالة ربه وقد انتهز فرصة وجود من يطلب منه العون ويستمع لما يقول ولا شك أن هذه المرة الأولى لم تكن الوحيدة، لأن عناية الله قد وضعت يوسف موضع القوة والسلطة والتأثير، فلا شك أنه واصل تبليغ الرسالة للناس وإن كانوا لم يستجيبوا له بإخلاص، كما يبدو من كلام الرجل المؤمن من آل فرعون إذ يقول للملأ من قومه ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ (غافر ٣٤) وهكذا قدم يوسف الدعوة إلى الله على تأويل رؤيا الفتيتين ثم قال بعد ذلك ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرَ فَيُصَلِّبُ فَنَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ (يوسف ٤١) وهكذا نجا أحد الفتيتين وهلك الآخر ولما رأى يوسف ما حاق به من ظلم ورأى أن أحد الفتيتين سينجو من السجن خطر له أن هذا الفتى ربما استطاع أن يعينه على الخروج من السجن فبادر ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ (يوسف ٤٢) ولكن الفتى فرح بالحرية والالتحاق بخدمة الملك ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف ٤٢) ولكن عناية الله ما كانت لتترك يوسف فريسة الرق والسجن والعذاب وهو الصالح المصلح والرسول المرسل. فكان لا بد من إيجاد السبب الداعي إلى إخراج يوسف من هذا المأزق.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ
أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ (يوسف ٤٣ - ٤٤) وانطلق رجال الملك

يبحثون عنمن يستطيع تأويل هذه الرؤيا دون أن يعثروا على أحد وفجأة بعد فترة من
البحث تذكر السجين السابق الذى نجا وأصبح ساقيا للملك أن رفيقا سابقا كان له
فى السجن يحسن تعبير الأحلام فطلب أن يؤذن له فى عرض رؤيا الملك على يوسف
لعله يؤولها له فيعود بالتأويل إلى الملك ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا
أُنْبِكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
(يوسف ٤٥ - ٤٦) وبنفس رضية تليق بصديق ونبي أنشأ يوسف ينصح الذين ظلموه

وألقوه فى السجن سنوات عدة ويدلهم على ما ينبغى لهم أن يفعلوا عندما تحل بهم
سنوات القحط: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا
تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ (يوسف ٤٧ -

٤٩) لقد كان هذا التأويل من الوضوح بدرجة تجعل كل من يسمعه يتساءل لم لم
يرد ذلك على خاطرى إنه السهل الممتنع ولذلك لم يكد الملك يسمع هذا التأويل
حتى أحس أنه الحق فترجع به حب الاستطلاع إلى أن يرى هذا السجين الملهم ﴿وَقَالَ
الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ﴾ (يوسف ٥٠).

لقد دخل يوسف السجن من جراء تهمة تخل بالشرف وتفسد السمعة وأهمله
المسؤولون سنوات عدة فلبث فى السجن لا يذكره أحد فلو خرج الآن معفوا عنه
لظلت التهمة لاصقة به لا يستطيع لها دفعا لذلك قرر يوسف أن يطالب بإعادة
التحقيق فى اتهامه «إن صح هذا التعبير» وأن يخاطر برفض المثول بين يدى الملك

حتى ينتهى التحقيق إلي براءته التى يعلمها سيده علما تاما إذ شهد ببراءته من قبل ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف ٥٠) أي أن سيدي يعلم أنهم يكدن لى هى بالمرادة وهن بالصمت.

طلب سؤال النسوة ولم يطلب سؤال امرأة العزيز لأنه تصور أن هؤلاء النسوة أدنى إلى مقالة الحق منها. ولقد أرسل الملك إليهن وإلى امرأة العزيز فأحضرن فلما مثلن بين يديه ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ (يوسف ٥١) فما كان عندئذ من امرأة العزيز إلا أن تعترف كما يعترف كل بطل تبهته كثرة الشهود وحصصة الحق ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف ٥١ - ٥٢) ولكنها حتى مع اعترافها لم تشأ أن تجعل نفسها بدعا بين الناس وإنما ذهبت لتلمس سبب خطيئتها لدى الطبيعة الإنسانية فى جملتها وليس فى ضعفها هى ﴿وَمَا أَبرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف ٥٣) أى أن من طبيعة النفس البشرية بعامة أن تأمر بالسوء. وهكذا برأ الله يوسف مما كادت له امرأة العزيز وعلم الناس أنه سجن ظلما فإذا خرج من السجن فى هذه الحال فإنه خروج الرجل الكريم الذى استحق حتى فى السجن أن ينادى بلقب «الصديق» وحين علم الملك براءة يوسف وأعجب بتأويله للرؤيا رأى أن يوسف من الرجال الذين ينبغى الحرص عليهم والانتفاع بهم ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف ٥٤) وربما تذكر الملك ويوسف أمر الرؤيا وتأويلها ولعل الملك استشاره فيما يحسن به أن يفعله ورأى يوسف حيرة الملك حيال المستقبل واستعداده للاستعانة به فرأى أن يعرض خدماته على الملك ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ

خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمٌ ﴿٥٥﴾ (يوسف ٥٥) فوافق الملك يوسف وتولى يوسف أمر الخزائن .

وكذلك مكن الله ليوسف في الأرض فتولى إدارة الأمور في السنوات الأربع عشرة سمانها وعجافها ولم تكن السنوات العجاف عجافا على مصر فقط بل كانت قاسية جدباء جائعة على البلاد الأخرى حول مصر . وجعلت القوافل تند على مصر طلبا للميرة من خلال التبادل السلعي وكان يوسف يتولى بنفسه أمر تزويد هذه القوافل والاتفاق مع حملة تجارتها يأتى إليه الناس فيعقد معهم الصفقات يأخذ منهم ما يعرضون ويمدهم بما اختزنه من غلة الأرض في ظل حسابات دقيقة لا تمس أقوات مصر ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (يوسف ٥٨)

عرفهم ولم يعرفوه ومن ذا الذى يخطر بباله أن يكون هذا الرجل الخطير الذى يحمل لقب العزيز ويتحكم فى تجارة مصر هو ذلك الفتى الذى قذف به إخوته فى الحب وتركوه لكافة الاحتمالات إلا احتمالا واحدا هو الذى يرونه الآن بأعينهم أما يوسف نفسه فقد أسر فى نفسه ألا يكشف لإخوته عمن يكون وأن يخفى عنهم أمر نفسه حتى يبلغ منهم جمع شمله بأخيه وأبويه وبهم أيضا وأن يجعل ذلك مفاجأة للجميع ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (يوسف ٥٩ - ٦٠)

وأسقط فى يد الإخوة وعلموا أنهم فى مأزق فتشاوروا واستقر رأيهم على إجابة ما طلب منهم ﴿قَالُوا سَتَرْنَاوَدُّ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ (يوسف ٦١) وفى العبارة الأخيرة من هذه الآية ما يدل على أن جدالا وقع بينهم قبل اتخاذ القرار . أما يوسف فقد أمر فتيانه أن يردوا إلى إخوته دون علمهم ما قدموا به من بضاعة على نية الاستبدال بها جبوبا من الخزائن وقد عرف يوسف أن إخوته إذا وجدوا بضاعتهم فى رحالهم علموا أنهم أمام رجل لا يطمع فيهم ولا يريد بهم شرا وفى ذلك ما يطمئنهم وييسر نجاحهم فى استحضار أخيه ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ

مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ
 قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ (يوسف ٦٣ - ٦٤) ويدل ختام هذه الآية
 على أنه قبل إرساله معهم مضطرا ودعا الله أن يحفظه ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا
 بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
 أَخَانًا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴿٦٥﴾ (يوسف ٦٥) أى أن وجود أخيها بصحبتنا سيزيد مقدار ما
 نكتال لأن لكل رجل بعيرا ومع أن يعقوب قبل أن يرسله معهم أراد أن يستحلفهم
 بالله ليحفظنه ولذلك ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ إِلَّا أَنْ
 يُحَاطَ بِكُمْ ﴿٦٦﴾ (يوسف ٦٦) فوعده أن يحافظوا عليه ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ
 مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ (يوسف ٦٦) ولخوفه على أولاده أن يحاط بهم أوصى يعقوب بنبيه
 بعض الوصايا لزيادة فى الاحتراس بالدخول من أبواب متفرقة فإذا أحيط ببعضهم
 نجا البعض الآخر فنفذ الابناء ما أمرهم به ابوهم فدخلوا البلد من أبواب متفرقة حتى
 وصولا إلى يوسف ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا
 تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ (يوسف ٦٩) واطمأن الأخوان أحدهما إلى الآخر وكان
 على أخى يوسف أن يحفظ سر ما يدبره أخوه وإن كان هو محور هذا التدبير ﴿فَلَمَّا
 جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ
 ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ
 بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ (يوسف ٧٠ - ٧٢).

هنا يبدأ الكيد الذى كاده الله سبحانه وتعالى ليوسف لقد بدا الأمر فى بدئه كما
 لو كان اتهامها لا يستند إلى دليل دعت إليه ظروف فقد السقاية وعدم الوصول إلى
 سارقها ولهذا جعل إخوة يوسف يردون على الاتهام بشيء من الانكار الغاضب
 ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ (يوسف ٧٣) وبهذا

الرد سنحت فرصة الكيد أن يتقدم خطوة أخرى إلى التحدى الذى يشف عن اتهام واثق مباشر ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (يوسف ٧٤) كان العرف الذى نشأ فى ظله أبناء يعقوب يجازى السارق بأن يصبح رقيقا فى ملك صاحب المتاع المسروق مدة معينة ولكن العقوبة المصرية للسارق كانت فيما يبدو أشد من ذلك ومن هنا ألهم الله يوسف أن يستخرج الحكم على السنة الاخوة فيكون أعدل وأكثر رحمة بأخيه ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (يوسف ٧٥) وهكذا أصبح الأمر بجملته فى يد يوسف يفعل به ما يشاء ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ (يوسف ٧٦) فبدا الأمر كما لو كان الأخ سارقا بحق كل ذلك واخو يوسف صامت يكتم الأمر عن إخوته كما لو كان يؤيد أنه سارق على الحقيقة. ويقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (يوسف ٧٦) أى ما كان يوسف ليعاقب أخاه بشريعة الملك وهى أكثر قسوة.

مرة أخرى سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا فجعلوا يتأرجحون بين الكذب والاستعطاف فاما الكذب فإنهم ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلِ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف ٧٧) واما الاستعطاف فإنهم ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لظَالِمُونَ﴾ (يوسف ٧٨ - ٧٩) عند ذلك يتسوا من أن يجدوا مخرجا من هذه الورطة ولم يكن أمامهم إلا أن يخلو بعضهم إلى بعض ويتناجوا فى سبيل الخلاص من هذا المأزق ﴿فَلَمَّا اسْتِيسَأُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ (يوسف ٨٠) ولم يكن مجال الحلول متسعا أمامهم فبدأ كبيرهم يلومهم ويتوجس مما عسى أن يثول إليه أمر أبيهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي

يُوسُفَ فَلَنْ أْبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
 (٨٠) ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا
 كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
 وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿ (يوسف ٨٠ - ٨٢).

حين كانوا يراودون أباهم لاصطحاب أخيهم قالوا أرسل معنا اخانا فلما أتهم
 بالسرقة قالوا إن «ابنك» سرق وفي هذا:
 أ - إثبات وقوع السرقة.

ب - توثيق الشهادة بالعلم بالواقعة

ج - الاعتذار بأنهم ما كانوا يعلمون الغيب ولا أن ذلك سيقع فماذا كان من
 الأب؟ لقد تذكر بمصيبته الجديدة مصيبة أخرى قديمة وصحا في نفسه الاتهام الأول
 الذى وجهه إلى الاخوة عند كيدهم ليوسف. لقد قال عندئذ ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
 أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف ١٨) فأعاد الاتهام
 مرة أخرى ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ
 جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (يوسف ٨٣) وما كان لشيخ كبير مثله أن يصمد
 لتكسر النصال على النصال ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبِیضَتْ عَيْنَاهُ
 مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف ٨٤) كان الاخوة ينتظرون من أبيهم أن يأسف على
 فقد أخيهم المتهم بالسرقة ولكنه فاجأهم بأنه مازال يحس بجرحه القديم الذى أصابه
 بفقد يوسف ولو أنه قال: يا أسفا على بنيامين (وهو الفقيد الجديد) ما ضاقوا بذلك
 لأنه عندهم متهم بالسرقة أما أن يأسف على يوسف فإن ذلك تذكير لهم بجرم قديم
 مازال يثقل على ضمائرهم ومن ثم كان ردهم على أبيهم إنكارا بعيدا عن التأدب
 ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا
 أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف ٨٥ - ٨٦) وبعد أن

هدأت نفس الأب قليلا لجا بالأمل إلى فضل الله ألم يقل لأبنائه: وأعلم من الله
 ما لا تعلمون؟ فلقد عاوده الرجاء أن يجمع الله شمله بولديه فقال لابنائه ﴿يَا بَنِيَّ
 اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبِئْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا
 الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف ٨٧).

فكر الأخوة أين يذهبون للتحسس من أخويهم أما أحد الأخوين فلا يعرفون ما
 إذا كان حيا أو ميتا وأما الآخر فيعلمون أين تركوه آخر عهد هم به فكان من
 الطبيعي أن يبدأوا أولا بما يعلمون فعادوا إلى مصر في رحلة تجارة ليجعلوا التجارة
 مدخلا إلى استعطف يوسف أن يتصدق عليهم بالعفو عن أخيههم ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ
 قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهَلْنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا
 إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف ٨٨) عندئذ سنحت الفرصة التي من أجلها كان

كيد الله ليوسف فلقد ذكرهم يوسف بما كان منهم من العدوان عليه والتفريط في
 أخيه ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (يوسف ٨٩) عندئذ

جمع الاخوة اشتات ما مر بهم من أحداث فانقذح في أذهانهم أنهم أمام رجل غير
 غريب عنهم ﴿قَالُوا أَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَبْغِيكَ يَا يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ
 مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ
 كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

(يوسف ٨٩ - ٩٢) هدأت النفوس والتقى الإخوة وعم الصفح والمغفرة ولم يبق إلا
 أن يسارع يوسف إلى التفكير في أبيه يريد أن يفرج عن نفسه الكرب ويكشف عنه
 الغم فقال: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ
 أَجْمَعِينَ﴾ (يوسف ٩٣) أرأيت إلى قميص ملطخ بدم كذب يبطل أثره قميص آخر
 فيه ريح صدق؟! ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ
 تُفَنِّدُون﴾ (يوسف ٩٤) فعجب له من حوله لأنه لايزال بزعمهم يهذى بحب يوسف

بعد مضي السنين ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف ٩٥) وهو الضلال المذكور في قولهم ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف ٨).

ولم يكن قول يعقوب ضلالاً لأن الإخوة عجلوا بإرسال أحدهم بشيراً يسبق القافلة ويحمل إلى الأب قميص يوسف تصديقا لما أكده يوسف من أنه عند إلقاء القميص على وجهه سيرتد إليه بصره ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿ (يوسف ٩٦ - ٩٨) لم يبق عندئذ إلا أن يستجيب الإخوة لأمر يوسف فيأتوه بأهلهم أجمعين وكان ذلك هو الذي حدث فلقد اتجه قوم يوسف جميعا إلى مصر ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف ٩٩) وجاءت لحظة تحقيق الرؤيا التي كان يوسف قد رآها وأمره أبوه عندئذ أن يكتم أمرها عن إخوته فلقد رحب بهم يوسف ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف ١٠٠) وكما يفعل النبي الصالح لم ينس يوسف أن يوجه الشكر إلى الله تعالى على ما مكن له وعلمه من تأويل الأحاديث فقال ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف ١٠١).

تلك هي أحداث القصة وفي نهايتها نرى بنى إسرائيل يستقرون في مصر وتتبدل بهم الأحوال من بعد يوسف إلى الأسوأ فينا لهم الكثير من الظلم والاضطهاد وربما رآهم المصريون من رواسب عهد الهكسوس ومازالوا مضطهدين حتى كان خروجهم

بقيادة موسى لهم بعد مئات السنين فرارا من طغيان فرعون ونرى ذلك يتردد فى أكثر من سورة فى القصص القرآنى أيضا .

ما الغاية : التى ترمى إليها هذه القصة بل التى يرمى إليها القصص القرآنى كله؟ يجب أن يعرف منذ البدء أن القرآن ليس كتاب قصص وإنما هو كتاب دعوة وكل دعوة فلا بد لها أن تنطلق من اثبات صدق نفسها وأن تحيط نفسها بالأدلة والبراهين على ذلك ومن هنا نجد الآيات القرآنية تحافظ على بيان أن النبى ﷺ إنما يعرف هذا القصص عن طريق الوحي بدليل أن هذا القصص يعد بالنسبة إليه من قبيل الغيب ويتكرر ذلك فى القرآن فى أكثر من سورة .

﴿ تَلَّكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (البقرة ٢٥٢)

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ

يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف ١٠٢)

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ

مَرِيْمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران ٤٤)

﴿ تَلَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾

(هود ٤٩)

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ (طه ٩٩)

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٤٤)

وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا

وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ ﴾ (٤٥) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا

مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص ٤٤ - ٤٦)

وهذه العبارة الأخيرة «لعلهم يتذكرون» هي مفتاح الغاية من القصص القرآنى كله . وفى قصة يوسف بالذات تبدأ القصة بقوله تعالى :

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف ٢ - ٣)

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلْسَائِلِينَ﴾ (يوسف ٧)

والآيات المذكورة أدلة على صدق الرسالة وليست مواعظ مجردة تابعة مما تخلفه أحداث القصة فهذه المواعظ آثار نفسية أما الآيات فآثار عقلية وأما فى نهاية السورة فالاستدلال على صدق الرسالة قائم بما فى قوله تعالى :

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (يوسف ١٠٢)

فمعرفة القصة وروايتها رواية صادقة لا تأتى إلا عن مشاهدة أو وحى فإذا انتفت المشاهدة فقد ثبت الوحى وهو المطلوب فإذا تفتحت العقول لإدراك هذه الحقيقة آمن الناس أما إذا لم تفتح فلا سبيل إلى إزالة الغشاوة عنها حتى مع الاجتهاد فى طلب ذلك .

﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكَرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف ١٠٣ - ١٠٥) ومن هذه الآيات التى يعرضون عنها قصة يوسف وإخوته وهى التى فيها آيات للسائلين . وتنتهى السورة بقوله تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف ١١١) .

بقى أن نلقى نظرة على بعض دلالات النص وسنجد أنه يشير إما صراحة وإما ضمنا إلى ما يلى :

١ - أن يعقوب عليه السلام كان يحسن تعبير الرؤيا وأنه بسبب هذا الإحسان أمر ابنه ألا يقص رؤياه على إخوته .

٢ - أن إخوة يوسف كانوا متهمين لدى أبيهم حتى قبل حدوث الرؤيا لأن يعقوب خاف من أنهم إذا عرفوا برؤيا أخيهم كادوا له كيداً .

٣ - أن تأويل يعقوب للرؤيا جعله حتى بعد كيد الإخوة ليوسف يأمل فى عودة يوسف ذات يوم وهو يستمتع بنعمة الله عليه ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ (يوسف ٦) وقد أشار يعقوب إلى ثقته فى وقوع ذلك مرتين إذ يقول لبنيه ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف ٨٦ - ٩٦) .

٤ - كان إخوة يوسف يحسون برابطة الأخوة بينهم إحساساً قويا قوة إحساسهم بغربة يوسف وأخيه إذ يصفون أنفسهم بلفظ عصبية ويجعلون هذا الوصف مقابلاً ليوسف وأخيه مرة وليوسف فقط مرة أخرى: ﴿ لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ (يوسف ٨) وكذلك ﴿ قَالُوا لَئِن آكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ (يوسف ١٤) .

٥ - أن تمكين الله ليوسف فى الأرض (أى مصر) بدأ ببيعه رقيقاً واستمر باستخلاص الملك له وبلغ غايته بقدوم أهله إليه .

٦ - أن عصمة يوسف كانت عصمة عن الوقوع فى الفحشاء لا عن التفكير فيها أو النزوع إليها ومن ثم يكون قدوم الزوج وإحساس يوسف بهذا القدوم تدبيراً من الله سبحانه لوقاية يوسف من الوقوع فى الفحشاء يدل على ذلك سياق النص ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ (يوسف ٢٤) .

٧ - أن الشاهد من أهلها كان يحسن تقدير الأمور تقديراً منطقياً وأغلب الظن أن

الزوج كان هو الوحيد الذى اطلع على هذه الفضيحة وأنه كان يريد كتمان خبرها ففضى فيها بنفسه وأدان امرأته وقال ليوسف لا عليك: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ (يوسف ٢٩) أى لا تدع فى الناس شيئاً مما وقع.

٨ - ولكن الخبر تسرب من خلال قوم آخرين وتناولته ألسنة النسوة بالمدينة فبدأ لزوجها بعد ما رأى آيات براءة يوسف أن يظهر امرأته بمظهر البراءة ويلقى بيوسف فى السجن ليرى الناس أنه المعتدى ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف ٣٥).

٩ - أن لفظ «رب» يأتى فى سورة يوسف بأحد معنيين:

أ - الله سبحانه وتعالى وذلك فى الآيات التالية:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ (يوسف ٦)

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف ٣٣)

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ (يوسف ٣٧)

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ (يوسف ٩٨)

﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (يوسف ١٠٠)

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ (يوسف ١٠٠)

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف ١٠١)

ب - السيد الذى تجب له الطاعة والخدمة وربما تعنو له الرقبة وذلك فى الآيات التالية:

﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (يوسف ٢٣)

﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (يوسف ٢٤)

﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ (يوسف ٤١)

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ

ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ (يوسف ٤٢)

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾ (يوسف ٥٠)

﴿إِنَّ رَبِّي بَكِيدٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف ٥٠)

١٠ - حقر النص القرآني امرأك العزيز من وجهين:

أ - قال: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ (يوسف ٢٣) ولم يقل وراوداته سيدته.

ب - قال: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ (يوسف ٢٥) ولم يقل وألفيا زوجها أو بعلمها أو نحو ذلك. وقد يظن أنها كانت ملك يمين فتسراها لولا أنها قالت ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ (يوسف ٢٥) فوصفت نفسها بأنها أهله.

١١ - ارتبطت أحداث القصة بالقميص في كل مراحلها حتى أصبح قميص يوسف عنصرا من عناصرها كما يبدو من الآيات التالية:

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف ١٨)

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ

دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ

كَيْدِكُنَّ﴾ (يوسف ٢٦ - ٢٨)

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ (يوسف ٩٣)

١٢ - يدل النص على أن استرقاق السارق كان عرفا في البيئة التي نشأ فيها أبناء يعقوب.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (يوسف ٧٥)

فقولهم «كذلك نجزي الظالمين» معناه أن عقوبة السرقة عندهم كانت الاسترقاق.
١٣ - فى النص دلالة على أن كل فرد من أفراد القافلة كان له الحق فى نصيب من الحبوب بقدر حمل بعير لأن إخوة يوسف كانوا يراودون أباهم ويطمعون إن أعطاهم أخاهم بأنهم سيزدادون كيل بعير:

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ

بَعِيرٍ﴾ (يوسف ٦٥)

١٤ - تنتهى السورة بتعزية النبى ﷺ عن عناد الكافرين بعدة أمور:

أ - أن العناد طبع فى أكثر الناس فلن يؤمن هؤلاء حتى ولو حرص النبى على هدايتهم.

ب - هذا القرآن ذكر للعالمين لا كلفة فيه عليهم فلماذا يعاندون.

ج - إنهم يعرضون عن التذكرة وهم يرون على ما لا حصر له من آيات الله فى السموات والأرض.

د - ولو أعلن بعضهم إيمانه بالله لشاب إيمانه الشرك لأنه يتقرب إلى الله بعبادة

الأصنام ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر ٣)

هـ - ألا يعلمون أنه رب غاشية من عذاب الله تغشاهم أو تقوم الساعة بغتة.

و - ما عليك إلا أن تقول هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن.

ز - كل الرسل الذين سبقوك كانوا بشراً يوحى إليهم دعوا الناس فلم يستجيبوا لهم.

ح - حتى إذا استيأس هؤلاء الرسل وعلموا أنهم اتهموا بالكذب نصرهم الله فنجى من شاء منهم وأما العذاب فهو دائماً نصيب المجرمين.

ط - إن قصص هؤلاء الرسل عبرة لمن كان له قلب فهو ليس خرافة تروى ولكنه وارد فى الكتب السماوية سابقها ولا حقها ليهتدى به المؤمنون.

بنو إسرائيل في القرآن الكريم

قلنا إن القرآن كتاب دعوة إلى الإسلام وليس كتاب قصص. فإذا اشتمل على قصص الأنبياء أو ضرب المثل بقصص عن غيرهم مالغاية من ذلك هي الدعوة إلى الله. ولعل من مقاصد القصص أيضا (إن لم يكن من أهم هذه المقاصد) إقامة الدليل على أن القرآن وحى من عند الله ماذا ثبت أنه وحى سماوى كان ذلك دليلا على صدق الرسول والرسالة لأن الرسول لم يكن من شهود الوقائع التي اشتمل عليها القصص. فمضى نهاية قصة يوسف نقرأ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (يوسف ١٠٢) ومضى نهاية الكلام عن مريم نقرأ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران ٤٤) ومضى نهاية الكلام عن رسالة نوح نقرأ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود ٤٩) ومضى نهاية قصة موسى نقرأ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤٤) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (القصص ٤٤ - ٤٦) بل إن القرآن يخاطب النبي ﷺ قائلا: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

(يونس ٩٤) ولا مجال للشك لأن القرآن مصدق لما بين يديه ومهمين عليه فإذا اختلفت رواية القصة في التوراة والأنجيل عنها في القرآن ما قاله القرآن .

تبدأ قصة بنى اسرائيل في مصر بقدوم يوسف عليه السلام إلى مصر وإيوائه في

بيت العزيز ثم دخوله السجن ودعوته صاحبي السجن إلي دين آباءه إذ يقول: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨) يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْبُ مُتَّفِرِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف ٣٧ - ٤٠) وقد واصل يوسف عليه السلام دعوته إلي

التوحيد بعد خروجه من السجن وتمكين الله له في الأرض ماتبعه بعض المصريين دون بعض ممن درجوا على عبادة آلهتهم المحلية التي وجدوا آباءهم عليها. كانت مصر في ذلك الوقت تحت حكم الهكسوس وهم غزاة جاءوا من المشرق عن طريق سيناء ومن المحتمل أن يكونوا من الشعوب السامية ولسنا نعرف شيئاً عن ديانتهم ولكننا نعلم أنهم لم يكونوا على دين الفراعنة. ولقد لقيت دعوة يوسف إلى التوحيد قبولا لدى بعض الناس مكان هذا البعض يعلن عن عقيدته غير هياب مادام الملك نفسه قد قرب يوسف وجعله على خزائن الأرض ولا بد أن تكون حفاوة الدولة بأتباعه قد استمرت بعد موته ثم ثار الأمير أحمس بالهكسوس وطردهم من مصر واضطر أتباع دين يوسف إلى كتمان إيمانهم ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (غامر ٢٨) بل إن هذا الرجل يشير إلى دعوة يوسف فيقول: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾

(غامر ٣٤) وجاء يوسف بأبويه وإخوته من البدو إلى مصر ماستقروا بها ليصبحوا جالية مزدهرة كثيرة العدد.

ربط المصريون بين بنى اسرائيل والهكسوس الذين غزوا مصر ثم طردوا منها ولم يكن هذا الربط مى صالح بنى اسرائيل. كان الاسرائيليون موضع شك وتوجس أن يكونوا عملاء للأعداء بل إن الكهنة تنبأوا لفرعون أن تكون نهاية حكمه على يد وليد من بنى اسرائيل ومن هنا أمر مرعون بذبح الذكور من مواليد بنى اسرائيل واستحياء الإناث آملا أن يحول بذلك دون تحقق النبوءة ومى ظل هذه الأوضاع ولد موسى عليه السلام. وتروى سورة القصص الظروف التى أحاطت بالوليد وحالت دون ذبحه. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ (القصص ٧ - ٩) وكانت شفاعة امراة مرعون للطفل تحقيقا لقول الله تعالى لأم موسى «ولا تخامى ولا تحزنى» وبلغ الوعد الإلهى غايته برد موسى إلى أمه لتكون مى زعم آل مرعون مرضعة له بعد أن أعرض عن غيرها من المرضع.

نشأ موسى مى رعاية آل مرعون إذ يقول له مرعون ميمما بعد: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿ (الشعراء ١٨) وكان أثناء ذلك على صلة بأمه التى أرضعته وقد عرف منها قصة ميلاده وانتمائه إلى بنى اسرائيل على رغم عيشته مى قصر مرعون. أما مى قصر مرعون مكان بالنسبة لامراة مرعون ابنا بالتبنى ولكنه كان مى نظر غيرها من أهل القصر ذلك اللقيط الذى التقطه آل مرعون ذات يوم وشب موسى عن الطوق وهو يعلم حقيقة انتمائه إلى بنى اسرائيل وإن كان لا يعلن عن ذلك على الرغم من تكرار زيارته للمرضعة التى هى أمه الحقيقية.

كان موسى رصين البنية مكتمل الحلقة قوى الأسر ويشهد على ذلك نص - القرآن الكريم . محين أخبرنا الله تعالى عن بلوغ يوسف أشده قال: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٢٢) أما التعبير عن هذه الحقيقة بالنسبة لموسى فقد اشتمل على معلى هو «استوى» إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (القصص ١٤) والشاهد الآخر قوله تعالى: ﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ (القصص ١٥) أما الشاهد الثالث فهو قول إحدى المرأتين لأبيها الشيخ: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (القصص ٢٦) كانت إقامة موسى مى قصر مرعون ويبدو أن القصر كان خارج المدينة فإذا كان لموسى أرب مى المدينة كان عليه أن يدخلها ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةً مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ (القصص ١٥) عندئذ أحس موسى بالذنب الذى اقترمه ماستغفر ربه قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (القصص ١٦) غير أن المجتمع والدولة كليهما يختصان بالنظر مى مثل هذه القضايا ويحاسبان من يرتكب مثل هذه الذنوب . ومن ثم توقع موسى شرا ﴿ وَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (القصص ١٨) لم يشأ موسى مع ذلك أن يخذل هذا الاسرائيلى ويتركه تحت رحمة المصرى ماقبل على الخصمين يريد نصر الاسرائيلى على المصرى ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

(القصص ١٩) معلم موسى من كلام المصري أن خبر واقعة القتل شاع بين الناس وأن الناس يعلمون أن القاتل هو موسى .

كان موسى بحكم نشأته فى قصر مرعون معروما لدى الحاشية وعلية القوم الذين يترددون على القصر ممن الطبيعى أن يتناول هؤلاء ما شاع من خبر القتل وأن يظهرها غضبهم لما حدث وأن يفكروا فى الاقتصاص من موسى . وكان من بين هؤلاء الملاء رجل على دين يوسف يكتم إيمانه عن مرعون وملئه ملما سمع ما يدبره زملاؤه لعقاب موسى خف إلى موسى يحذره مما يبىء له ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمُلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص ٢٠) ولم يجد موسى بدا من الاستجابة لهذه النصيحة المخلصة التى جاءت من رجل يطلع بحكم موقعه على بواطن الأمور ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص ٢١) ملأ الخوف والترقب مؤاد موسى ماصبح فى المدينة خائفا يترقب وخرج منها خائفا يترقب ملم يكن له مناص دون الهرب والنجاة بنفسه .

أين المهرب؟! ما كان لموسى أن يفكر فى الهرب إلى جهة الغرب لأسباب منها أن الصحراء الغربية غير معمورة وهى شاسعة لا يأمن المرء فيها على نفسه وأن من وراءها من الشعوب غير سامية مهى غريبة على موسى لا يعرف لغتها ولا يآلف عيشها . أما إلى جهة الشرق فهناك سيناء القريبة إلى وادى النيل يسكنها أقوام من البدو الساميين ومى شمالها الطريق التى تربط مصر بالمشرق متأتى من خلالها التجارة حينما ويأتى الغزو حينما آخر ما لخروج إليها خروج إلى هـ أرض مألومة وهكذا خرج موسى للهرب من طريق سيناء . كان شمال سيناء كما سبق يشتمل على الطريق إلى الشرق ومن هنا كانت دولة الفراعنة تعمل على حراسة هذا الطريق متنشئ عليه الحصون ونقط المراقبة . أما جنوب سيناء مكان موطن بعض القبائل البدوية ولم تكن له أهمية مى حساب الدولة كأهمية شمال سيناء . وهكذا رأى موسى أن جنوب سيناء مهرب آمن مقصده سائرا محاذيا للشاطئ الشرقى لخليج السويس

حتى انتهى إلى مدين مى المكان الذى نعرمه الآن باسم «عيون موسى» وكان هذا المكان عامرا بماء مصدره هذه العيون وإلى الجنوب منه أىكة تحول بها المكان إلى واحة تقيم بها قبيلة غير* مدين هم أصحاب الأىكة، وسمى الكان الآن «سدر».

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَن أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَن أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (القصص ٢٢ - ٢٨)

تزوج موسى إحدى ابنتى شعيب وظل مى خدمته حتى نهاية أحد الأجلين ثم بدأ يفكر مى حياة جديدة له ولأسرته مى مكان آخر يبتعد به عن مواطن الخطر. كان ذلك مى وقت الشتاء الذى يبحث الناس فيه عن الدفء ويرحبون بمنظر النار أينما وجدوها ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (القصص ٢٩) ظهرت له هذه النار عن بعد مى الجانب الغربى الميمون بل الأيمن من

* وصف الله تعالى أنبياءه فى سورة الشعراء بأخوتهم لأقوامهم إلا بالنسبة لشعيب وأصحاب الأىكة إذ يقول تعالى: «إذ قال لهم شعيب» (الشعراء ١٧٧) ولم يقل «أخوهم شعيب» وهذا شبيه بقوله فى سياق آخر «وكذب موسى» (الحج ٤٤)

جبل الطور وقد نشبت مى شجرة ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ (القصص ٣٠) ناداه الله تعالى من الشجرة ليقول له: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص ٣٠) وليسأله وهو العليم بكل شىء عما مى يمينه تمهيدا لإنشاء تكاليف مهمة تتعلق بما مى يمينه ﴿وَمَا تَلَكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾ (طه ١٧ - ١٨) كان جواب موسى عن السؤال مطنبا ملو أنه اكتفى بقوله: هى عصاى لأجاب وومى ولكنه حين سمع مخاطبهُ يقول: «إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» كان حرصه على إطالة الاتصال أقوى من أن يقف به عند الإجابة الموجزة مأضاف إلى الجواب ذكر بعض موائد العصا وأضاف إلى ذلك قوله: «ولى ميها مآرب أخرى».

كان ذكر المآرب الأخرى دون تحديد هذه المآرب كان إلهاما من الله لموسى عليه السلام ملقد جعل سبحانه هذه العصا أداة المعجزة مى ثلاثة من أهم المواقف مى رسالة موسى مهى التى غلبت سحر السحرة وهى التى ضرب بها البحر مانفلق وهى التى ضرب بها الحجر مانفجرت منه اثنتا عشرة عينا. تلك مآرب أخرى أضامها الله إلى ما كان يدور بفكر موسى. ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه ١٩ - ٢٠) ملما تحولت العصا إلى حيه ورآها موسى وهى تهتز ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (القصص ٣١) مناداه ربه سبحانه: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (القصص ٣١) ملما أقبل موسى بعد خومه قال الله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (٢١) وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيِّضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءِ آيَةٍ أُخْرَى﴾ (٢٢) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (طه ٢١ - ٢٣) لابد أن يكون موسى بعد عودته إلى الاطمئنان قد عاد إلى تلذذه الأول بخطاب الله سبحانه وتعالى وأنه يتمنى أن لو دام على هذه الحال التى لم تنهيا لإنسان قبله ولكن ما أحس به من جمال الاتصال كان لابد أن ينتهى بالتكاليف تكاليف الرسالة. وهكذا كان موسى صنيعه لربه إذ صنعه على عينه طفلا واصطنعه لنفسه رجلا.

وكان اتجاه موسى من الشاطئ لخليج السويس إلى جبل الطور استمراراً للبعد بنفسه عن قبضة مرعون ومتابعة للهروب إلى المشرق. فلما كلفه الله سبحانه بالذهاب إلى مرعون لم يجد بداً من إبداء العذر الذي من أجله هرب من مصر. محين قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (طه ٢٤) أدرك موسى ثقل المهمة مابدى عذره مى اتجاهين: الأول ما رآه نقصاً مى كفاءته لأداء الرسالة والثانى ما يتصل بالعلاقة بينه وبين مرعون ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (الشعراء ١٢ - ١٤) ماجاب الله تعالى مسألته ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْعَالِيُونَ﴾ (القصص ٣٥) ثم طمأنه بالرعاية الإلهية لهما أثناء أداء مهمتهما إذ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ (طه ٤٦) وطلب إليهما أن يقولوا لفرعون قولاً لينا لعله يذكر أو يخشى ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ (طه ٤٧) مكان ذكر السلام مى آخر قولهم هذا هو مظهر القول اللين.

ثمة قرائن تشير إلى أن مرعون موسى هو رمسيس الثانى؛ من هذه القرائن:

أ - أن رمسيس الثانى صاحب أطول مدة قضاها أحد الفراعنة على عرش مصر ملقد ظل رمسيس الثانى مى الحكم مدة سبعة وستين عاماً وذلك زمن يمكن أن يولد فيه الإنسان ويشب ويبلغ مبلغ الرجولة كما وقع لموسى عليه السلام. ويسهل مى ضوء هذه القرينة أن نفهم قول مرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِّنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الشعراء ١٨ - ١٩) لم يقبل موسى بالطبع أن يتهم بكفر النعمة نعمة التربية والرعاية لأن القتل المشار

إليه كان بطريق الخطأ ومن ثم ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء ٢٠ - ٢١) ثم كان رده على المن بسبق التربية أن قال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء ٢٢) فلو كنت تعلم يا فرعون أن الوليد الذي ربيته من بني اسرائيل لقتلته.

ب - القرينة الثانية أن في أخلاق هذا الفرعون جانبا من العدوان والتسلط وحب الذات وعد الأمانة جعله لا يبالي أن يمحو أسماء الفراعنة السابقين من بعض الآثار لسجل اسمه عليها فيسرق تاريخهم ليضيفه إلى نفسه. فلا عجب أن يقف من بني اسرائيل أولا ومن موسى ثانيا مثل هذا الموقف.

ج - والنقطة الثالثة وإن كانت لا ترقى إلى درجة القرينة تحمل عبرة أكثر مما تحمل دلالة جازمة لقد اكتشف القائمون على الآثار في مصر أخيرا أن مومياء رمسيس الثاني تعاني من نمو بعض الطحالب فيها وأنها الوحيدة من مثيلاتها التي ظهرت فيها هذه الآفة ومن ثم أرسلت إلى فرنسا لعلاج هذه الظاهرة. والمعروف أن الطحالب كائنات مائية فنموها دليل على تعرض موضعها للماء وإذا كان الأمر كذلك فإن مومياء رمسيس تكون قد تعرضت ذات يوم للماء أى للغرق في البحر فلما نجاه الله بيده دون حياته وتم تحنيطه ودفنه ظل في مقبرته لا يتعرض لعوامل الطبيعة آلف السنين فلما أخرج وأصبح جثمانه معرضا للعوامل الجوية مدة معينة نمت عليه الطحالب ولم تنم على غيرها من المومياءات.

من من نساء فرعون هي التي نصحته أن يبقى على موسى بعد أن عزم على قتله؟ إن تفرتارى هي التي تصلح إجابة على هذا السؤال فتكون هي امرأة فرعون التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وذلك للأسباب الآتية:

- ١ - المعروف أن رمسيس كان يحبها ويضعها في أعلى مواقع احترامه وتقديره.
- ٢ - لم يبق لها أولاد ذكور* ولم تكن تطمع في مرحلة العثور على موسى أن يكون لها ولد بالميلاد فطمعت في تبني موسى وأجابها رمسيس بالموافقة على طلبها.

* Wall paintings of the tomb of Nefertary. First Progress report, July 1987. A Joint Project of the Egyptian Antiquities Orgnizakion and the Getly Conservation Institute: Dr. Ga balla, P. 15.

٣ - ربما كانت نفرتارى هى المقصودة بالآية الحادية عشرة من سورة التحريم
وأنها كانت تتعبد على دين إبراهيم الذى كان يوسف فيما مضى يدعو إليه شأنها
شأن المؤمن من آل فرعون.

بدأت المواجهة بين موسى وفرعون بحوار قضى عليه بالفشل بطبعه لما يحمله من
طابع التحدى أولا ولأن موضوعه غيبى لا يخضع للتجربة الحسية. أمر الله تعالى
موسى وهارون أن يقولوا لفرعون: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
(الشعراء ١٦) فبدأ فرعون بالمن على موسى أن رباه صغيرا فأجابه موسى رافضا هذا
المن وعندئذ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿
(الشعراء ٢٣ - ٢٩) لاحظ تصاعد التحدى من موسى ومن فرعون. فموسى يقول
فى نهاية الجواب الأول: «إن كنتم موقنين» أى إن أردتم اليقين ولكنه يرد بعد ذلك
بعبارة إن كنتم تعقلون أى أن كنتم أهلا للفهم أما فرعون فقد بدأ بتعجيب من
حوله من مقالة موسى إذ قال: «ألا تستمعون» ثم نسبة بعد ذلك إلى الجنون
بأسلوب التحريض بقوله «رسولكم» و «أرسل إليكم» ثم انتهى إلى تهديده بالسجن
إن لم يتخذه إلها. وهكذا فشل الحوار فكان على موسى أن يظهر ما أيده الله به من
الآيات ﴿قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء ٣٠) فتحده فرعون أن يأتى بذلك
﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء ٣١) عندئذ أثر موسى ألا يكتفى بآية
واحدة بل أن يأتى بآيتين مما أيده الله به ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٢) وَنَزَعَ
يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴿ (الشعراء ٣٢ - ٣٣).

كان فرعون على رغم اضطهاده لبني اسرائيل يراهم جزءا من ملكه وإن كانوا هم
الجزء الخطر الذى يذكره بعهد الهكسوس من جهه والذى نشأت حوله النبوءة المعروفة

من جهة أخرى. فهم جزء من البنية الاقتصادية في البلد ويكفى أن يكون منهم قارون لتعلم أن عددا كبيرا منهم كان دونه في الغنى وهم أغنياء طامحون يقولون «ياليت لنا مثل ما أوتى قارون» أما الآخرون منهم فيمثلون الطبقة العاملة. وإذا كان هؤلاء وأولئك كذلك فإن من يحاول إخراجهم يحاول إخراج مصريين من أرضهم. من هنا كان رد فعل فرعون عندما رأى العصا تتحول إلى حية أنه ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الشعراء ٣٤ - ٣٥) وليس لفظ «عليم» هنا صفة بالعلم سيقت على سبيل المدح لموسى وإنما هو إهانة موجهة إليه بنسبته إلى كثرة اللغو. وهذا المعنى مما يفهم في ضوء الحديث الشريف المشتمل على عبارة «عليم اللسان»* وكان اتهام فرعون لموسى بكثرة اللغو بسبب تعدد ما أجاب به سؤال فرعون: القائل «وما رب العالمين» إذ نسبه أولا إلى الجنون وثانيا إلى كثرة اللغو قال الملائة لفرعون: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ (الشعراء ٣٦ - ٣٧) ولفظ «عليم» على معناه الشائع جاء هنا على مشاكلة اللفظ الأول مثل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم ٥٥).

بعث فرعون في المدائن برسل منه يبلغون السحرة برغبته في أن يحتشدوا في ضحى يوم الزينة «أى الاحتفال بمناسبة قومية» وفي الموعد المحدد نادى المنادون في المدينة يدعون الناس إلي التجمع في المكان المعلوم لعلهم يتبعون السحرة إن كان السحرة هم الغالين. ولقد طلب رسل فرعون من السحرة أن يأتوا معهم بالعصى والحبال ولعلهم أخبروهم بخير موسى وعصاه فعلم السحرة أن مهمتهم تحظى بعناية كبرى من فرعون فأروا أن هذه المناسبة فرصة لطلب الأجر إن تغلبوا على موسى ونصروا فرعون عليه ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَلْأَجْرَاءُ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِيْنَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (الشعراء ٤١ - ٤٢) ثم حل الموعد واجتمع

* عن عمر قال رسول الله ﷺ «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان» (أخرجه أحمد في المسند ط ٢٢، ٤٤، والبخاري في مسنده كما في كشف الأستار برقم ١٦٨، ١٦٩ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ط ١٨٧ وزاد نسبه إلى أبى بعلى وقال: رجاله موثوقون

الناس وبدأت المباراة فوجه السحرة كلامهم إلى موسى ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَن تُلْقِي وَإِنَّمَا أَن نَّكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿طه ٦٥ - ٦٧﴾ وسر فرعون بما رأى من علامات الخوف على موسى ولكن الله سبحانه أوحى إلى موسى فى هذا الموقف العصيب ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ (طه ٦٨ - ٦٩) عندئذ أيقن موسى بنصر ربه: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿الشعراء ٤٥ - ٤٨﴾ كانت النتيجة عكس ما تصوره فرعون تماما ومن هنا صب نغمته على السحرة ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الشعراء ٤٩ - ٥١﴾ وهكذا انتهى لقاء موسى وفرعون إلى طريق مسدود فكان على موسى أن يلتمس إخراج بنى اسرائيل من طريق آخر.

كان على موسى أن يدعو قومه سرا إلى الإيمان برسالته ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ (يونس ٨٣) لم يكن خوف هؤلاء المؤمنين من فرعون فقط وإنما خافوا كذلك من كبراء الجالية الإسرائيلية الذين يحسنون وسائل التقرب من فرعون فلو أعلن هؤلاء المؤمنون من عامة القوم عن إيمانهم لموسى لما كان من فرعون إلا أن يفتنهم بعدابه عن دينهم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿يونس ٨٤ - ٨٦﴾ كان على موسى أن ينظم أتباعه بجمعهم فى مكان واحد لتكون دعوته إياهم إلى الخروج

سرا غير منكشف لعيون فرعون فأوحى إليه ربه أن يجمعهم في حى واحد بينون به بيوتا متقابلة بينها طريق يوصل به إلى كل منها فكان ذلك أول صورة من صور «حارة اليهود» أو «الجيتو» كما يسمونها ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَمَّا بِمِصْرَ بِيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ (يونس ٨٧) أى متقابلة (قبلة اسم هيئة يفيد التقابل)* وهكذا تجمع المؤمنون من بنى اسرائيل فى حى واحد استعدادا لليوم الموعود لم يقف حتى فرعون على موسى بهذه القطيعة بينه وبين موسى وإنما كان يثير قضية موسى كلما اجتمع مع ملئه من كبراء القوم ويقول لهم: ﴿ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (غافر ٢٦) وهنا يعود إلى الظهور ذلك الرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى فى مناسبة سابقة فانقذ موسى من القتل حين ائتمر به الملائكة إذ نصحه بالهرب لقد أخبر هذا الرجل موسى بما قاله فرعون ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (غافر ٢٧) ورد ذكر هذا المؤمن من آل فرعون فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

١ - فى سورة القصص ليخبر موسى خبر المؤامرة وينصحه بالخروج .

٢ - فى سورة يس عند قوله تعالى عن رسالة موسى وهارون: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ (يس ١٣ - ١٤) وكان هذا الرجل هو الثالث الذى عزز الله به رسالة موسى وهارون كما سنرى بعد قليل .

٣ - فى سورة غافر التى استشهدنا ببعض آياتها منذ قليل . يقول الله تعالى عن تعزيز هذا الرجل لرسالة موسى وهارون: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾

* مثل ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ (الفرقان ٦٢) .

(٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿ (غافر ٢٨ - ٣٤)

ويستمر بعد ذلك كلام الرجل المؤمن الذي عزز الله به رسالة موسى وهارون:

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِئَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ (غافر ٣٨ - ٤٠).

ما كان لربانية فرعون أن يصبروا على كلام كهذا أو على تحول عن عبادة فرعون إذا جاء هذا التحول من مصرى ولا سيما إذا كان من عليه القوم المشاركين فى المشورة. من هنا ألقوا عليه ضغوطا قوية أن يعود إلى حظيرة المجتمع بإعلان اتباعه لديانتهم. ولقد أبى الرجل أن يخضع لهذه الضغوط فساجلهم دعوة بدعوة ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿ (غافر ٤١ - ٤٣)

ويصر المأل على الضغط كما يصر الرجل المؤمن على المقاومة قائلاً: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿ (غافر ٤٤) وتتغلب قوة الإيمان على قوة الضغط فيظل الرجل على إيمانه ﴿فَوْقَاهُ اللَّهُ

سَيِّئَاتٍ مَا كَفَرُوا ﴿ (غافر ٤٥) فحافظ على عقيدته ولكن يبدو أنه كان شهيد هذه العقيدة كما يفهم من قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ (يس ٢٦ - ٢٧) إشارة الآية إلى قومه في معرض الكلام عن ثبوته توحى بأن لهم صلة بموته إما على سبيل الفاعلية وإما على سبيل السببية وهو على أى الحالتين شهيد العقيدة كما يستوحى من النص.

وفيما يلي جدول يكشف بالمقارنة بين العلاقة الوثيقة بين ما ورد عن المرسلين فى سورة يس وما ورد عنهم فى السور الأخرى مما يدل على التفسير الصحيح لآيات سورة يس ويربط بينها وبين قصة موسى وهارون والرجل المؤمن من آل فرعون:

رقم	لفظ سورة يس	ألفاظ السور الأخرى
١	إذ أرسلنا إليهم اثنين	أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي (طه ٤٢)
٢	فعرزنا بثالث	وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ (غافر ٢٨)
٣	إنا إليكم ممرسلون	إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الشعراء ١٦)
٤	ما أنتم إلا بشر مثلنا	قَالُوا أَنْتُمْ مِّنْ لُّبَشَرِينَ مِثْلَنَا (المؤمنون ٤٧)
٥	إن أنتم إلا تكذبون	فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (المؤمنون ٤٨)
٦	قالوا إنا تطيرنا بكم	وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ (الأعراف ١٣١)
٧	لئن لم تنتهوا لنرجمنكم	وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (الدخان ٢٠)
٨	وليمسكنكم منا عذاب أليم	لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (الشعراء ٢٩)

رقم	لفظ سورة يس	ألفاظ السور الأخرى
٩	بل أنتم قوم مسرفون	وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (غافر ٤٣)
١٠	وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى	وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى (القصص ٢٠)
١١	اتبعوا المرسلين	اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (غافر ٣٨)
١٢	ومالي لا أعبد الذي فطرني	مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (غافر ٤١)
١٣	لا تغن عني شفاعتهم شيئاً	لَا جْرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ (غافر ٤٣)

ففى نص يس إشارات تدل على أن الرسولين هما موسى وهارون وأن الثالث الذى عززهما الله به هو هذا الرجل المؤمن من آل فرعون. أفيمكن بعد ذلك أن يقال إن الله بعث رسولا مصرياً مجهول الاسم؟

كانت تلك نهاية الرجل المؤمن من آل فرعون. أما موسى فقد تقلبت العلاقة بينه وبين آل فرعون بين الصعود والهبوط إذ اتخذت طابعاً انتهازياً أساسه المساومة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (١٣٠)﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢)﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣)﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغَوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿ (الأعراف ١٣٠ - ١٣٦).

تقع مدينة منف وهى العاصمة القديمة لمصر منذ عهد بناء الأهرام فى المكان الذى تقع به الآن مدينة البدرشين وما حولها من القرى. وكانت منف مدينة أثرية لدى رمسيس الثانى حتى إن أكبر تماثيله كان موجوداً فى قرية ميت رهينة من أعمال البدرشين وقد أخذ هذا التمثال ونقل من مكانه إلى ميدان رمسيس بالقاهرة أمام محطة السكة الحديد المركزية فليس من الغريب أن نفهم أن أحداث قصة بنى اسرائيل حدثت فى هذا الموقع من أرض مصر وأن مسرح نشاطهم كان فى ذلك المحيط الذى يشمل محافظات القاهرة والجيزة والفيوم والقليوبية والشرقية فى زماننا هذا ولم ينتشروا فيما وراء ذلك جنوباً أو شمالاً. فلما أوحى الله إلى موسى وهارون أن يتبوأ لمن آمن بهما وهم ذرية من قومهما بمصر بيوتا فمن السهل أن نتصور أن موسى اختار موقع هذه البيوت وفى ذهنه تسهيل مهمة الهرب بهؤلاء المؤمنين إلى خارج مصر فكان هذا الموقع شرقى النيل حتى لا تكون بداية الرحلة هى عبور نهر النيل وأولى المواقع بالاختيار فى ضوء الشرح الجغرافى السابق أن تكون البيوت التى أنشأها موسى فى مكان ما شرقى النيل بين حلوان والصف وكان على موسى وقومه أن يقيموا فى هذا المكان مدة تجعل الناس يظنون بهم الاستقرار والاستمرار.

وحين بدأ موسى رحلة الخروج سلك بقوم طريقاً بين تلال المقطم ولعله سلك طريق القطامية حتى انتهى إلى مكان على الشاطئ الغربى لخليج السويس بين مدينة السويس والعين السخنة وفى نيته أن يحاذى شاطئ الخليج متجهاً إلى الشمال حتى نهاية الخليج ثم يستدير من هنالك يمينا إلى جنوب سيناء وهى الأرض التى عرفها من قبل. كان خروجه مع قومه بليل ولم يفتن أحد من رجال فرعون إلى ذلك إلا بعد الفجر وقبل الشروق فلما بلغ الأمر فرعون ورجاله قرروا ملاحظتهم ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ (الشعراء ٦٠) أى وقت شروق الشمس. كان سير

موسى فى طريق محدد أما سير فوعون وجنوده فكان سير الباحث عن شىء غير محدد المكان فكان يتوقف حيناً للبحث عن يمينه وحيناً للبحث عن يساره حتى لحق بموسى فى وقت متأخر من النهار على شاطئ خليج السويس. ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿ (الشعراء ٦١ - ٦٢) فأوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء ٦٣) فسلك موسى وقومه طريقاً فى البحر ييسا فاتبعهم فرعون وجنوده فغشيهم من اليتيم ما غشيهم ففرق فرعون وطفا جثمانه على سطح الماء تدفعه الأمواج إلى الشاطئ فجاءه الله ببدنه دون حياته وجعله لمن خلفه آية تدل على قدرة الله وصدق رسالاته.

أما النجاة الحقيقية فقد كانت لقوم موسى الذين آمنوا به ولقد فرحوا بالنجاة وإن كان يدور بخاطرهم ما تركوا وراءهم من ثروة استولى عليها من بقى خلفهم من أقربائهم من بنى اسرائيل ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء ٥٦ - ٥٩) هذا ما تركه النازحون للمقيمين من بنى اسرائيل ومنه جنات وعيون وكنوز لأن النازحين لم يحملوا كل ما كان لديهم من الذهب وإن كان ما حملوه كافياً لصوغ عجل جسد له خوار. أما ما تركه فرعون وجنوده فيبانه فى سورة الدخان وفيه ذكر الزروع بدلا من الكنوز ﴿كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان ٢٥ - ٢٩) أما ميراث أرض كنعان فقد كان لقوم موسى الذين آمنوا به إذ دخلوها بعد التيه الذى استمر أربعين سنة ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف ١٣٧)

والمقصود بما كان يصنع ما كان يدبره من كيد وبما كانوا يعرشون ما أصابهم به من السنين ونقص الثمرات والله أعلم.

كان النص على ميراث الأرض (أرض كنعانيين) لبني إسرائيل الذين خرجوا في عهد فرعون خاصة وكان ذلك إنقاذاً لهم من ظلمه . أما من بعدهم من أجيال فإن دعوى ميراث الأرض تبدو بالنسبة إليهم غير مقبولة كما لو كان للعرب في العصر الحاضر أن يدعوا لأنفسهم حقاً في أرض أسبانيا أو أن انجلترا طالبت بالعودة إلى الهند أو أن الترك طالبوا بأرض البلقان الخ . فنص القرآن وغيره من الكتب المقدسة يشير إلى ارتباط ذلك الميراث بأحداث تلك اللحظة ، أو بعبارة أخرى : وعد الله بني إسرائيل النصر على الكنعانيين والاستقرار في أرضهم حسب ظروف القوة والضعف بمعنى أن يوماً مستقبلاً سيأتى يكتب الله النصر عليهم لقوم آخرين وقد حدث : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ (الإسراء ٤ - ٨).

بعد أن جاوز موسى وقومه البحر واعد الله موسى أن يتبتل له بالصيام ثلاثين ليلة في الطور فاختار موسى سبعين رجلاً من خيار قومه ليكونوا معه شاكرين فضل الله عليهم أن نجاهم من آل فرعون فلما بلغوا الطور قالوا لموسى : ﴿أَرَأَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً﴾

* ليس معنى الارث هنا أن يدعوها لأنفسهم إلى يوم القيامة فالوارثون هم الجيل الذي بعد موسى حتى انقضاء ملكهم وسيهم وتقطيعهم في الأرض أتمًا.

(البقرة ٥٥، الاعراف ١٥٥) ولا بد أن يكون قد سبق لموسى أن أخبرهم أن الله قال له لن ترانى فلما قالوا ذلك غضب الله عليهم فأخذتهم الصاعقة فدعا موسى ربه قائلا ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الاعراف ١٥٥) صام موسى ثلاثين ليلة متوالية فلما أتمها أنكر خلوف فمه فاستعمل السواك فأمره ربه أن يعود إلى الصيام عشر ليال أخرى لأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. أخبر موسى قومه عند بدء المواعدة أن مدتها ثلاثين ليلة فتوقعوا على رأس الثلاثين أن يعود إليهم موسى فلم يعد فصاغ لهم السامرى عجلا جسداً له خوار وجعله من الذهب الذى خرجوا به من مصر وأخبرهم أن هذا هو إلههم وإله موسى ولكن موسى نسى ذلك حين قرر أن يذهب إلى الطور ومن ثم شككهم السامرى فعبدوا العجل. ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠)﴾ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴿ (طه ٩٠ - ٩١) ﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الاعراف ١٥٠) عندما ألقى موسى الألواح تكسرت ثم ضم بعضها إلى بعض ووضعت فى التابوت الذى كان آية ملك طالوت فيما بعد ومعها بقية مما ترك آل موسى وآل هارون.

أراد موسى أن يقود قومه لدخول الأرض المقدسة التى كتب الله لهم فجعل على كل سبط من الأسباط الاثنى عشر نقيباً وندبهم لاستطلاع قوة الكنعانيين الذين كانوا يسكنون فلسطين فى ذلك الوقت فبالغ هؤلاء النقباء فى الاخبار عن قوة الكنعانيين وصوروهم فى صورة العمالق الذين لا يغلبون وما يزالون كذلك فى التراث اليهودى وقالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا

فَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ

الْفَاسِقِينَ ﴿المائدة ٢٤ - ٢٦﴾ وهكذا بدأت فترة النية التي لم يعرف فيها بنو اسرائيل أين يتجهون ولا إلى أين يذهبون كانت العودة إلى مصر خطرا محققا بعد أن فقد الفراغة واحدا من أشهر ملوكهم أثناء تعقب موسى وقومه وكان دخول الأرض المقدسة خطرا في نظرهم لأن فيها قوما جبارين فلم يبق لبني اسرائيل إلا أن يبقوا حيث هم في جنوب سيناء جيلا كاملا ينقضى فيه أجل الحائرين الخائفين ويظهر من بعدهم جيل جديد يقول لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله .

كان بنو اسرائيل في مصر يستمتعون بالوفرة التي تحققها الأرض الزراعية لمن يسكنها سواء من حيث المحاصيل الزراعية ومن لحوم الحيوان والطيور والأسماك النيلية . فلما تاهوا في جنوب سيناء انقطع هذا المدد فعوضهم الله سبحانه عن ذلك بالمن والسلوى فاستبشروا لهذا الطعام الجديد حيناً ولكن الملل سرعان ما دب إلى نفوسهم من الإقامة على طعام واحد ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة ٦١) وليس قول موسى لبني اسرائيل «اهبطوا مصرا» نصيحة لهم بالعودة إلى مصر فلو كان الأمر كذلك لجاز مصر ممنوعا من الصرف وإنما كان قصده من ذلك تأنيبهم للخوف من دخول الأرض المقدسة أرض الكنعانيين لأنها أرض زراعية أيضا فلو أطاعوه ودخلوا أحدا مصارها لأكلوا من بقلها وقثائها وقومها وعدسها وبصلها وكان عجب موسى شديداً أن يتوق قومه إلى هذه المحاصيل التي هي أدنى قيمة من المن والسلوى وأن يستبدلوا بالمن والسلوى .

وتخلف المطر عن بنى اسرائيل فطلبوا من موسى أن يسأل ربه السقيا فاستسقى

لقومه فقال الله سبحانه لموسى: ﴿اضْرِبْ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ﴾ (البقرة ٦٠) وكانت العصا آلة المعجزة للمرة الثالثة ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة ٦٠) بعدد الأسباط وقد علم كل أناس مشربهم. ولقد كانت معجزة الحجر من المعجزات المتكررة فكلما احتاجوا إلى السقيا ضرب موسى العصا. بهذا يكون رب العزة قد أكرمهم بالمن والسلوى طعاما وبماء الحجر شرابا فكان ينبغي لهذه النعم أن تقابل بالإيمان والشكر ولكن طبيعة هؤلاء أخذت هذه النعم مأخذ التسلي فكانها حق لهم فكفروا بأنعم الله وأكثروا من المطالب والدعاوى والكذب والتكذيب فباءوا بغضب من الله وضربت عليهم الذلة والمسكنة.

قال موسى لقومه خذوا الألواح والتزموا ما فيها فاشترطوا لذلك أن يكلمهم الله كما كلم موسى فصعقهم الله ثم أحياهم فقال لهم موسى خذوا الألواح فعادوا إلى مطلبهم فأمر الله الملائكة أن يرفعوا فوقهم الطور ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ (البقرة ٦٣) فرفعه فوقهم كما تكون المظلة فوق الرأس فقيل لهم خذوا الألواح وعليكم الميثاق ألا تضيعوها وإلا سقط عليكم الجبل فأهلككم فسجدوا توبة لله وأخذوا التوراة بالميثاق وكان سجودهم على شق واحد يرعون الجبل خوف سقوطه ثم تولوا بعد ذلك عن رعاية الميثاق.

وأصبح بنو اسرائيل يوما على قتيل بين أظهرهم فتبادلوا فيه الاتهام والتنصل وهذا معنى «فاداراتم فيها» واشتبه عليهم أمر القاتل ولم تكن القسامة قد نزلت عليهم وهي أن يقول القتيل دمي عند فلان عندئذ سألوا موسى أن يبين لهم ذلك فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ (البقرة ٦٧) فظنوه يسخر منهم فلما أصر جعلوا يراجعونه يطلبون صفتها ثم لونها حتى انتهوا إلى طلب تعيينها بعينها تقريبا ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة ٧١) وكان حكم الله فى ذلك أن يضرب القتيل ببعض هذه البقرة الذبيحة فلما ضربوه ببعضها أحيى الله ذلك القتيل فسمى من قتله فكانت تلك آية من آيات الله التى يؤيد بها أنبياءه ويكشف بها لعباده عن قدرته ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٧٣).

يقص القرآن الكريم قصص بنى اسرائيل فيبين نعمته التي أنعم عليهم وتفضيله إياهم على العالمين وأنه جعل منهم أنبياء وجعلهم ملوكا وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ونجاهم من عدوهم وأنزل عليهم المن والسلوى ورزقهم من الطيبات وأورثهم مشارق الأرض التي بارك فيها ومغاريبها ومن ثم يطالبهم بشكر هذه النعم المتعددة فماذا كان موقف بنى اسرائيل من شكر هذه النعم؟ لقد عرفنا من الصفحات السابقة ما فعله قوم موسى من عبادة العجل والمطالبة برؤية الله جهرة والامتناع عن الالتزام بالميثاق إلا أن يكلمهم الله كما كلم موسى وعدم الصبر على طعام واحد ورفض الدخول إلى القرية ومطالبة موسى أن يذهب هو وربّه للقتال.

أما بعد موسى وبعد أن قطعهم الله في الأرض مما فقد كان منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ولكن الصالحين منهم كانوا قلة أما جمهورهم فكانوا دون ذلك إن الله سبحانه يدافع عن أنبياء بنى اسرائيل وعن الصالحين منهم ولكن كتابه العزيز يشتمل على ذكر تجاوزات قام بها اليهود وبخاصة منهم الجالية اليهودية التي شهدت ظهور الاسلام في شبه جزيرة العرب. لقد كان لهؤلاء كثير من التجاوزات التي منها دعاوى لا دليل عليها وممارسات للغش والمخادعة ومخالفات للمعايير والأحكام ثم تأتي عقوبات فرضها الله عليهم بسبب هذه التجاوزات.

أ - دعاوى لا دليل عليها:

١ - ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٨٠)

٢ - ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة ٩٤ - ٩٥)

٣ - ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ١١١)

٤ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران ٢٤)

٥ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران ٧٥)

٦ - ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (آل عمران ١٨١)

٧ - ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُتِمَ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران ١٨٣)

٨ - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ٦٥ - ٦٨)

٩ - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة ٦٤)

١٠ - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة ١٨)

١١ - ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهَدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام ٩١)

١٢ - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة ٣٠)

١٣ - ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شَبَّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء ١٥٧ - ١٥٨)

١٤ - ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأعراف ١٦٩)

ب - غش و خداع :

١ - ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٧٦)

٢ - ﴿وَقَالَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران ٧٢)

٣ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء ٥١)

٤ - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا
بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ
يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ
فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ
قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة ٤١)

٥ - ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ
تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا
كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف ١٦٣)

٦ - ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة ٥٨ - ٥٩)

٧ - ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ
وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة ١٣)

٨ - ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة ١٥)

٩ - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة ٧٩)

١٠ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْمُنُونِ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ٨٤ - ٨٥)

١١ - ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (البقرة ١٠١ - ١٠٢)

ج - عقوبات:

كان لابد لعدالة الله سبحانه وتعالى أن تجازى كل هذه التجاوزات بالعقاب سواء أكان التجاوز واقعا في حياة موسى أم بعد ماته إلى عهد الرسالة المحمدية ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأعراف ١٦٩) فأما في عهد موسى فيمكن أن نلخص العقوبات التي حاقت ببني اسرائيل جزاء لتجاوزاتهم

على النحو التالي :

١ - الصاعقة أو الرجفة :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة ٥٥)

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ
أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ
وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (الأعراف ١٥٥)

٢ - الغضب والذلة :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَرَأَيْتُمْ أَيُّ الذَّلِيلِ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالذَّلِيلِ
هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ
مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة ٦١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلِيلَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ﴾ (الأعراف ١٥٢)

٣ - التتية :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ
مُلُوكًا وَأَنَّا كُنتُمْ مِّن قَوْمٍ أَدْحُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي
كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢٦) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا

قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُمُ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿المائدة ٢٠ - ٢٦﴾

٤ - الخسف :

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْ نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿القصص ٧٦ - ٨٢﴾

٥ - المرض :

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ

أَتَرِ الرَّسُولِ فَبَيِّدْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ (طه ٥٩ - ٩٨)

وأما عقوبات من جاءوا بعد موسى وهم المعروفون باسم اليهود فهي أكثر من ذلك نظرا لكثرة التجاوزات وتنوع صور المعصية والتحايل على حدود الله وغير ذلك مما سبق أن ذكرناه تحت عنواني «دعاوى لا دليل عليها» و «غش وخداع» ومن هذه العقوبات ما يلي:

١ - رجز من السماء:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ (البقرة ٥٨ - ٥٩)

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿ (الاعراف ١٦١ - ١٦٢)

٢ - المسخ:

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ (البقرة ٦٥ - ٦٦)

﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينَانَهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ مَبِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف ١٦٣ - ١٦٦)

٣ - اللعن :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٨٧ - ٨٩)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء ٤٤ - ٤٦)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ

اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿النساء ٥١ - ٥٢﴾

﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة ١٣)

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (المائدة ٥٩ - ٦١)

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة ٧٧ - ٧٩)

٤ - الذلّة:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران ١١٢) (سوانظر ما سبق في البقرة ٦١ والاعراف ١٥٢). ولاحظ أن أمريكا توقّر لهم حبلا من الناس.

٥ - غضب الله:

﴿بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَاءٌ وَبِعْضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿ (البقرة ٩٠)

٦ - العذاب:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (الأعراف ١٦٧)

٧ - تحريم الطيبات:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّا وَقَدْ نَهَوْا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿ (النساء ١٦٠ - ١٦١)

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿ (الأنعام ١٤٦)

٨ - السخط:

﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿ (المائدة ٨٠)

٩ - القهر:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ

لِيَسُوِّرُوا وُجُوْهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

(الاسراء ٤ - ٨)

١٠ - الجلاء عن الديار:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

(الحشر ٢ - ٤)

المهين (النبوي) لبعض سور القرآن الكريم

١- سورة الفرقان

تبدأ السورة بتزويه الله سبحانه وتعالى عما يقوله الكافرون من نسبة الولد إليه فهو سبحانه .

١ - ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١) ﴿ (١).

ب - ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ

فِي الْمُلْكِ ﴾ (٢) ﴿ (٢).

ج - ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٢) ﴿ (٢).

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ

ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (٣) ﴿ (٣).

لم يكتف هؤلاء بخطيئة الكفر بالله وهي أم الخطايا بل ذهبوا يتناولون القرآن من جهة والنبي عليه السلام من جهة ثانية، فأما طعنهم في القرآن فقد اتهموه:

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ (٤) ﴿ (٤).

* ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٥) ﴿ (٥).

وقد جاء الرد على ذلك بقوله:

* ﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (٤) ﴿ (٤).

* ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٦).

بل لقد تجاوزوا اتهامه بالإفك والأساطير إلى الطعن في كونه مُنجمًا غير مجتمع الآيات عند نزوله.

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (٣٢).

وقد جاء الرد على هذا التحضيض بقوله:

﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (٣٢).

أى جعلناه أرتالاً يتلو بعضها بعضاً في النزول ليكون تثبيت قلبك مستمرا وأما طعنهم على النبي صلى الله عليه وسلم فكان في جملة استنكارا لبشريته وانتقاصا لها فالرسول لا يكون بزعمهم إلا ملكا أو مؤيدا بالملائكة.

﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٧).

وقد جاء الرد على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ

لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (٢٠).

ثم اعترض الكافرون بقولهم: ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ (٧) أو

يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ (٧، ٨).

وقد جاء الرد على ذلك بقوله تعالى:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾ (١٠).

بل لقد لجوا في عتو ونفور فذهبوا إلى أبعد من ذلك:

﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ (٨).

فكان الرد على ذلك:

﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (٩).

وقد صدق الله تعالى إذ لم يجدوا سبيلا إلى النيل منه.

ليس ذلك فحسب:

* ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ (١١).

وقد جاء الرد على تكذيبهم بالوعيد بقوله تعالى:

* ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَدْلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ (١١ - ١٥).

لم يقف هؤلاء الكافرون عند جحد القرآن وتكذيب النبي وإنكار الساعة بل تناولوا علي رب العزة.

* ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ (٦٠).

وجاء الرد على ذلك تنزيها لله الذي خلق لهم مالا يعجز عن إدراكه وفهم معناه إلا العمى الذين لا يرون والصم الذين لا يسمعون:

* ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (٦٢).

وهل يعجز عن إدراك السراج (أى الشمس) والقمر المنير واختلاف الليل والنهار إلا من يأبى التذكر والشكور لم تكن هذه الردود على مزاعمهم وكفرانهم هى كل ما اشتملت عليه السورة فالله سبحانه يؤيد نبيه بالأمثال حيث يقول:

* ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (٣٣).

وهكذا يضرب الله الأمثال لهم من أنواع ثلاثة:

أ - أمثال تذكرهم بمصائر الكافرين.

ب - أمثال تلفت الأنظار إلى ظواهر كونية لا يقدر على خلقها إلا الله.

ج - أمثال تحدد صفات عباد الله الصالحين.

فمن النوع الأول:

١ - ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزَيْرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاَهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ (٣٦).

٢ - ﴿ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٣٧).

٣ - ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ (٣٨، ٣٩).

٤ - ﴿ وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾ (٤٠).

ومن النوع الثاني:

١ - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (٤٥، ٤٦).

٢ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (٤٧).

٣ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا

(٤٨) لِنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بِهِنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴿ (٤٨ - ٥٠).

٤ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ (٥٣).

٥ - ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (٥٤).

ومن النوع الثالث:

١ - ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (٦٣).

٢ - ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (٦٤).

٣ - ﴿ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿ (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٦٦) ﴿ (٦٥ ، ٦٦).

٤ - ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧).

٥ - ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ (٦٨).

٦ - ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٦٨).

٧ - ﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ (٦٨).

٨ - ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (٧٢).

٩ - ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (٧٣).

١٠ - ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

إِمَامًا ﴾ (٧٤).

يضرب الله المثل بعباده هؤلاء ليعرف الكافرون معالم الطريق إلى الخلاص ولاسيما أن الله سبحانه يعد عباده هؤلاء بقوله:

* ﴿ أُولَئِكَ يَجْزُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٧٥، ٧٦).

وهكذا نجد بنية السورة تقوم على دعوى وإنكار وضرب للأمثال

دَعْوَى أَنْ لِلَّهِ وَلَدًا وَالرَّدَّ عَلَى ذَلِكَ

إِنْكَارُ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ مَصْدَرِ إِلَهِيٍّ وَالرَّدَّ عَلَى ذَلِكَ

اسْتِنْكَارُ بَشَرِيَّةِ الرَّسُولِ وَالْحُضْضُ عَلَى نَزُولِ الْمَلَائِكَةِ وَالرَّدُّ عَلَى ذَلِكَ

إِنْكَارُ مَعْرِفَةِ الرَّحْمَنِ بَعْدَ نِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ فِي بَدَايَةِ السُّورَةِ وَالرَّدُّ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ.

أمثال يضربها الله تعالى من ثلاثة أنواع هي مصائر الكافرين والتذكير بخلق الله والتعريف بعباد الرحمن ومعنى أن للسورة هيكلًا بنيويًا أنها تتجه إلى موضوع واحد هو ما يسوقه الكفار بزعمهم من مأخذ ثم:

أ - لا يظل مأخذ من ذلك بلا جواب يطله

ب - قد يجاب عن أحد المآخذ بآية في السورة بينها وبين المآخذ المزعوم آيات

طوال كالرد على كون الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق مثلاً.

٢- سورة الشعراء

تبدأ السورة بالإشارة إلى آيات الكتاب المبين:

* ﴿ طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ (١، ٢).

وتعد بعد ذلك من الآيات تسعا بعضها ظواهر كونية وبعضها من قصص الأنبياء

وآخرها آية من نوع خاص هي آية القرآن الكريم نفسه. تقدم السورة لسرد الآيات بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى:

* ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ إِنَّ نَشَأَ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣ - ٦﴾.

ما المقصود بالآية التي لو شاء الله لنزلها من السماء أهي القرآن الكريم؟ ربما كان هو الآية كما يشهد قوله تعالى:

* ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾.

مهما يكن من شيء فإن السورة تسرد ما اشتملت عليه من الآيات وبعد كل آية من الثماني الأوليات يأتي قوله تعالى:

* ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٧﴾﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩٧﴾

(٩٨ - ٧٦ - ٦٨ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٩٠ - ١٩١).

وانفردت الأخيرة وهي آية القرآن الكريم بأن ورد بعدها نص الآية (١٩٧) السابق، فما تفصيل تلك الآيات التي انتهت كلها بتذييل واحد لم تختلف فيه واحدة عن أخواتها إلا الأخيرة منها، نستطيع أن نورد هذه الآيات بحسب ترتيبها في السورة على النحو التالي:

١ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾.

وواضح أن المقصود بالزوج هنا الصنف من أصناف النبات. وهو المعنى الواضح في آيات أخرى مثل:

* ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ .. ﴿الأنعام ١٤٣﴾﴾.

* ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿طه ٥٣﴾﴾.

* ﴿ وَأَنْبَتَ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج ٥).

* ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ (لقمان ١٠).

* ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ (يس ٣٦).

* ﴿ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ (ص ٥٨).

* ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ (الشورى ٥٠).

* ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (ق ٧).

* ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذُّكْرَ وَالْأُنثَى ﴾ (النجم ٤٥).

* ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (الرحمن ٥٢).

* ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ (الواقعة ٧).

* ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (التكوير ٧).

٢ - ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا

يَتَّقُونَ .. ﴾ (١٠ - ٦٦).

وفى هذه الآيات السبع والخمسين تأتي قصة رسالة موسى إلى فرعون بشيء من التفصيل مع إبراز التقابل بين ضعف موسى وإنتصاره وقوة فرعون وإهلاكه، وهذا التقابل هو الآية المقصودة.

٣ - والآية الثالثة نبأ إبراهيم.

* ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ

أَصْنَامًا فَفَنظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ

يَضُرُّونَ ﴾ (٦٩ - ١٠٢).

ولقد كان منطلق إبراهيم هنا واضحا كل الوضوح إذ شرح لقومه نعم الله عليه (وهو يقصد أن يقول لهم إن هذه نعمه عليكم أيضا) وحين دعا إبراهيم ربه سأله العفو والمغفرة له ولكنه كذلك استغفر لأبيه لاجهلا منه باستحقاقه للنار ولكن ﴿عَنْ مَرْيَمَ وَعَدَّهَا بِأَيِّهَا﴾ إِذ ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم ٤٧) وكذلك: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (المتحنته ٤) وكذلك بين إبراهيم مصير الكافرين يوم القيامة حين ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نَسَوَيْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (٦٩ - ١٠٢).

٤ - ورابعة الآيات خبر نوح:

* ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٠٥ - ١٢٠).

فاستكبر قومه أن يؤمنوا به ليكونوا مع الأذلين في قرآن وهددوه بالرجم فدعا ربه أن يفتح بينه وبين قومه فكانت قصة الطوفان ونجاة نوح ومن معه وغرق الكافرين. ٥ - والخامسة قصة عاد قوم هود:

* ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٢٣ - ١٣٩).

ثم ذكّرهم هود بأن قصورهم التي بينونها عبث لا خلود له وأن بطشهم وجبروتهم معصية لله الذي أمدهم بالأنعام والبنين والجنات والعيون وخوفهم آخر الأمر من عذاب يوم عظيم فكان ردهم عليه أنه لا فائدة من وعظه لأنهم يتبعون ما كان عليه آباؤهم أما العذاب الذي هددهم به فقد قالوا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (١٣٨) فلما كذبوه أهلكهم الله.

٦ - والسادسة آية قوم صالح وناقاة الله .

* ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (١٤١ - ١٥٨) .

وعظهم صالح كيف يمنحهم الله الأمن في جنات وعيون وزروع ونخل وبيوت منحوتة في الجبال ثم لا يتَّقُونَ الله بعد كل ذلك بل يطيعون المسرفين منهم الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون فأنكروا عليه أن يكون بشرا مثلهم ثم يدعى الرسالة وتحذوه أن يأتيهم بآية فكانت قصتهم مع الناقاة وكان هلاكهم بما صنعوا .

٧ - والآية السابعة ما حدث لقوم لوط .

* ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (١٦٠ - ١٧٣) .

أنكر من فعلهم أنهم يأتون الذكران ويذرون الأزواج فهددوه بالطرده من ديارهم فدعا ربه أن ينجيه مما يعملون فاستجاب الله دعاءه ونجاه وأهله إلا امرأته ودمر الآخرين بأن جعل عاليها سافلها وأمطر عليهم مطرا ﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ .

٨ - ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (١٧٦ - ١٨٩) .

دعاهم إلى إيفاء الكيل وألا يكونوا من المخسرين وأن يزنوا بالقسطاس وألا يبخسوا الناس أشياءهم ولا يفسدوا في الأرض، فاتهموه بأنه واقع تحت سحر ما لأنه ليس إلا بشرا مثلهم فلا بد أن يكون كاذبا وتحذوه أن يسقط عليهم كسفاً من السماء إن كان صادقا فأخذهم عذاب يوم الظلة التي كانت بسبب الكسف التي طلبوها .

٩ - وآية الآيات التي هي غاية في ذاتها وما سبق فهو وسيلة إليها هي آية القرآن

الكريم .

* ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوْلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (١٩٢ - ١٩٦) ثم يقول .

* ﴿ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٩٧) .

ثم يقول إن هؤلاء الكفار ديدنهم العناد فلو أن الله أنزل هذا القرآن العربي المعجز على نبي أعجمي ثم جاء هذا النبي ليقراً القرآن على كفار مكة ما آمنوا به ولا صدقوا معجزة قراءته لنص عربي معجز والقارئ أعجمي وهكذا كان عنادهم عندما سلكه الله القرآن في قلوبهم فأبوا أن يؤمنوا وهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم أفكذلك يستعجلون العذاب .

ثم تعود إحدى آيات السورة إلى تلخيص ما سبق فتقول: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ (٢٠٨) .

وإلى القرآن فتقول: ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴾ (٢١٠ - ٢١٢) .

وما تنزل الشياطين إلا على الشعراء الذين يلقون السمع إليهم ويتبعهم الغاوون وما غوايتهم إلا أنهم يهيمون في كل واد ويكذبون في شعرهم من جهتين: أ - أنهم ينسبون إلى أنفسهم أفعالا لم تكن منهم ولا لهم كلقاء حبيبة لا وجود لها والتصدي لأعداء لم يخلقوا والانتساب إلى فضائل لم تكن لهم ونسبتها بالمدح إلى قوم لم تكن لهم أيضا .

ب - أن شعرهم يقوم على مجازات واستعارات متنكبا المعاني الحقيقية وهذا هو قوام صناعتهم وبضاعتهم فلو التزموا الحقيقة ما اتبعهم الغاوون ولا راج شعرهم ولا كانوا شعراء .

غير أن من الشعراء من آمنوا بالله ورسوله وتنزهوا عن النقائص التي تحت (أ) وإن لم تكن لهم حيلة في تجنب ما تحت (ب) لأن المجاز لبّاتُ الشعر وقرا ميده.

وهكذا تبدو بنية السورة قائمة على أساس:

أ - الإشارة إلى الآيات قبل إيرادها.

ب - تعليق إنزال الآية على مشيئة الله.

ج - إيراد ثمانى آيات من ظواهر الطبيعة وقصص الأنبياء بعد كل آية منها يقول

تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿

د - إيراد آية الآيات وغاية الغايات وهى القرآن الكريم ثم السؤال التقريرى:

﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

٣- سورة النمل

تبدأ السورة بقوله تعالى:

﴿ طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يقيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾ (١ - ٦).

فماذا عسى أن تكون الآيات المشار إليها التى تشتمل عليها هذه السورة من سور القرآن؟ إنها من ثلاثة أنواع:

١ - خوارق .

٢ - بينات .

٣ - أجوبة تشتمل على وعيد .

وسنورد كلا من هذه الطوائف الثلاث على حدة ثم نمثلها جميعا فى بنية متراسة .

أولاً - الخوارق. اشتملت السورة من هذه الطائفة على تسع خوارق ترتبها كما يلي:

أ - من قصة موسى وهى أولى القصص فى سورة النمل نجد ما يلي:

١ - ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

العَالَمِينَ ﴾ (٨).

٢ - ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (١٠).

٣ - ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِغْيَاسٍ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ (١٢).

ب - ومن قصة سليمان نجد:

٤ - ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ (١٦).

٥ - ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾

(١٨).

٦ - ﴿ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ (٢٢).

٧ - ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾

(٤٠).

ج - ونجد من قصة صالح ما يلي:

٨ - ﴿ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٥٠).

د - ومن قصة لوط.

٩ - ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (٥٨).

فهذه الآيات جميعا من خوارق الطبيعة وفى ارتباطها بقصص الأنبياء ما يجعلها معجزات من آيات الله التى يؤيد بها رسله إلى خلقه.

ثانيا - البينات: وهى جميعا دلائل على قدرة الله وألوهيته وترد فى صورة أمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن يحمد الله ويسلم على رسله الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته فاحسنوا تبليغها وكانوا أمناء عليها ثم يرتب على هذا الأمر ستة من الأسئلة يعقبها أمر آخر وذلك على النحو التالى:

١ - ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩).

٢ - ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهُ﴾ (٦٠) أى أفعل ذلك إله مع الله!؟

٣ - ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ (٦١).

٤ - ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (٦٢).

٥ - ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (٦٣).

٦ - ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٦٤).

ويأتى الأمر الثانى للنبى صلى الله عليه وسلم أن يقول ما من شأنه أن يتمم الدلائل السابقة على ألوهية الله.

٧ - ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْتَدُونَ﴾ (٦٥).

ثالثا - الأجوبة المشتملة على الوعيد: وهذه الأجوبة تترتب على سؤال إنكارى ساقه الكفار.

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٧ - ٦٨﴾ .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ (٧١) .

وهنا تأتي الأجوبة المشربة بالوعيد على النحو التالي:

١ - ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ .

٢ - ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٧٤ ، ٧٥) .

٣ - ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٧٨) .

٤ - ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ﴾ (٨٠ ، ٨١) .

٥ - ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٨٢) وربما كان لفظ تكلمهم مأخوذاً من الكلم وهو الجرح والأذى الذى تسببه الأمراض غير المألوفة كفقْد المناعة .

٦ - ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٨٣ - ٨٥) .

٧ - ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (٨٧) .

ثم تختتم السورة بالإشارة إلى جملة الآيات إذ يقول تعالى:

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٣) ﴿ (٩٣).

٤- سورة القصص

تبدأ سورة القصص بقوله تعالى:

﴿ طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١ - ٣).

وهكذا تدور السورة في مجملها حول الآيات في قصة موسى من ميلاده إلى مبعثه إلى ما حاق بفرعون وملئه من عقوبات إلى آيات صدق القصة كما أوردها القرآن الكريم. وسنورد هذه الآيات مرتبة على النحو التالي:

١ - آيات الميلاد

٢ - أيتا المبعث

٣ - آيات العقاب

٤ - آيات التصديق

وفي كل مجموعة من هذه الأربع عدد من الآيات البينات:

أولا - آيات الميلاد: والمقصود ما بعد الميلاد فلقد قصت علينا السورة علو فرعون في الأرض واضطهاده بنى إسرائيل ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤).

ولاشك أن قرار فرعون بذبح الأبناء والإبقاء على النساء المولودات كان قرارا متسما إما بطلب المنفعة وإما بالغباء فأما طلب المنفعة فربما تصور أن الإبقاء على النساء إبقاء على جوارى المستقبل وإما الغباء فلو قرر ذبح النساء لقضى على الطائفة فى جيل واحد هو جيل الأحياء من الذكور لأن الطائفة لن يكون لها من النساء ما يبقى على الذرية. وهكذا أنقذ الله بلطفه قوم موسى من الفناء ولأمر ما لا يعترف

الإسرائيليون اليوم يهودى إلا أن تكون أمه يهودية أما من أمه غير يهودية فلا يشفع له عندهم أن يكون أبوه من أعيان اليهود.

من هنا يكون المدخل إلى آيات الميلاد لأن الله تعالى ألهم أم موسى أن تلقيه فى اليم خوفا عليه:

١ - ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (٨) وهذه هى الآية الأولى ثم.

٢ - ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ (١٢).

٣ - ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ (١٣) فكانت أمه ترضعه أجيبة

لآل فرعون.

وهكذا أبقى الله على موسى ليتعرع فى رعاية فرعون الذى ربما كان يجهل جهلا تاما أنه من بنى إسرائيل حتى لقد سأله عندما سمعه وهو يبلغه الرسالة الإلهية ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء ١٨) وهكذا صنع الله موسى على عينه وحاطه حتى بلغ أشده وحمل الرسالة وأخرج قومه من قبضة فرعون.

ثانيا - آيتا المبعث: لم تذكر السورة من آيات الرسالة إلا اثنتين هما اللتان حدثتا عند أول تكليف بالرسالة أما جملة ما أيد الله به موسى فقد كانت تسع آيات ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (الإسراء ١٠١) هى العصا واليد والظوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وانفلاق البحر والسنين ولكن سياق أحداث القصة يختار من هذه الآيات التسع ماله صلة بالموقف فى كل مرة تروى فيها قصة موسى فى القرآن.

أما الآيتان المذكورتان هنا فهما:

١ - ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ

أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ (٣١).

٢ - ﴿ اسْأَلْكَ يَدَكُ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهْبِ ﴾ (٣٢).

وكانت هاتان الآيتان برهانين إلى فرعون وملئه على صدق الرسالة:

ثالثا - آيات العقاب: لم تكن الآية هي العقاب نفسه ولكنها كانت الطريقة التي تم بها العقاب من فلق البحر إلى خسف الأرض إلى غير ذلك. فأما فلق البحر فهو إحدى الآيات التسع لأنه كان نصرا لموسى على فرعون ودليلا على صدقه.

١ - ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُ وَجُودَهُ فَبَدَّنَاهُمْ فِي أَيْمٍ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠).

وأما الخسف فقد كان عقاب البطر والغرور والتباهى وقد وقع هذا العقاب على قارون ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (٧٦) فلم يرفعو بل ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (٧٨).

٢ - ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٨١).

والآية الثالثة سنة من سنن الله تعالى هي إهلاك القرى البطرة وإزالة النعمة التي كانت سبب البطر ليكون ذلك آية لمن يأتي بعد ذلك ومدعاة له إلى تجنب هذه الخطيئة المهلكة وهي خطيئة البطر.

٣ - ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٥٨).

وهذا الإهلاك نفسه لا يكون إلا تأييدا للرسالات ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلِهَا ظَالِمُونَ ﴾ (٥٩).

رابعا - آيات التصديق: أى تصديق كون القرآن من مصدر إلهي وأنه ليس من

كلام محمد عليه الصلاة والسلام ولا من كلام أى بشر آخر. فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قارئاً ولا كاتباً وحين جاءه الوحي وأمره بالقراءة (بمعنى التلاوة) قال «ما أنا بقارئ» (أى لا أقرأ ما يكتب) ثم إنه بشر ولد فى مكة ثم لم يبق على قيد الحياة إلا ثلاثاً وستين سنة لم يشهد شيئاً من هذه الآيات التى تقصها السورة قبل الميلاد ولا شهد شيئاً بعده وإذا لم يشهد شيئاً قبل ميلاده فإن مجيئه بالخبر الصادق عنه مهيمنا على ما بين يديه من الكتب ومصححا بعض أخبارها لابد أن يكون آية على صدق رسالته وعلى أن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى.

ولهذا تكرر فى القرآن نفى أن النبى كان فى موقع الأحداث عند حدوثها وقد أشرنا إلى ذلك فى كلامنا عن سورة يوسف. وفى قصة موسى أحداث ذكرت فى هذا الصدد هى: خطاب الله تعالى لموسى من خلال الشجرة ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ (٣٠) ففضى الله إليه الأمر والحدث الثانى لقاء موسى بشعيب وابنتيه فى أهل مدين ومن هنا تأتى الآيات على النحو التالى:

١ - ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ

الشَّاهِدِينَ﴾ (٤٤).

٢ - ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٤٥).

٣ - ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ

مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٦).

وهكذا يكون نفى المشاهدة مع صحة الخبر دليلاً على نزول الوحي ودفعا لنسبة

القرآن إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

٥. سورة العنكبوت

تَشْتَمِلُ سورة العنكبوت على وعد للمؤمنين وفضح للمنافقين وأمثال للكافرين.

وتبدأ السورة بسؤال مهم ﴿الَمْ (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١ - ٤﴾.

هكذا كانت البداية تهوينا على المستضعفين من المسلمين ودعوة لهم إلى الصبر ثم تأتي بعد ذلك عناصر البنية .

أولاً - الوعد: وهو أهم ما يمكن أن يدعو المستضعفين إلى الصبر على أذى المشركين:

١ - ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٥).

٢ - ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ (٦).

٣ - ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ

الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧).

ثانيا: الفضيحة: وهى لكشف المنافقين المتسترين وراء إعلان كلمة التوحيد وهم يكيدون للإسلام:

١ - ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ

اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ

الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠).

٢ - ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ (١١).

ثالثا - الأمثال: يأتى التمهيد لهذه الأمثال فى صورة تعقيب على ما قاله الذين كفروا للذين آمنوا:

* ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ

مِنَ خَطَايَاهُمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (١٢ ، ١٣).

ثم تتوالى الأمثال بذكر من سبق من كفار القرون الأولى إذ أهلكتهم الله لتكذيبهم أنبياءه:

١ - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٤).

٢ - ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٦).

* ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٤).

٣ - ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَنآتُونَ فَأَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٨).

* ﴿ ولما أن جاءت رسلنا لوطا ساء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوا وأهلك إلا أمر أتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون ﴾ (٣٣ - ٣٥).

٤ - ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ (٣٦).

﴿ فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ (٣٧).

٥ - ﴿ وعادا وشمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ﴾ (٣٨).

٦ - ﴿ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين ﴾ (٣٩)

ثم تفصل السورة أنواع العذاب إذ تقول: ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا

عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من
أغرقتنا ﴿ (٤٠) .

وتضرب السورة المثل لجميع هذه الطوائف التي احتمت بالشرك فتجعلها كمثلاً
العنكبوت التي تظن أن بيتها يحميها وهو أضعف البيوت.

﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن
البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو
العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (٤١ - ٤٣).

أما ما تبقى من السورة فهو إرشاد للنبي صلى الله عليه وسلم واستدلال على
صدق رسالته وعلى كون القرآن الكريم ليس من عنده: ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من
كتاب ولا تخطه يمينك ﴾ (٤٨) وتسفيه للكافرين الذين يطالبون بنزول الآيات مع
أن القرآن الكريم وهو أعظم الآيات يتلى عليهم ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم ﴾ (٥١) بل إنهم ليتحدون النبي عليه السلام ويستعجلونه
بالعذاب وهم يعلمون أنهم قد خلت من قبلهم المثالات: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب
ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب ﴾ (٥٣).

ذلك بأن الله تعالى وعد نبيه قبل ذلك ألا يعذبهم وهو فيهم ثم تتحدث السورة
عن كفالة الله تعالى لرزق عباده وجحودهم مع اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض
ونزل من السماء ماء ومع علمهم بأن الله جعل لهم حرماً آمناً ويتخطف الناس من
حولهم ﴿ أقبا لباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ (٦٧).

وتختتم السورة بوعد للمؤمنين المجاهدين في سبيل الله ﴿ والذين جاهدوا فينا
لنهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ (٦٩).

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا سبيل الرشاد والفلاح وأن يوفقنا للإحسان أنه
سميع مجيب.